هذه عقيدتي

بقلم
عائض بن عبد الله القرني

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

هذه عقيدتي

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف في سطور

- عائض بن عبدالله بن عائض آل مجدوع القرني.
- من مواليد عام ١٣٧٩هـ ببلاد القرن جنوب المملكة العربية السعودية.
- حصل على الشهادة الجامعية من كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ.
- حصل على الماجستير في الحديث النبوي عام ١٤٠٨هـ وعنوان رسالته «البدعة وأثرها في الدراية والرواية».
- حصل على الدكتوراه من جامعة الإمام عام ١٤٢٢هـ بعنوان «دراسة وتحقيق كتاب: المفهم على صحيح مسلم للقرطبي».
- له أكثر من ثمانمائة شريط كاسيت إسلامي في الخطب والدروس والمحاضرات والأمسيات الشعرية والندوات الأدبية.
- يحفظ القرآن الكريم وكتاب بلوغ المرام ويستحضر ما يقارب من خمسة آلاف حديث وأكثر من عشرة آلاف بيت شعر.
- له أربعة دواوين شعرية هي:

  ١ ـ لحن الخلود.

  ٢ ـ تاج المدائح.

  ٣ ـ هدايا وتحايا.

  ٤ ـ قصة الطموح.

- أما مؤلفاته: فقد ألّف في الحديث والتفسير والفقه والأدب والسيرة والتراجم، ومن مؤلفاته التي أصدرتها دار ابن حزم بلبنان:

١ - الإسلام وقضايا العصر.
٢ - تاج المدائح.
٣ - ثلاثون سبباً للسعادة.
٤ - دروس المسجد في رمضان.
٥ - فاعلم أنه لا إله إلا الله.
٦ - مجتمع المُثل.
٧ - ورد المسلم والمسلمة.
٨ - فقه الدليل.
٩ - نونية القرني.
١٠ - المعجزة الخالدة.
١١ - اقرأ باسم ربك.
١٢ - تحف نبوية.
١٣ - حتى تكون أسعد الناس.
١٤ - سياط القلوب.
١٥ - فتية آمنوا بربهم.
١٦ - هكذا قال لنا المعلم.
١٧ - ولكن كونوا ربانيين.
١٨ - من موحد إلى ملحد.
١٩ - إمبراطور الشعراء.
٢٠ - وحي الذاكرة.
٢١ - إلى الذين أسرفوا على أنفسهم.
٢٢ - ترجمان السنة.
٢٣ - حدائق ذات بهجة.
٢٤ - العظمة.
٢٥ - لا تحزن.
٢٦ - وجاءت سكرة الموت بالحق.
٢٧ - مقامات القرني.
٢٨ - احفظ الله يحفظك.
٢٩ - أعذب الشعر.

❁ حضر عشرات المحاضرات والأمسيات، وحضر مؤتمر الشباب العربي المسلم ومؤتمر الكتاب والسنة بالولايات المتحدة الأمريكية، وحاضر في الأندية الأدبية والرياضية وحاضر في الجامعات والملتقيات الثقافية.

❁ ❁ ❁

الفهرس

هذه عقيدتي

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً وتوحيداً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً. . . وبعد.

فهذه عقيدتي التي أعتقدها وأدين بها لله عزَّ وجلَّ، وأسأل الله سبحانه الثبات عليها حتى ألقاه.

آمنت بالله عزَّ وجلَّ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله، وآمنت بما جاء عن الله عزَّ وجلَّ على مراد الله عزَّ وجلَّ، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ، وآمنت بما وصف الله عزَّ وجلَّ به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، فهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فلا ننفي عن الله عزَّ وجلَّ ما أثبته لنفسه، ولا نحرف الكلم عن موضعه، ولا نلحد في أسمائه: بأن ننكر شيئاً منها، أو مما دلت

عليه، أو نجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، أو نسميه سبحانه بما لم يسم به نفسه، أو نشتق من أسمائه أسماء للأصنام.

ولا نلحد في آياته: بصرفها عما دلت عليه، وتحميلها ما لا تحتمله، ولا نمثله سبحانه بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له، ولا ند له، ولا شبيه له، ولا يقاس بخلقه تعالى.

❁ فنشهد أنه: حي، قيوم، عليم، حكيم، لطيف، خبير، سميع، بصير، قوي، عزيز، أول وآخر، ظاهر وباطن، وأنه: بكل شيء عليم، وأنه: الرزاق، ذو القوة المتين، وأنه فعال لما يريد، وأنه على كل شيء محيط، وعلى كل شيء قدير، وأنه يحب ويبغض، ويرضى ويسخط ويكره، ويأتي يوم القيامة، وينزل في الثلث الأخير إلى السماء الدنيا، نزولاً يليق بجلاله، ويتكلم بما شاء، متى شاء.

القرآن: كلام الله، منه بدأ وإليه يعود، وأنه يرى، ويسمع، ويعفو، وينتقم... إلى غير ذلك من صفاته التي هي صفات كمال لا نقص فيها ولا عيب مما ذكر في الكتاب والسنة.

❁ ونؤمن بملائكة الله عزَّ وجلَّ، وأنهم: خلق من خلقه، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم: عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعلمون، وقد وكلهم الله عزَّ وجلَّ بأعمال: كالنزول بالوحي من الله تعالى على رسله، وحفظ العباد بأمر الله تعالى وكتابة الحسنات والسيئات، وغير ذلك.

ونؤمن بكتب الله تعالى المنزلة، التي عرفناها، والتي لم نعرفها، كصحف إبراهيم، وزبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، والقرآن الذي نزل على رسولنا ﷺ.

❁ ونؤمن برسل الله، عليهم الصلاة والسلام، وأنهم بشر معصومون، يبلغون رسالات الله تعالى، وليسوا بآلهة، وإنما هم: عباد

مصطفون، وقد فضَّل الله تعالى بعضهم على بعض، وأفضلهم أولوا العزم من الرسل وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام، وأفضلهم وخاتمهم: محمد ﷺ.

❁ ونؤمن باليوم الآخر، وبما جاء فيه: من نعيم القبر، وعذابه، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، ونشر الدواوين، وإعطاء الصحف، والجنة والنار.

❁ ونؤمن بالقدر، وأنه من عند الله تعالى، وأن الله عزَّ وجلَّ علم المقادير، وكتبها، وقدرها كما شاء، جلَّ في علاه، ولا نقول بقول الجبرية الذين يزعمون: أن العبد مجبور على أفعاله، لا قدرة له عليها، وأن أفعاله بمنزلة حركات الأشجار.

ولا نقول بقول القدرية: الذين نفوا تعلق أفعال العباد بقدرة الله تعالى، فأفعال العباد عندهم لا تحل تحت مشيئة الله تعالى وقدرته.

ونعتقد أن الإيمان: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان.

ولا نقول بقول المرجئة: الذين جعلوا الإيمان تصديق القلب فقط، وأخرجوا عنه جميع الأعمال الباطنة والظاهرة،وجوّزوا على الله تعالى أن يعذب المطيعين، وأن ينعم العاصين.

ولا نقول بقول الوعيدية من القدرية: الذين خلدوا في النار كل من مات مصراً على الكبائر دون الشرك، بل نقول بقول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان اسم جامع لجميع العقائد الدينيّة، والأعمال القلبية والبدنية، وأنه قد يبقى ناقصاً إذا تجرأ المؤمن على المعاصي، بدون توبة، وأن الله لا يظلم من عباده أحداً، ولا يعذب الطائعين بغير جرم ولا ذنب، وأنه لا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال حبة

خردل من إيمان، ولو فعل الكبائر، كما تواترت بذلك نصوص الكتاب والسنّة.

ولا نقول بقول الحرورية من الخوارج: الذين كفروا عصاة المؤمنين وخلدوهم في النار، ولا بقول المعتزلة: الذين يقولون في العصاة: ليسوا بمسلمين، ولا بكافرين، ويخلدونهم في النار.

ونترضى عن أهل بيت الرسول ﷺ الأطهار، وعن الصحابة الأخيار، من المهاجرين والأنصار، ونحبهم، ونذب عن أعراضهم، لأن الله زكاهم، ورضي عنهم، ومدحهم، وعدّلهم.

ولا نقول بقول الرافضة: الذين يسبون الصحابة ويلعنونهم، وربما كفروهم، ونبرأ من مذهبهم، فإنهم قاتلوا الصحابة، وكفروهم، واستحلوا دماء المسلمين.

ولا نقول بقول النواصب: الذين سبوا أهل بيت الرسول ﷺ، وناصبوهم العداء والبغضاء، بل نذهب مذهب أهل السنة والجماعة، فنعترف بفضل أصحاب الرسول ﷺ، وأنهم أفضل الأمة، ولا نغلوا في أحد منهم، ولا نقول بعصمة أحد غير الأنبياء والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام.

ولا نقول بقول الخوارج في الولاة، فإنهم يخرجون على ولاة الجور، ويجردون عليهم السيف، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة الجماعة، بل نسمع ونطيع لمن ولاه الله تعالى أمرنا، ولا نخرج عليه، ما لم نر كفراً بواحاً ظاهراً عندنا فيه من الله تعالى برهان، ونصلي وراءهم، ونجاهد معهم، وننصحهم، وندعو لهم.

ونرى أن الله عزَّ وجلَّ لا يُرى في الدنيا لقوله عزَّ وجلَّ لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، وأنه يُرى سبحانه في الآخرة لقوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] وقوله ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**».

ولا نرى رأي الجهمية المعطلة: الذين عطلوا أسماء الله وصفاته، ونفوها، وجردوها من معانيها، بل نثبت أسماء الله وصفاته كما جاء بها الكتاب والسنة على وجه يليق بجلال الله سبحانه من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل.

ولا نرى رأي المعتزلة: الذين أثبتوا الأسماء، ونفوا الصفات، ومذهبهم في ذلك باطل، ولا رأي الأشاعرة: الذين أثبتوا الأسماء، وسبع صفات، فحسب، بل نثبت كل الصفات؛ لأن القول فيما أثبتوه كالقول فيما نفوه.

ولا نتبرك بالقبور، ولا بساكنيها، ولا نحلف بغير الله، ولا نغلو في الصالحين، ولا نبتدع في الدين، ولا نوالي الكافرين.

ونُحَرِّمُ تعليق التمائم، والودع، ونحرم الذهاب إلى السحرة، والعرافين، والكهنة، ولا ندعي علم الغيب.

ونثبت المعجزة للرسول ﷺ، والكرامة للولي الصالح بشروطها.

ونرى أنه لا يسع أحد الخروج على الكتاب والسنة، كائناً من كان.

ولا نقنط أحداً من رحمة الله تعالى، ولا نؤمنه من مكر الله تعالى.

ونرى تحريم الاستهزاء بالدين، وأنه كفر صريح.

ونرى تحريم التشبه بالكفار، ونبرأ إلى الله تعالى من فعل اليهود مع الأنبياء؛ لأنهم كذبوهم وقتلوهم.

ونبرأ من فعل النصارى؛ لأنهم ألّهوهم، بل نؤمن بالرسل عليهم

السلام، ونصدقهم، ونرى عصمتهم، وأنهم أفضل البشر، ونبرأ إلى الله تعالى من قول السبئية في تأليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن قول الرافضة في أبي بكر وعمر وعائشة الطاهرة المطهرة رضي الله عنهم.

ونبرأ كذلك من قول الجعد بن درهم الذي زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، ومن قول الجهم، وبشر المريسي، وابن أبي دؤاد: أن القرآن مخلوق، ومن قول ابن سينا: أن الله يعلم الكليات لا الجزئيات، وقوله بقدم العالم قبل خالقه - بل الله هو الأول: خالق كل شيء - وبقوله أن المعاد للأرواح فحسب.

ونرى أن أعظم ما يدعي إليه: التوحيد، وأن أفضل الأئمة بعد نبيها: أبو بكر، فعمر، فعثمان، فعلي رضي الله عنهم، على منزلتهم في الخلافة، ونكف عن ما شجر بين الصحابة، ولا ننشر أخطاءهم، بل نترضى عنهم، ونحبهم، ونتولاهم، ونلتمس لمخطئهم العذر.

ونرى أن من أفضل الأعمال: طلب العلم النافع، وهو: علم الكتاب والسنة.

ونرى وجوب توقير علماء الملة، ومحبتهم، واحترامهم، ونحب أهل الحديث بخاصة، ولا ننخدع بحال أحد مهما فعل حتى يوافق الكتاب والسنّة، وندعو لسلامة القلب من الشرك، ومن الرياء، والعجب، والكبر، والخيلاء، والحسد، والحقد، والغل، والغش، وسلامة اللسان من الكذب، واللعن، والسب، والشتم، والاستهزاء، والغيبة، والنميمة، وسلامة المطعم من الحرام، وندعو إلى تقوى الله تعالى، وحبه، وطاعته، والخوف منه، ورجائه، والرهبة منه، والرغبة إليه، والتوكل عليه، وتفويض الأمر إليه، مع التوبة من الذنوب، والإقلاع عن المعاصي.

وندعو للصدق، والصبر، والوفاء بالعهد، والأمانة، والعدل في الأقوال، وحسن الخلق، والتواضع، والكرم، والشجاعة، والزهد، وقصر الأمل، وكثرة ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن، والتزوُّد بالنوافل، والصدقة والبر، ورحمة اليتيم، والمسكين، والأرملة، والصغير، واحترام الولاة العادلين، والعلماء العاملين، وحملة القرآن المتقين، والكبار المسنين.

وإمامنا: رسول الله ﷺ، ومرجعنا: الكتاب والسنة، وخيرنا: أتقانا، ونفعل السبب مع التوكل، ونعمل بالمأمور ونجتنب المحذور، ونصبر على المقدور، ونشهد بالجنة لمن شهد له بها رسولنا ﷺ، وندعو للأخوة الإيمانية، ونحث على الأخلاق الإسلامية، وننهى عن الحزبية التي تورث الخلاف، والشقاق، والبغضاء.

ونكفر تارك الصلاة، ونرى وجوب صلاة الجماعة، ونحل ما أحلَّ الله ورسوله، ونحرم ما حرم الله ورسوله، ولا نخلع يداً من بيعة، ولا نشق عصى الجماعة، ولا نفرح بمصائب المؤمنين، وندعو إلى الله تعالى بالحكمة.

ولا نقول بقول بعض المخالفين: أن من أهم مطالب الدين: إقامة الإمامة، أو الخلافة، بل أهم المطالب، وأجل المقاصد: توحيد رب العالمين، ولا نقول بقول الصوفية: من أن العلم علم الخِرَقِ لا علم الورق، بل نقول: العلم: قال الله، قال رسوله ﷺ.

ولا نذهب مذهب المتعصبة من الفقهاء: الذين جعلوا أقوال أئمتهم حجة عند التنازع، فقلدوهم بلا دليل، وقدموا كلامهم هوى وتشهياً، بل نقدم كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ على كلام أي أحد، كائن من كان، ونعتصم بالدليل، ونقبل الحق ممن قاله، ولو خالف ما كنا عليه، ونأخذ القرآن والسنة على فهم الصحابة، وسلف الأئمة، وأئمة الدين: كابن المسيب، والحسن البصري، والثوري،

والأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، ومن وافقهم، ونرد ولا نقبل قول واصل بن عطاء وعمر بن عبيد، والجهم بن صفوان، والجعد بن درهم، والجهم، والمريسي، والزمخشري.

وننهى عن علم الكلام؛ لأنه طريق الجدل والخصام، ونفر من الفلسفة ومنطق اليونان، وقد كفانا ما في القرآن، وما جاء به سيد ولد عدنان ﷺ.

وليس لنا إلا عيدان: عيد الفطر، وعيد الأضحى، ولا نرى الاحتفال بما يسمى بعيد المولد.

ونرى المسح على الخفين، وتحريم زواج المتعة.

ورضى الله تعالى: مقصدنا، والجنة: مطلبنا، والشريعة: مرجعنا، والحديث الصحيح: مذهبنا، وجهاد الكفار ماضٍ إلى يوم القيامة، وباب الاجتهاد في الشريعة مفتوح، ولكل مائة عام مجدد من أهل السنة والجماعة، سواء كان في باب الحديث، أو الفقه، أو الأمر والنهي، أو الولاية العامة، أو الجهاد.

وكتب الحديث المعتبرة هي: الصحيحان، والسنن الأربعة، ومسند أحمد، والدارمي، وموطأ مالك، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، وسنن البيهقي، والدارقطني، ومعاجم الطبراني الثلاثة، ونحوها، وكتب التفاسير المعتمدة هي: تفسير الطبري، والبغوي، وابن كثير، وابن سعدي، والشنقيطي.

ونرشد طالب العلم إلى كتب ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، وكتب الإمام محمد بن عبدالوهاب.

واعلم: أن الغزالي أمات الدين بإحيائه، وأن ابن سينا أمرض القلوب بشفائه، وأن الزمخشري أظلم الجو بكشافه، وأن أبا الفرج

الأصفهاني كدر النفوس بأغانيه وغنائه، وأحذر من مزالق الجاحظ في تآليفه، ومن سقطات كل مبتدع في تصانيفه.

وأطالع تصانيف المتأخرين: كالصنعاني، والشوكاني، وأئمة الدعوة، وأقرأ لابن باز، وابن عثيمين، وبكر أبو زيد، فإنها كالشهد، والروح اللباب.

وننكر أفعال الحجاج، وطريقه الحلاج، وأبيات المعري.

وليس قول أحد من الأمة حجة على غيره، إلا محمد ﷺ، فهو الذي يدور معه الحق حيث دار، فعلى قوله توزن الأقوال، وعلى فعله تقاس الأفعال، وعلى حاله تصحح الأحوال فهو المعصوم من الزلل، السليم من العلل، البريء من الخلل.

هذا، وإني أستغفر الله، وأتوب إليه من كل قولٍ قلته، أو سطر كتبته، أو فعل فعلته، يخالف كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وقد كتبت رسالة بعنوان: «المراجعات» اعتذرت فيه عن بعض العبارات التي سلفت مني شعراً، أو نثراً زمن الشباب في مثل ديواني «لحن الخلود»، والله المسؤول وحده، أن يتجاوز عنا، وأن يرحمنا، وأن يلطف بنا، إنه سميع مجيب، عليه توكلت، وإليه أنيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

نونية القرني

بسم الرحيمِ الواحدِ الرحمانِ ... المالكِ الفردِ الوَلي الديَّانِ
الماجدِ البَرِّ السَّلامِ لخلقِهِ ... حَازَ الكَمَالَ بِغَيْرِ ما نُقْصَانِ
والحمدُ لله العظيم لذاته ... حمداً على الإسلامِ والإيمانِ
وصلاةُ ربي والسَّلامُ مُحَبَّراً ... لإمامِنا المعصومِ من عدنانِ
ذي الحوض بل هو ذو الشفاعة في الورى ... ذو الملة السمحاء والقرآنِ
ومقامه المحمود أشرف رتبةً ... وله الوسيلة عن بني الإنسانِ
وسألتك اللهم بالاسم الذي ... حَسُنَتْ محاسنُهُ بلا نكرانِ
فإذا دعيت به أجبت وإن نسل ... أَعَطَيْتَ سُؤل الملحفِ الولهانِ
يا حيُ يا قيومُ يا ذا الطَوْلِ يا ... ذا العَرْشِ يا فردُ فَمَا لك ثاني
هيِّىءْ لنا من أمرنا رشداً إذا ... دَجَتِ الخُطُوبُ بليلها الفتَّانِ
نونية القرني أشرق نورها ... عينان فيها للهدى نونان
نجت بعون الله من برد الهدى ... قد جاء هذا الفيض من حسّانِ
شرفت عن الإطراء صدق قولها ... وحديثها قبس من القرآنِ
ما لامرىء القيس المضلل لوثة ... فيها ولا الأعشى ولا القباني
وعكاظ لم تسمع بمثل دويها ... نسخت قريض النابغ الذبياني
كالسيف جرد مصلتاً يهوي على ... هام الأراذل ثلة الخسرانِ
في كف صنديد له من بأسه ... يوم الوغى وثباته درعانِ

كعصا كليم الله تلقف كلَّ ما صنعوا من التدجيل والبهتانِ
سلفية تهوي على قرن الوغى بالطعن قبل تطاعن الأقرانِ
حبكت برأي بالسدادِ متوجٍ والرأي قبل شجاعة الشجعانِ
أرمي بها أهل الضلال من الألى ضجوا ببدعتهم مع الشنئانِ
فإلٰهنا الرحمٰن جلَّ جلاله وإمامنا المبعوث ذو الفرقانِ
وصحابة المختار أفضلنا وهم نور الدجى ونجوم كل زمانِ
والراشدون معالم مرضية وهم الهداة وشامة البلدانِ
والتابعون لهم بإحسان على مر العصور منائر الرضوانِ
وأئمة السلف الكرام شيوخنا كأبي حنيفة الأبي النعمانِ
وكمالك وابن المسيب قبله مع أحمد قلَّ طاب سفيانانِ
والشافعي من الهمام الأوزاعي من نسل أوزاع وحمادانِ
أما ابن تيمية الإمام فحجة سمح الطريقة ساطع البرهانِ
فاعرف أبا العباس حقاً إنه زين الشيوخ وقدرة الشبانِ
لله درك من إمام عارفٍ نشر الهدى ولصرح أحمد باني
تلميذه يقظ إمام بارع صافي القريحة واضح التبيانِ
ومجدد الإسلام في هذا الورى أعني التميمي ناصر الإيمانِ
رحم الإلٰه محمداً في لحده خصم الضلال مهدم الأوثانِ
في نجد أشرق نوره متوهجاً بل شع من هند إلى تطوانِ
فعلى عقيدتهم بنيتُ عقيدتي وعلى رسائلهم فتقت لساني
أقفو طريقتهم ونهجي نهجهم دوماً وأبرأ من أخي كفرانِ
أهل الضلالة هم خصومي دائماً لا يلتقي بمحبة خصمان
ولكل مبتدع أقول مجلجلاً أنا صارم يفري الرقاب يماني
أسلمت نفسي للذي برأ الورى وبرئت من شرك ومن طغيانِ
ورضيت بالقرآن والسنن التي جاءت بفهم صحابة العدناني
أستغفر الله العظيم لكل ما أخطأت فيه وزلَّ فيه لساني

أو قلته متعمداً أو جاهلاً ... أو ناسياً في السرِّ والإعلانِ
فالقصد معرفٌ ولكن ربما ... خفي الصوابُ على بني الإنسانِ
والعذر يقبله الكرام وربنا ... هو أكرم المعطين في الإحسانِ
أشهدت ربي والملائكة الألى ... حملوا العلوم بقوة وأمانِ
أني مع السلف الكرام وهديهم ... هل عاقل يرضى بنهج ثاني
إيماننا عمل وقول قبله ... عقد بقلبٍ عامرِ الإيقانِ
ويزيد بالطاعات من أعمالنا ... ومع المعاصي ظاهرُ النقصانِ
أهل الكبائر لا نكفرهم بها ... فإن استحلوها فللخسرانِ
ونطيع آل الأمر فيما لم يكن ... أمراً بمعصية ولا نكرانِ
نأبى الخروج عليه لو ظلم جرى ... فالصبرُ مطلوب من الإنسانِ
ما لم نر كفراً بواحاً ظاهراً ... لا يختلف في أمره اثنانِ
ونمرّ أخبار الصفات كما أتت ... من غير تأويلٍ ولا جحدانِ
والقول في تلك الصفات كقولنا ... في الذات قول العالم الرباني
نروي أحاديث الوعيد كما أتت ... والوعد نقبله من الديانِ
والمولد المزعوم لا نرضى به ... أفتى ببدعته أولو العرفانِ
أنهاك عن شد الرحال لقبره ... واقرأ مصنف عالم حراني
أهل التصوف لا تلمّ بدارهم ... فالزيغ منسوج مع القمصانِ
وكذا الخوارج هم كلاب النار قد ... ورد الحديث فلا تكن متواني
فأبو سعيد قد روى في مسلم ... وروى عليٌّ بمسندِ الشيباني
قدرية جبرية قد بدعوا ... إذ أعرضوا عن منهج القرآنِ
وطوائف الإرجاء شر طوائفٍ ... جاؤوا بقول ظاهر البطلانِ
والأشعري له نقول غثةٌ ... تأويله من أرخص الهذيانِ
لكن أتباع الرسول وحزبه ... هم درة في هذه الأكوانِ
هم فرقة منصورة قد أيَّدت ... وكذاك ناجيةٌ من الخسرانِ
فالزم طريقتهم وعض بناجذٍ ... منها ولا يغررك قولٌ ثاني

فإمامها المعصومُ من بين الورى ... دع عنك رأي فلان أو علانِ
أنهاك عن علم الكلام وأهله ... واهجر فديتك منطق اليونانِ
وكفاك عن علم الكلام شريعةٌ ... كملت بلا حرج ولا نقصانِ
ترجو دواء القلب من ذي علةٍ ... وتريد وصف الشمس من عميانِ
انظر إلى الرازي يقول محذراً ... في ساعة التوديع يا إخواني
جرّبت كل طريقةٍ مذكورةٍ ... وركبت بحر الهول كالرُباني
وقرأت فلسفة ظننت بريقها ... نوراً وهذا النور قد أعماني
فالآن أعلن أنه لا شرعة ... أهدى ولا أشفى من القرآنِ
وكذاك سنة أحمد فهي التي ... فيها نجاةُ العبدِ من نيرانِ
وكذا الجويني صاح في طلابه ... يا قوم حيّر فكرتي الهمذاني
حتى ابن سينا وهو من أقطابهم ... متحير وكبير شهرستاني
بل قال بعض رؤوسهم متوجعاً ... من شدة الإحباط والهذيانِ
يا ليتني تابعت دين عجائزي ... ولزمت حفظ عقيدة الصبيانِ
قد جاء شاهد قومها من أهلها ... والحق أبلج شامخ البنيانِ
خير الطوائف سنة وجماعة ... حتى ولو قلّوا مع الحسبانِ
اركب سفينة نوح تنج من الردى ... قد قال مالك ذاك عن عرفانِ
والسنةُ الغراء بحرٌ لم يحط ... بجميعها إلا النبي العدناني
هذا كلام الشافعي محمدٍ ... في ما حكاه مؤلف التبيانِ
ولذاك قد تخفى لكثرتها وما ... إلمامنا بالشرع في إمكانِ
والقيّم الجوزي في إعلامه ... ذكر الكثير لأهل هذا الشانِ
ولشيخه الحبر الإمام مؤلفٌ ... رفع الملام كفاك بالحسبانِ
فالكل ذو رد ومردود له ... إلا محمدُ طيب الأردانِ
نظروا بعين النقد لابن خزيمةٍ ... لكلامه في صورة الرحمنِ
وهو المسمى كعبة العلماء في ... جمع العلوم وقوة الأتقانِ
ولصاحب التقسيم والأنواع في ... حدّ الإله توهمِ الغلطانِ

وله كلام في النبوة لامهُ أهل الحديث وهمت يا حبانِ
مع أنه جمع الصحيح بهمّةٍ تسمو على الجوزاء والدبرانِ
هذا تقي الدين أنكر جملةً من قول عبد القادر الجيلاني
متلمساً عذراً له ومنافحاً حتى يقول له كلام ثاني
والعالم الهرويُّ صاغ منازلاً فيها من الأخطار عد بناني
قال ابن قيمنا لعل مراده هذا فإن الوهم سبق لسانِ
ذكر ابن سعدي عن تقي الدين في مأموله في الخميس بعد ثمانِ
في الناس من هو كالذباب فلا يقع إلا على جرح من العدوانِ
ولصاحب السير الذكي عبارة مُزجت بماء العيسن في الأجفانِ
لو أننا كنا تركنا كل من قد زلَّ لم يسلم لنا اثنانِ
ماء الفضائل إن يزد في وزنه عن قلتين فذاك ذو رجحانِ
في سورة الأحقاف يقل محسنٌ ويقابل التواب بالغفرانِ

كتب المتقدمين

وأجلها الذكر الحكيم فإنه أصل الهدى وأساس كلِّ بيانِ
وأجلها كتب الصحاح وبعدها سنن أتت من عالم رباني
ثم المسانيد العظام كأحمد ومجامع الإسلام كالطبراني
ثم الشروح وخيرها من نهجه في منهج الأسلاف أهل الشانِ
وعليك بالكتب التي ما مثلها كتب ابن تيمية له شكرانِ
وأخص تلميذاً له متوقداً وابن الكثير مفسر القرآنِ
والشكر للذهبي في تأليفه ومصنف للفتح والميزانِ
وكذا النووي وهو أفصح حجة من صاحب القاموس والإتقانِ
حاز ابن عبدالبر فينا منزلاً يعلو على المريخ أو كيوانِ
ولابن حزم عبقرية عالم لولا الخدوش أتى بطلع داني

كتب معاصرة تقرأ

علماء عصرك إن أردت قراءة ... في كتبهم فانصت لذي التبيانِ
كتب المجدد كالرياض أنيقة ... ورجال دعوته أولوا البرهانِ
اقرأ لابن الباز دام سروره ... وابن العثيمين العظيم الشانِ
ثم الأمين محمد أنعم به ... حاز الذكاء من أرض موريتاني
وحمود من نسل التواجر عالم ... وكذا ابن جبرين مع السلماني
بكر أبو زيد الأبي محقق ... هو غاية في العلم والإتقانِ
ومؤلفو كتب الحديث بعصرنا ... كمحمد بن الناصر الألباني
وابن الوزير له علوم جمَّة ... ومحمد المعروف بالصنعاني
كتب يدبجها بجودة ذهنه ... صديق خان وشيخه الشوكاني
أنصت إلى السعدي فإن كلامه ... فيض من التحقيق والبرهانِ

المعتزلة

والاعتزال طريقة ممقوتة ... فيها من الأغلاط والهذيان
عقل على النقل الصحيح مقدم ... والحسن والتقبيح للإنسانِ
بل وافقوا نهج الخوارج في الذي ... يأتي الكبيرة فهو في النيرانِ
لا مؤمن يدعى وليس بكافر ... هذا كلام الواهم الغلطانِ
وكلامه القرآن وهو منزل ... ومدادنا والرق مخلوقانِ
من قال إن الذكر مخلوق فقل ... كذب الدعي الجاحد الخوانِ
طالع كتاب الحيدة الفذ الذي ... عبدالعزيز رواه وهو كناني
والذكر مخلوق لديهم مثلما ... قد جاء في الكشاف والمرجانِ
قالوا وربي لا يراه عبده ... في يوم حشر خاب قول الجاني
نادي بموسى (لن تراني) عندهم ... دامت على التأبيد في الأزمان
كذبوا لعل جزاءهم من ربهم ... أن يرجعوا بالخزي والحرمان
ردوا حديث جرير البجلي في ... ما قد روى للسنة الشيخان

والشافعي من القرآن أتى بها … لله در الـمـدره الـربـانـي
إذ قال كلا إنهم عن ربهم … حجبوا فينظره أولوا الإيمان

الرافضة

نبرأ الرحمٰن جلَّ جلاله … من نهج رافضة أولي بهتان
سبوا صحابته وآذوا شرعه … فالرفض والتزوير مقترنان
أقرأ لشيخ الدين في منهاجه … يشفي غليل الواله اللهفان
يكفيك ما قد قال الشعبي في … أهل الضلال عصابة الشيطان
إذ شابهوا أهل الصليب ووافقوا … حتى اليهود مراتع الأوثان
زادوا على الفئتين في تشنيعهم … لصحابة جلو عن البهتان
حمر مع سرب البهائم أصبحوا … رخماً مع ذي الريش والطيران
كتب الروافض قد عرفت ضلالها … حذراً من الشر القريب الداني
فعقولهم قد أدخلت سردابهم … هم ينبشون الأرض كالفئرانِ
لما أتى التتار كانوا حزبة … دكوا معاقلنا مع الصلبانِ
النار لابن العلقمي من نسلهم … حَفَر القليب لدولة الإيمانِ
وابن الباسيري خان خليفة … وسعى لذبح الدين في بغدانِ
وكذا نصير الدين منهم إنه … حقاً عدو الدين والديانِ
أفتى لهولاكو يجرد سيفه … حتى أباد به أولي العرفانِ
والفاطميون اللئام فإنهم … ليسوا لأهل البيت بالحسبانِ
أفتى تقي الدين أن جدودهم … نسل اليهود محاربي الرحمانِ
أما ابن خلدون فلم ينصف وقد … نسب اليهود لأسرة العدناني
فتكوا بدين الله فتكة فاجر … يا دولة الأرذال والأوثانِ
نصر على مصرٍ أتى تأليفه … من ابن جوزي واعظ البلدانِ
هذا صلاح الدين شتت شملهم … وأحلهم في ذلة وهوانِ

كتب لا تقرأها

لا تقرأن كتب الضلال فإنها … سم الفؤاد وجالب الغثيانِ
إلا لمن أمن الخداع وكان من … أهل البصيرة حافظاً لجنانِ
واهجر من الكتب التي قد أفعمت … بالزور والتضليل والبهتانِ
مثل (الأغاني) فيه قول ساقط … فالأصفهاني في الأغاني جاني
واترك أبا نوّاس إن قريضه … سفه ويدعو الناس للعصيانِ
وابن المعرّي قادح في شرعنا … يلقيك بالأشعار في الوديانِ
ورأيت في (العقد الفريد) مزالقاً … والجاحظ الخلاب غير مصانِ
إذ قد حوى بدعاً وأغلاطاً له … في سفري التبيين والحيوانِ
وكتاب إخوان الصفا متهالك … بئس الصفا بل بئس من إخوانِ
انس ابن سينا فهو صاحب زلة … سِفر (الإشارة والشفاء) سقمانِ
بل قال بعض الناس في تأليفه … مرض الفؤاد به وما أشفاني
(أحيا علوم الدين) صار قضية … فيه الدواء والداء مجتمعانِ
لا تأخذ عقيدة من نهجه … وكذا التصوف فهو في غليانِ
واسمع رقائقه وحر أنينه … أما الحديث فليس باليقظانِ
اعرض عن التلبيس في كتاب أتت … للكوثري والمفلس النبهاني
فبضاعة الأقوام مزجاة فهل … ميَّزت بين الترب والمرجانِ
ودع الفصوص مع الفتوحات إلتي … قذفت برجس ظاهر الأنتانِ
وابن الروندي مزّقن تأليفه … ورسائل الحلاج والتيجاني
طه حسين هو العميل صراحة … ليس العميد وهكذا الأفغاني
إني عرفت القوم معرفة الذي … عرف الحقائق أيما عرفاني
عُمْيٌ عن القرآن والآثار يا … لله ما قد عمهم نورانِ
شمس المعارف ومثل تلك مصائب … سحر وشعوذة من الكهانِ
جعلوا قضاء الله فعل كواكب … كالثور والميزان والسرطانِ

شاهت وجوههم وخيب سعيهم　　علم النجوم بداية الخذلانِ
والباطنية هم أضل طريقة　　غرقى مع الإلحاد والكفرانِ
أتباع قرمط والجنابي كلهم　　والباطني المفتري حمدانِ
طالعت مخطوطاً له فوجدته　　يدعو الكواكب زج بالنيرانِ
فكأنه أخذ الضلال مركباً　　من مزدك وأخي الجهالة ماني
وغلام مرزا كاذب متهتك　　وكذا البائي ظاهر البهتانِ

❊ ❊ ❊

إن الدين يسر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

«اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١).

اعلموا إخواني، غفر الله لي ولكم، أني أردت أن يكون عنوان هذه الرسالة: (إن الدين يسر).

وهي موجز، مبسَّط، ميسَّر لهذا الدين: الذي بعث الله عزَّ وجلَّ به محمداً ﷺ، وإن من أعظم أسرار رسالته ﷺ: أنها مبسَّطة، وسهلة ميسرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القَمَر: ١٧].

إن من خصائص هذا الدين: أن يفهمه الشيخ الكبير المسِن،

(١) هذا لفظ حديث أخرجه مسلم رقم (٧٧٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

والأمّي، والطفل، والأعرابي، جعله الله ديناً عاماً للبشر، فكان لزاماً على من يدعو إلى الله عزّ وجل، أن يعرضه وأن يطرحه للناس طرحاً سهلاً هيناً ليناً، لعل هذا الدين أن يدخل في بيوت أهل المدن، وأهل الوبر، وأن يعيه الناس، ولو قدمنا الإسلام سهلاً ميسراً كما قدمه الرسول ﷺ لكان خيراً.

أتت جارية صغيرة في عمرها إلى المعلم العظيم ﷺ فقال لها: «**أين الله؟**» فأشارت إلى السماء، قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله، قال لسيدها: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»[(١)].

الأعرابي يسأله عمن رفع السموات وبسط الأرض ونصب الجبال؟ فيخبره ﷺ فيؤمن ويدخل الجنة.

وهذا أعرابي يأتي من الصحراء، ويعقل ناقته على باب المسجد، ويسأل الرسول ﷺ عن الدين، قال: قلت: يا رسول الله، لمن تدعو؟ قال: «**أدعو إلى الله وحده الذي إن نزل بك ضر فدعوته كشف عنك، والذي إن ضللت بأرض قفر فدعوته ردَّ عليك، والذي إن أصابك سَنَة فدعوته أنبت عليك**»[(٢)].

دعوته ﷺ في سطور:

بُعث رسول الله ﷺ، والعرب لا يفهمون شيئاً عن الله عزَّ وجلَّ، ولا عن الكون، ولا عن الحياة، ولا عن الإيمان، ولا عن اليوم

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم السلمي، وراجع رسالة «العلو» للذهبي ففيها بيان شاف لهذا الحديث.

(٢) صحيح، أخرجه بنحوه الإمام أحمد (٥/٦٤)، وأبو داود (٤٠٨٤)، والترمذي (٢٧٢١، ٢٧٢٢) ولم يسقه بتمامه، والحاكم (٤/١٨٦) من حديث أبي تميمة الهجيمي واسمه: طريف بن مجالد. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، وهو كما قالوا، رحم الله الجميع.

الآخر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجُمُعَة: ٢].

كانوا قبل الإسلام يخونون، ويغشون، ويعبدون الصنم، ويطوفون بالوثن، وإن كانت فيهم بعض صفات العروبة العظيمة، تصوَّر أخي، الإنسان العربي قبل مبعثه ﷺ بعقله، بجثمانه، بدمه، بتفكيره، ببصيرته، ببصره، يجمع حفنة من التمر، ويسجد لها من دون الله عزَّ وجلَّ، وإذا جاع أكلها!!

يذهبُ إلى الصنم، فيرى الثعلب يبول على الصنم، فيسجد للصنم، حتى أن أحدهم أنِفَ من هذا فيقول:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد خاب من بالت عليه الثعالبُ

فبُعث رسول الله ﷺ ليعلمنا من هو الله عزَّ وجلَّ؟

وأنه هو الذي خلق السماء وخلق الأرض؟ ولماذا يستحق أن يعبد من دون المعبودات الباطلة؟

وكيف ندخل الجنة؟ وكيف نتجنَّب النار؟

فأخبرنا أن الخالق هو الله، وأن الرازق هو الله، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو سبحانه، وأنه لا يجوز أن يشرك هذا العبد مع الله إلهاً غيره، ثم أخبرنا ﷺ أنه بَشَر، وأنه يبلِّغ الدعوة، ولكنه لا يملك ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا يشفي ولا يعافي، ولا يحيي ولا يرزق إلا الله سبحانه وتعالى، وبُعث ﷺ بلا إله إلا الله محمد رسول الله.

ولا إله إلا الله معناها: لا معبود إلا الله، ولا معبود بحق إلا الله، فمن ظنَّ أو اعتقد أو صرف شيئاً من العبادة التي يستحقها الله سبحانه وتعالى لغيره فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا

يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً، ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم، ومعناها: أنه لا يُعبد إلا الله الواحد الأحد.

وكفار قريش آمنوا بالرب سبحانه، بأنه خالق، ورازق، ولكنهم جعلوا معه آلهة أخرى، فتوجهوا لها بالعبادات من الأصنام والأوثان، فأتى الرسول ﷺ ليأصل: لا إله إلا الله، لا يُعبد إلا الله، ولا يُسأل إلا الله، ولا يُستعان إلا بالله، ولا يُرجى إلا الله، ولا يُخاف إلا من الله، ولا يُرغب إلا فيما عند الله، ولا يُرهب إلا مما عند الله عزّ وجل.

حتى يقول رسول الله ﷺ لكفار قريش: «**أريد أن أقول كلمة**»، قال أبو جهل: وأبيك عشر كلمات، قال: «**قل لا إله إلا الله**» قال: أما هذه فلا، ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] فامتنعوا، واعترضوا عليه، وأبوا الانقياد لدعوته(١).

شروط لا إله إلا الله:

وقد جمعها العلامة حافظ بن أحمد حكمي، رحمه الله، في منظومة «سلم الوصول» بقوله:

وبشروطٍ سبعةٍ قد قُيدت ... وفي نصوص الشرع حقاً وردت
إذ أنه لم ينتفع قائلُها ... بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادرِ ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبه ... وفقك الله لما أحبه(٢)

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (١/٣٦٢)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (٤/٤٥٦/٥٦٤٧ تحفة)، والطبري (٢٣/٧٩) وغيرهم من حديث ابن عباد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال الترمذي: حسن، وفي نسخة «التحفة»: حسن صحيح وهو به أليق. وانظر تفسير ابن كثير (٤/٣٧).

(٢) وقد نص أهل العلم على أن كل أعمال القلوب من شروط لا إله إلا الله، وإنما نبه الشيخ حكمي على أصولها، كما سيظهر قريباً.

الشرط الأول: العلم المنافي للجهل: أن تعلم أنه لا يستحق العبادة إلا الواحد الأحد، لا أن تفعل شيئاً وأنت لا تعتقده، فلا بد أن تَعْلَم ماذا تقول وماذا تعتقد، فلا تَصرف العبادة إلا لله، ولا تعبد إلا الله، ولما سئل رسول ﷺ عمن هو أسعد الناس بشفاعته ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»(١).

قال أهل العلم: «مخلصاً»: أي: يعمل بمقتضى لا إله إلا الله، فأنت تعلم أنه لا إله إلا الله عن دراسة ووعي، لا عن تقليد للآباء.

فكثير من الأجيال والشرائح في المجتمع يقلدون آباءهم وأجدادهم، قالوا: وجدناهم يعبدون فعبدنا، وهذا منطق أبي لهب، وأبي جهل، فعليك ألا تأخذ الدين وراثة، بل عليك أن تتعلمه وتدرسه، وتسأل أباك، وتسأل أستاذك، وتسأل العلماء ما معنى لا إله إلا الله؟

الشرط الثاني: اليقين، ومعناه: أن تتيقن بقلبك، وتعتقد اعتقاداً، جازماً بهذا؛ لأن المنافق قد يعلم بلا إله إلا الله، ولكن ما يعتقد ما تدل عليه، ويعلم أنه مثلاً لا يستحق العبادة إلا الله، ولكن يأبى قلبه الاستسلام لما اعتقد، أما المؤمن فيتيقن يقيناً لا شك فيه.

الشرط الثالث: القبول، فبعضهم يعلم ويتيقن، ولكن لا يقبل بلا إله إلا الله، ولا يقبل ما بُعث به ﷺ، فلا بد أن تتقبله بروح طيبة ونفس راضية.

يقول سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّساء: ٦٥]، فبعضهم يأخذ شيئاً من الإسلام، ويترك شيئاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

انظر إليهم في السنن الآن، فبعضهم تصعب عليه بعض السنن ويقول: يكفي أن أصلي، وأن أصوم، وأن أحج، أما هذه فثقيلة، أو ما أستطيع! فهم من الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، ومن الذين جعلوا دينهم عضين، ومن الذين فرقوا دينهم، وهؤلاء لا يرضى الله عملهم حتى يتم قبولهم من رسول الله ﷺ، أي: أن تقبل، وأن تجعل ما أتى به الرسول ﷺ أغلى عندك من مالك، وأهلك، ودمك، ونفسك.

الشرط الرابع: **الانقياد**، إذا قبلت ما جاء به النبي ﷺ، فعليك أن تنقاد، كما ينقاد الجمل الأنف لصاحبه، والمؤمن أكرم، فتُسلم مقاليد نفسك، وحياتك للرسول ﷺ، فتعطيه معتقدك، وحياتك، وأدبك، وسلوكك، وأخلاقك، وتزن كل حياتك على منهجه ﷺ، فإن بعضهم يأخذ منهج حياته في المعتقد من الإسلام، وفي الأخلاق من الغرب، وفي السلوك من الشرق، وفي الأعمال والمعاملة من فلان وفلان، لا رسول الله وحده ﷺ، وهذه والله مصيبة.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

الشرط الخامس: **الإخلاص**، فلا تقلها رياء، أو لا تعبد الله عزّ وجل رياء كما قال سبحانه: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: ٣].

مَن الذي يطلع على السرائر؟ مَن الذي يعلم ما في الضمائر؟ إنه الله عزَّ وجلَّ، فتُخلص له العبادة.

يجمع الله عز وجل يوم القيامة ويجمع الأولين والآخرين، ثم يقول: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي**

غيري تركته وشركه»[1]، فيجب أن يكون عملك خالصاً لوجهه سبحانه.

الشرط السادس: الصدق، فلا تكن كاذباً في قولك، ولا كاذباً في فعلك، ولا كاذباً في اعتقادك. ويظهر هذا واضحاً جلياً في علاقات بعض الناس.

فمثلاً الذي يقول: لا إله إلا الله، لا يحضر صلاة الفجر في جماعة، بغير عذر شرعي، فهو كاذب بلا إله إلا الله، ومن يقول: لا إله إلا الله، وأمواله في البنوك، فهو كاذب بلا إله إلا الله، ومن يقول: لا إله إلا الله، وهو يوالي أعداء الله على أولياء الله، فهو كاذب في لا إله إلا الله؛ لأن لا إله إلا الله ليست كلمة على اللسان فقط، فلو كانت كلمة لقالها اليهودي، والنصراني، والبوذي، والشيوعي، ودخل الجنة، لكن حرّمها الله عليهم؛ لأنهم ما عملوا بمقتضاها، وما صدقوا فيها.

كذاك، أحبتي في الله، من الكذب في الأخلاق: أن تتعامل مع المسلمين بأخلاق اليهود، فتخونهم، وتتعرض لهم، وتوغل لهم الدسائس، وتكيد لهم المكائد، وتتقفاهم وتطلب العثرات، وتفرح بزلاتهم، هذا كذب بلا إله إلا الله، وقس على ذلك كثيراً من الأمور.

الشرط السابع: المحبة، أن تندفع إلى الدين بمحبة، وأن تأتي إلى المسجد، وصدرك منشرح، فالله سبحانه وتعالى قال في المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النِّساء: ١٤٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التّوبَة: ٥٤]. فالمنافق ينفق وهو كاره، يأتي إلى المسجد وهو كاره، ويحضر المحاضرة وهو كاره.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أما المؤمن، فيحب، ويحمد الله عزّ وجل على أن أجلسه في المسجد، وعلى أن جعله يصلي، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ولم يجعله شيوعياً، ولا نصرانياً، ولا يهودياً، ولا بوذياً، أي نعمة هذه؟! لقد كان في الإمكان بقضاء الله وقدره، وبحكمة الباري أن يولد الإنسان كافراً، أن يعيش كافراً، وأن يموت كافراً، ولكن اختاره الله، واصطفاه من بين الألوف المؤلفة، والملايين المملينة لتكون مسلماً، فتحب وتقول: لا إله إلا الله بمحبة، وتعتقد لا إله إلا الله محبَّة، وتحمل السنن محبة.

والحقيقة: إن بعض الناس يتضايق من السنن، فتراه يعمل بعض السنن، فيقول: والله في قلبي حرج، ولولا بعض الأمور والمجاملات لتركتها، والحرج الذي يشعر به في قلبه علامة على أنه لا يحب ما جاء به الرسول ﷺ.

الشرط الثامن: الكفر بما سوى الله تعالى: يقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦]. التحلِّي، والتخلي: أن تكفر بغير الله عزّ وجل، فلا تتعلق بغيره سبحانه وتعالى، من وثن، أو صنم، أو نجم، أو كوكب، أو شمس، أو قمر، أو شيخ، أو معلم، أو رئيس. لا تتجه إلا للواحد الأحد، يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

وصور الشرك مثيرة، ومنها متطور، ومنها بسيط، ومنها أبجدي، ومنها عالي المستوى معقد، فكل بحسبه.

فنجد بعض الناس عند المشعوذين، والكهنة، والسحرة، والأنصاب، والأزلام، إلا من رحم الله.

وبعض الذين تعلّموا، وأخذوا نصيباً من العلم عند المشايخ،

يقدّم رأي الشيخ على كلام الله عزّ وجل، وكلام رسوله ﷺ، إلا من عصم ربك.

وبعض الناس يقدس الكيانات المخالفة لأمر الله عزَّ وجلَّ ورسوله، والاتجاه إلى غير الله عزّ وجل، وإلى المصادر التي ما أنزل الله بها من سلطان.

هذه صور من صور الشرك، وهي تتطور مع تطور الزمن، ولكن تبقى مظلة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ما معنى محمد رسول الله؟

أن تشهد أن هذا الرجل الأمي الهاشمي التِّهامي المكي ﷺ، بعثه الله خاتماً للرسل، فهو معصوم: لا ينطق عن الهوى، ولا يقول إلا وحياً، وأنه قدوة للناس، وأن من لم يتّبعه دخل النار، وأنه لن يُبعث أحد بعده، وأنه ﷺ ما كتم من الوحي شيئاً، ولا خان، ولا غشَّ، ولا ضلَّ ﷺ. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٢ ـ ٤].

ما هو حق الله على العبد؟

لله عزَّ وجلَّ عليك حقوق، ولك حقوق أوجبها الله تعالى على نفسه، ولم يوجبها أحد من الناس عليه.

أما حقوقه سبحانه وتعالى: فالعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذّاريَات: ٥٦]. والعبادة لله عزَّ وجلَّ علىٰ نوعين(١):

١ ـ نوع لا يتخلف عنه أحد وهو قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ [مريم: ٩٣]، وهو الاستسلام لقضاء الله عزَّ وجلَّ الكوني.

---

(١) انظر لهذا المعنى «مجموع الفتاوى» (٢٣/١).

٢ - ونوع لا ينقاد له إلا المسلمون، وهو أمر الله عزَّ وجلَّ الشرعي وهو مطلوب الرب عزَّ وجلَّ من العباد.

والله يطلب من العبد أن يتقربَ له بالعبودية، ولا تتقرب من الله، ولا يحبك الله، ولا تكون أقرب الناس إليه إلا إذا عبدته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مَساءَته**» الحديث[(١)]، فدلّ الحديث على أنه كلما تقربت من الله بالنوافل قرّبك منه، وإن أقرب الناس منه العابدون، قال تعالى عن الأنبياء: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

الاستعانة:

أن لا تستعين إلا بالله سبحانه وتعالى لقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، ولقوله ﷺ: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**»[(٢)].

وهذا فيه تفصيل لأهل العلم: قالوا: يُستعان بالبشر فيما يقدر عليه البشر، فلك أن تستعين بالإنسان، ليحمل معك غرضاً في سيارته،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (١/٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦) وحسنه، وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه جماعة من أهل العلم، انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/٤٨٠ ـ ٤٨٣)، و«الضعفاء» للعقيلي (٣/٥٤، ١٧٩، ٣٩٨).

أو أن يوصلك مكاناً، أو أن يدلك على مقصد، أو أن يبني معك بيتاً، فهذا يقدر عليه البشر.

لكنّ الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، فحرام أن تستعين بغيره فيها، كطلب الشفاء، والعافية، والرزق، وكالإماتة، والإحياء، وتسهيل الأمور، وتفريج الكرب، فلا يقدر عليها إلا الله ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ﴾ [النَّمل: ٦٢]، **«وإذا استعنت فاستعن بالله»**(١).

الاستغاثة:

يقول سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، وقد نُقل عن معروف الكرخي، أنه كان يقول في المجلس الواحد فيقول: «واغوثاه واغوثاه!» أكثر من ألف مرة، فقيل له في ذلك فقرأ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، فلا تستغيث إلا به سبحانه وتعالى.

وبعض الجهلاء يظن أن بعض الناس له سبب في نزول المطر، وأنه بوجوده، أو بحضوره، أو ببركته، أو بكذا ينزل الغيث، فهذا شرك بالواحد الأحد، فلا يُنزل الغيث إلا الله.

قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٩، ٦٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى

---

(١) انظر «بدائع التفسير» (١/١١٠ ـ ١١١) مهم.

ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

الرجاء:

أن ترجو الواحد الأحد لدفع المفاسد وجلب المصالح.

فتجد بعض من يشرك في قضية الرجاء، فيرجو من غير الله أكثر من الله تعالى، فيقول للناس: أنتم سهلتم هذه المسألة، ولو لم تفعلوا ما تسهَّلت، فهذا شرك بالمولى تعالى.

فوالله، الذي لا إله إلا هو، لو لم يسهِّلها الله ما تسهَّلت، يقول لآخر: أنت الذي فعل وصنع، وأنت الذي قرر، وأنت الذي سهّل، وأنت الذي يسّر، وينسى الواحد الأحد.

والصحيح: أن مقاليد الأمور بيد الواحد الأحد، تبارك الله رب العالمين.

الخوف:

يقول سبحانه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥]، وفي الرغبة والرهبة يقول جلّ وعلا: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ﴾، فيجب عليك ألا تخاف إلا من الله سبحانه وتعالى.

ولا أقصد الخوف الطبيعي، فإن الإنسان قد يخاف من الأسد، وقد يخاف من الثعبان، فهذا مركب في الفِطَر، لكنّ بعض الناس يخاف من بعض الناس أن يمنعه من الرزق، أو يحرمه من الحياة، أو يغير عليه القضاء والقدر، أو يمنعه من الولد، أو غير ذلك، فهذا سوء ظن بالمولى سبحانه وتعالى.

ويدخل في ذلك المسألة، فالرسول ﷺ يقول: «**وإذا سألت فاسأل الله**»(١)، فلا تسأل غيره.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر: **٦٥**]. وجاء في حديث الرسول ﷺ لمعاذ: «**لا تشرك بالله وإن قُطِّعت وحُرِّقت**»(٢). ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحجّ: **٣١**].

الذبح:

والذبح عبادة من العبادات، يقول تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝﴾ [الكوثر: **٢**] أي: انحر لربك كذلك.

فما دام الذبح عبادة، فلا يحل صرف هذه العبادة لغير الله تعالى.

ومعنى الذبح لغير الله، أن يذبح ذبيحته لغير الله عزّ وجل بأن يتقرب بها إلى وثن أو مخلوق، أو لدفع ضرٍّ أو جلب منفعة.

وهناك بعض الصور جائز الذبح فيها مثل: أن تذبح للضيف، وقصدك: إكرامه، وما ذبحت للضيف معتقداً، أنه يشفي ويعافي، وأنه يدفع المكروه ويجلب الرزق، وإنما المقصود بهذا: الإكرام لهذا الضيف.

ومن صور الذبح لغير الله: مثل الذين يذبحون عند الكهنة،

---

(١) صحيح، سبق تخريجه (ص٣٦).

(٢) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٢٣٨/٥) من حديث معاذ. قال المنذري: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع؛ فإن عبدالرحمٰن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ» وهو كما قال، وله شاهد من حديث أبي الدرداء فيه شهر بن حوشب، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٨)، وابن ماجه (٤٠٣٤).

والمشعوذين، أو يوصونهم بالذبح في صور متعددة، وبعضهم إذا بنى البيت ذبح ليخرج الجن، أو لئلا يسكن الجن في البيت، وبعضهم يذبح إذا وُصف له مرضُ مريض، فقالوا: لا يشفى مريضك، حتى تذبح له ديكاً أسود أو ديكاً أبيض أو ديكاً رومياً مولوداً في شهر صفر! إلى غيرها من هذه الخرافات والخزعبلات، فيذبح معتقداً ذلك، ومما يلحق بهذا الذبح ما يوجد في بعض المجتمعات من المعتقدات أن المرأة إذا انتهت عدتها، فإنها لا بد أن تُذبح لها ذبيحة، وهذا في حد ذاته مخالف لسنة المعصوم ﷺ وهو: بدعة، ولم يُعرف عنه ﷺ، ولا عن أصحابه أنه أمر بالذبح للمعتدة إذا خرجت من العدة؛ وقال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1].

عدم صرف شيء من العبادة لسوى الله عز وجل:

مثل: الدعاء، أو التوجه، أو القصد، أو المسألة، أو الخوف، أو الرجاء، فهذه ومثيلاتها لا تصرف لغير الله تعالى فمقتضى شهادة أن لا إلٰه إلا الله: إخلاص العبادة لله وحده، ونفيها عمن سواه، وهو معنى لا إلٰه إلا الله، فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله، فكل ما عبد من دون الله من بشر، أو ملك، أو جني، أو غير ذلك، فكله معبود بباطل، والمعبود بالحق هو الله تعالى وحده لا شريك له كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ [الحج: ٦].

وقد سبق بيان أن الله تعالى خلق الجن والإنس لهذا الأصل، وأمرهم به، وأرسل به رسله، وأنزل به كتبه، وأقام له سوق الجنة والنار ليهلك من هلك عن بينة، ويحيىٰ من حي عن بينة، فإذا تأملت

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

هذا جيداً، اتضح لك ما وقع فيه أكثر المسلمين من الجهل العظيم بهذا الأصل، حتى عبدوا مع الله غيره، وصرفوا العبادات التي هي خالص حقه سبحانه لسواه، والله المستعان.

المسائل الأربع:

أنا وأنت والمسلمون مكلَّفون، فما هو واجبنا؟

واجبنا أربعة مسائل: فلا بد أن تحفظها وتعمل بها.

المسألة الأولى: التعلم:

والتعلم، ليس معناه: أن تتعلم دقائق المسائل، وتفسير العلوم فتصبح مثلاً أستاذاً، أو عالماً من العلماء، أو بحراً من البحور، لا، بل يجب على كل مكلف، من مسلم أو مسلمة: أن يتعلم أصول المسائل الشرعية. وهذا التعلم: واجب على كل مسلم ومسلمة. والتعلم هو: أن تتعلم أشياء، أذكرها لك لاحقاً، وتعلّمها أمك، وجدتك، وأباك، وجدك، وكلًّ من تدعوه إلى الله عزّ وجل.

المسألة الثانية: العمل:

المسائل التي تتعلمها يجب أن تعمل بها، وإلا لن ينفعك علمك في الدنيا ولا في الآخرة ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣]. والذي يتعلم العلم ولا يعمل به معذب من قبل عُبّاد الوثن.

المسألة الثالثة: التبليغ أو الدعوة لها:

تبليغ ما تعلمت للعالمين وللناس، وهذه هي المرتبة الثالثة:

تَعَلُّمٌ، وعَمَلٌ، وتبليغ، ومَن فعل هذه الثلاث يدعى في الملكوت الأعلى بالربَّاني.

والربَّاني[١] هو الذي: يتعلم العلم، ويعمل به، ويُعَلّمه، ويصبر عليه، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

المسألة الرابعة: الصبر على الأذى:

لماذا لم يقل: الشكر على الموهبة؟ وإنما قال: الصبر على الأذى؟ لأن الصبر على الأذى لا بد منه، قال تعالى على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان: ١٧]. قالوا: لأنه إذا أمر ونهى، وعلّم ودرَّس ودعا، لا بد من أن يؤذى فلا بد أن يصبر، فمن فعل هذه الأربع فهو رباني، ينفع الله عزَّ وجلَّ به الناس نفعاً عظيماً، وهو من أتباع الرسل، وهو من الفائزين عند الله سبحانه وتعالى.

قال سبحانه: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

ما هو العلم الذي نتعلَّمه؟:

العلم هو: العلم النافع الذي بُعث به ﷺ، عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة**

---

(١) انظر «فتح الباري» (١/١٩٢).

أخرىٰ إنما هي قيعان، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[١]، وقال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محَمَّد: **١٩**]. قال البخاري: «باب: العلم قبل القول والعمل»[٢]. والعلم النافع: علم الشريعة، إذا أطلق العلم في الكتاب والسنة، فالمقصود به: علم الشريعة، أما إذا خصص وقيد، فقد يقصد به مثلاً: الهندسة، وعلم الفلك، وعلم الطب، فهذا لا بد أن يقيَّد ويخصَّص، أما العلم النافع فهو: معرفة الله تعالى، ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام، ثلاثة مسائل وقضايا كبرى تنجيك عند الله عزّ وجل:

أ ـ أن تعرف الله معرفة صحيحة كما عرفه الأنبياء والرسل.

ب ـ أن تعرف الرسول ﷺ ومَن يكون؟.

جـ ـ أن تعرف الإسلام.

معرفة الله عز وجل:

لا بد أن تعتقد أن التوحيد ينقسم إلى:

أ ـ توحيد الربوبية.

ب ـ توحيد الألوهية.

جـ ـ توحيد الأسماء والصفات.

وربما يقول البعض: أن هذا الكلام حفظناه، فأقول: لا بد أن نكرره، ونعيده، وندرّسه، ونعمل به، ونبسط القول فيه، ليلاً نهاراً؟

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

(٢) «فتح الباري (١/١٩٣).

لعظم شأنه، فقد دعا النبي ﷺ ثلاثة عشرة سنة إلى (لا إله إلا الله)، وكلها توحيد.

١ ـ توحيد الربوبية:

أقرَّ به أبو جهل، وأبو لهب، ومشركو قريش، يقول سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر: ٣٨]، وأقر أبو جهل أن مَن يخلق الشجر هو الله، ومَن أوجد الصخر هو الله، ومَن خلق الإنسان هو الله، لكنه خالف توحيد الألوهية.

والأنبياء بُعثوا لتوحيد الألوهية، قال بعض أهل العلم: الأمم جميعاً تثبت توحيد الربوبية لله، حتى فرعون أنكر في الظاهر، لكن في الباطن أثبته، أثبت الخالق في الباطن حتى يقول له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

٢ ـ توحيد الألوهية:

أن تعتقد أن (لا إله إلا الله)، وأنه لا يستحق العبادة إلا الله، بأنواع العبادة من ذِكْر، ودعاء، واستعانة، ومسألة، وخوف، ورجاء، وحب، إلى غير ذلك.

٣ ـ توحيد الأسماء والصفات:

وهو من جملة[١] الإيمان بالله عزَّ وجلَّ: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير: تكييف ولا تمثيل، فهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا ننفي عنه ما وصف

---

(١) انظر «الواسطية» (٥٧).

به نفسه، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، ولا نلحد في أسمائه وصفاته وآياته، ولا نمثله بأحد من خلقه؛ لأنه سبحانه: لا سمي له، ولا كفواً، ولا نداً، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

۞ قواعد الأسماء والصفات:

أهل السنة لهم قواعد أربع في الأسماء والصفات:

١ ـ الإثبات المفصَّل.

٢ ـ النفي المجمل.

٣ ـ الإثبات المقيد.

٤ ـ الاستفصال.

١ ـ **الإثبات المفصَّل**: فهم يثبتون للّه صفات الكمال مفصَّلة فيقولون: «كريم، رحيم، عليم، حليم، واسع، بَرّ، لطيف» إلى غير ذلك. يسردونها مفصَّلة ويثبتونها.

٢ ـ **النفي المجمل**: فهم ينفون مجملاً، فيقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. فلا يقولون: الله لا يجوع، الله لا ينسى، الله لا يضل، والله لا يبخل، لا يقولون هذا، فهذه طريقة أهل الكلام.

٣ ـ **الإثبات المقيد**: يثبتون للّه بعض الصفات مقيدة مثل: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. فالله عزّ وجل له سخرية. لكن تُثبت هذه الصفة مقيّدة فنقول: يسخر سبحانه ممن يسخر منه، وهكذا الاستهزاء كقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥] يستهزىء سبحانه بمن يستهزىء به إثباتاً مقيداً. وهكذا المكر والخداع في قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النِّساء: ١٤٢].

٤ ـ **الاستفصال**: فأهل السنة يستفصلون في ألفاظٍ ليست في الكتاب ولا في السنة. كأن يقال لك: الله مهندس الكون، فإن ذهبت تقول: نعم، أخطأت، لأنه قد يكون في الكلام شيء لا تدري به. وإن قلت: لا.. أخطأت لأنك تنفي معنىً صحيحاً، لكنك تستفصل.

فتقول للقائل: ما معنى مهندس الكون؟ فإذا قال: يعني خلق الكون ودبره وصَنَع الكون وأبدَعه، فتقول: معناك صحيح ولكن اللفظ خطأ بل تقول: الله خالق الكون.

وإذا قال: مهندس الكون معناه: يهندس الكون مثل ما يهندس المهندس العمارة، فنقول له: أخطأت في المعنى وفي اللفظ.

حقيقة بعثة الرسل:

اعلم، حفظك الله، أن الرسل بُعثوا جميعاً لتوحيد الله عزّ وجل، بُعثوا بلا إله إلا الله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] بُعثوا بلا إله إلا الله، فهي دعوتهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام. وقد تختلف شرائعهم في التفصيل، ولكن في مسألة المعتقد بُعثوا بلا إله إلا الله، وأن لا يعبد بحق إلا الله سبحانه وتعالى.

الموالاة في الله:

عليك ألا توالي إلا في الله، وأن تبرأ من أعداء الله، وتحب في الله، وتبغض في الله، وتعطي في الله، وتمنع في الله، إذا فعلت ذلك فقد استكملت الإيمان.

الولاء يعني: أن توالي في الله عزّ وجل لسبب أن هذا الشخص ملتزم بعهد الله، تحبه بحسب ما فيه من طاعة، وتبغضه بحسب ما فيه من معصية، فلا تبغض بسبب القبيلة؛ لأنه من قبيلة أخرى، أو من

شريحة أخرى، أو من لون آخر، أو من بلد آخر، أو من شعب آخر، فمن فعل ذلك فقد خان (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣].

وتبغض في الله، فصاحب المعصية تبغضه، لا لأنه من قبيلة أخرى، أو من أسرة أخرى، بل لأنه عاص، ثم تحبه على حسب ما فيه من طاعة، فقد يجتمع الحب والبغض في شخص واحد.

ومنها: المنع والعطاء، فتعطي وتريد ما عند الله، وتمنع وتريد المصلحة في المنع مرضاةً للّه عزّ وجل.

معرفة الله:

اعلم، حفظك الله، أن الله عزّ وجل يُعرف بآياته ومخلوقاته، فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل ربي الله، الذي رباني بنعمه. هذا السؤال لا بد أن تجيب عليه بالعمل.

وبماذا عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته: الشمس والقمر، الليل والنهار، الشجر والحجر، السناء، الضوء، الماء، الجبل، الرابية.

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد
فيا عجباً كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

يقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يُونس: ١٠١]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١﴾ [ق: ١٠، ١١]، ويقول: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

أما تأملت الروض؟ أما دخلت الحديقة؟ أما فتَّشت البستان؟ تجد

كل ورقة، وكل زهرة، وكل نبتة، وكل وميض من ضوء، وكل قطرة من ماء تدل على الله.

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لُجين شاخصات بأحداق هي الذهب السبيك
على كُثُب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

معرفة دين الإسلام:

هو: الاستسلام للّه بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك.

فلا تترك في قلبك ذرة شرك.

أما أركانه فهي خمسة، كما هي معلومة، وهي: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج).

الإيمان:

وهو: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فمن فعل ذلك فهو المؤمن، وارتفع الدرجة الثانية.

الإحسان:

وتعريفه: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1]. يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٨، ٢١٩]، هذا أعلى شيء، وأغلى شيء. وهي درجة أبي بكر الصديق.

(١) هو حديث جبريل المشهور، أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وانفرد مسلم (٨) برواية عمر رضي الله عنه.

ذكر أهل العلم عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال على المنبر: «أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء، فوالله الذي لا إله إلا هو إني أذهب إلى الخلاء لقضاء حاجتي وأضع ثوبي على وجهي حياءً من ربي».

طاعة الرسول ﷺ فيما أمر:

ما أمر به الرسول ﷺ: إما واجب، وإما مستحب، فلا يأمر ﷺ بمحرّم ولا بمكروه. يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وكل ما أمر به ﷺ هو خير لك في الدنيا والآخرة.

وتصديقه فيما أخبر.

وأخباره ﷺ على ثلاثة أقسام:

أ - خبر ما مضى من القرون السابقة، فنصدقه ﷺ، فإذا أخبرنا عن أمة نوح، أو عن قوم فرعون، أو عن أي قرية صدَّقناه ﷺ، فهو لا ينطق عن الهوى، ولا يكذب على الله، وهو معصوم من الكذب.

ب - وإذا أخبرنا بالأمور المستقبلية، كأن يقول: علامات الساعة: خروج الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من المغرب، وغيرها من الآيات صدّقناه ﷺ واعتقدنا أن ما قاله صحيح.

ج - ثم إذا أخبرنا عن الأمور الغائبة، كاليوم الآخر، والميزان، والصراط، والعرض، والكرسي، والجنة والنار، صدقناه ﷺ، ومَن لم يفعل هذا فهو نفسه كاذب عند الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

واجتناب ما نهى عنه وما زجر ﷺ.

والذي نهى عنه ﷺ أحد قسمين:

أ - إما مكروه.

ب - وإما محرم.

فلا ينهى عن واجب، ولا ينهى عن مستحب، فإذا نهاك عن شيء، فاعلم أن الفلاح والنجاح والخير في اجتناب ما نهى عنه ﷺ.

وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع: تجد بعض الناس يعبدون الله ببدع، ويظنون أنهم أحسنوا، كبعض العبّاد المجتهدين على جهل، تجد عندهم طقوس ومراسيم ما أنزل الله بها من سلطان، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

وقد أخبر ﷺ أن بعض الناس قد يقع فيما وقع فيه اليهود بأن يتعلَّموا ولا يعملوا. وأن من العباد من يقع في ما وقع فيه النصارى أن يعبدوا الله بغير علم.

محبة رسول الله ﷺ:

ينبغي عليك محبة الرسول ﷺ المحبة الكاملة التي تُظهر الولاء له ﷺ، وتقدمه على روحك، ووالدك، وعلى أهلك، وعلى كل ما تملك، فتحب الرسول ﷺ، ثم لا تغالي في حبك بأن تعتقد أنه ينزل بالغيث، وأنه يشفي المريض، أو كمن يذهب إلى قبره في الروضة فيقول: يا رسول الله، أقلني عثرتي يا سيدي في اكتساب الذنب في خمسين عاماً، فمن فعل ذلك فقد أشرك.

أو يذهب فيقول: يا رسول الله، امرأتي مريضة، فاشفها يا رسول الله، فقد أشرك بالله، إلى غير ذلك.

الحذر من السحرة والعرّافين والمشعوذين:

لا يُؤتى السحرة، ولا العرَّافون، ولا المشعوذون، وهؤلاء أعداءٌ للأنبياء والرسل، فقد سيَّروا العالم في القديم بخرافات، وخزعبلات، وتحكموا في ضمائر كثير من البشر، مع أنهم أذكياء، لكن أضلّ الله هؤلاء بهؤلاء. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]، ويقول ﷺ: «**من أتى كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(١).

ويقول ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(٢).

ويقول ﷺ: «**من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**»(٣). عجباً للإنسان يوم يمرض، أو تمرض زوجته، أو يمرض طفله، فيذهب إلى رجل يقرطس، ويشعوذ، وينفث، ثم يدّعي بأنه يشفيه!

وهؤلاء الواجب الأخذ على أيديهم، وإيقاف نشاطهم، وإبلاغ المسؤولين عنهم، ومحاربتهم، والتنكيل بهم، وتشهير أمرهم، والوقوف ضدهم.

الألفاظ الشركية:

ينبغي على المسلم تجنب الألفاظ الشركية، مثل قول بعض

---

(١) صحيح، رواه البزار كما في «الكشف» (٣٠٤٤)، والطبراني في «الكبير» (١٦٢/١٨) بنحوه من حديث عمران بن حصين، رضي الله عنهما، وقال الحافظ في «فتح الباري» (٢١٧/١٠): سنده جيد.

(٢) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٤٢٩/٢)، وأبو داود (٣٧٥٣)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٠١٧)، وابن ماجه (٦٣٩) مختصراً، والحاكم (٨/١) وغيرهم من حديث أبي هريرة. وصححه الحاكم، وأقره الذهبي، وهو كما قالا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣٠) من حديث بعض أزواج النبي ﷺ.

الناس: (ما شاء الله وشئت)، بل ما شاء الله وحده. وبعضهم يقول: (الله والنبي)، وهذا شرك بالواحد الأحد، فالله وحده، فالنبي بشر، وهو عبدُ الله وحدَه، فكيف تقرنه بالله؟!

وقد رأيتُ في بعض المجالس يكتبون على صحيفة (اسم الجلالة) في الميمنة وفي الميسرة (محمد)، وهذا لا يجوز، وقد نبّه كثير من العلماء على هذا، الله إله، ومحمد بشر وعبدٌ خلقه الله، فحتى الموازنة في الاسم لا تجوز. الله وحده، ولا إله إلا الله.

ومنها أيضاً: (الله والنبي محيّيك)، يقولها بعض الناس وهذا خطأ وشرك لا يجوز، (ولولا الله وفلان)، وهذا لا يجوز إنما الذي يجوز لولا الله ثم فلان.

وقد تواترت أحاديث النهي عن هذه الألفاظ الشركية تواتراً معنوياً، كلها تحذر من الإشراك بالله تعالى، ولو في الألفاظ.

فعن حذيفة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقولوا ما شاء الله وما شاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان»**[(١)].

ومنها: قوله ﷺ: **«من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»**[(٢)].

ومنها: قوله ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد أشرك»**[(٣)]. وغيرها كثير.

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٣٨٤/٥)، وأبو داود (٤٨١٥)، والبيهقي (٢١٦/٣)، وغيرهم من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر، سمعت عبدالله بن يسار، عن حذيفة، وهذا سند صحيح، رجاله رجال الشيخين غير ابن يسار وهو ثقة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر.

(٣) صحيح، رواه أحمد (٣٤/٢)، والطيالسي (١٨٩٦)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٨٢٦) من حديث الأعمش ومنصور عن سعيد بن عبيدة، عن ابن عمر، عن عمر بنحوه. وهو عند أبي داود (٣١٢١)، والترمذي (١٥٣٥) من حديث ابن عمر، وهو حديث صحيح.

قال ابن عباس: «الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله، وحياتك؛ فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك»(١).

وهذا كله من الشرك المنهي عنه.

تقديس العادات ومعارضة الشرع بها:

بعض الناس رسخت في ذهنه بعض عادات القبيلة، أو القرية، والبادية والأهل، على الرغم من تصادمها بمفاهيم الشريعة الغراء، حتى لا يستطيع أن يتنازل عنها أبداً، فإذا أتيته بالدين قال: عشنا عليها ونشأنا على هذه الأمور، وتأتينا فيما بعد تغيرها الآن، وأنت ما زلت طفلاً!

فهؤلاء ككفار قريش الذين قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزّخرُف: ٢٣]. وبعضهم يقول: «سلوم القبائل»، حتى أن في بعض المكاتبات إذا اعتدى أحد على أحد من القبيلة قامت القبيلة ضد تلك القبيلة، ومن تخلَّف منهم قالوا: ليس منا! وهذا حِلْفٌ باطل، وظلم؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، قال: يا رسول الله، أنصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: «**تأخذ فوق يديه**»(٢).

وبعضهم يقول في نصر القبيلة: (ما للرفيق إلا رفيقه، إما يبيعه أو يشتريه).

---

(١) انظر «كتاب التوحيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، و«فتح المجيد» (٢/٢١٥ ـ ٢٢١) فهو مفيد.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فهذا حِلْفٌ يخالف منهج الرسول ﷺ، ويخالف الإخاء الإيماني الذي بُعث به ﷺ القائم على مبدأ الولاء والبراء، كما سبق وأشرنا، يقول تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

وبعضهم يخالف في مسألة الحجاب ويقول: نشأنا والمرأة لا تتحجَّب، ولا يحجبون نساءهم، ويقولون: ليس في قلوبنا شيء! قلوبنا نظيفة وطاهرة وطيبة! أما الأمور التي أتيتم بها عن الحجاب فلا نريد أن نسمعها!

قال أهل العلم: يخالفون الشرع الحنيف بعاداتهم.

تعليق التمائم:

فمنهم من يعلِّق تميمة، وقد قال رسول الله ﷺ: **«من علق شيئاً وكل إليه»**(١).

تعليق الحجب:

وهي قراطيس يضعونها على المرضى، ورأيت بعضها ملفوفة في مثل الدفتر الصغير، وخيّطت بمخيط، ومكتوب فيها كلمات لا تُعرف. فمن علق هذه، فلا أتمَّ الله له، ولا شفاه، ولا عافاه، ولا كفاه، ومنهم من يدفع نقوداً ليعلقها.

ومنها: أن الحامل، أو العقيم تأخذ خيطاً لتحمل من مقرطس ومشعوذ! وهذا مخالف لمنهجه ﷺ.

---

(١) حسن، أخرجه الإمام أحمد (٣١٠/٤)، والترمذي (٢٠٧٢)، والحاكم (٢١٦/٤) من حديث عبدالله بن حكيم رضي الله عنه، وإسناده حسن لكلام في بعض رواته.

ومنها: أن بعضهم يأخذ شيئاً ليمنعه من العين، ويعلقه على باب البيت، ومنهم: من كان يعلق بيضة دجاجة، ويقول: هذه تمنع من العيون والحساد!

ومنهم من يتشاءم بأصواتٍ مثل: صياح الثعلب، فيقول: (أعوذ بالله من البلاء ـ أعوذ بالله من الشر)، والثعلب لا يملك ضراً ولا نفعاً.

ومنهم من يتشاءم بالغراب حتى يقول:

نعب الغراب فقلت نح أو لا تنح فلقد قضيتُ من العناء ديوني

وقال آخر:

زعم البواح أن رحلتنا غداً وبذاك تنعاب الغربُ الأسود

ومنهم: من يتشاءم ببعض الأشياء، وبعض الأرقام، فبعضهم يأتي للرقم سبعة فيقول: ستة، ويقفز السبعة، ويقول: موفّى ثمانية! فمن فعل ذلك فقد اعتقد في الأرقام، وقد أشرك في هذه الأمور، واعتقد أن غير الله يضر وينفع.

ولا يضر ولا ينفع إلا الله عزّ وجل، فلا بد للإنسان أن يقول هذا الرقم، ويعتقد أنه رقم.

ومنها دعوة الجن، نسأل الله عزّ وجل أن يعافينا، فيقول: (خذوا فلان، ودمّروه، وطيروا به).

هذه الألفاظ شركية، ومن اعتقدها فقد أشرك، ومن لم يعتقدها ولفظها لفظاً فقد أذنب ذنباً عظيماً، ولقي الله بعمله.

ومنها: لبس السواد مدة الحداد، فإن بعض النساء تعتقد أنه لا يجوز لبس غير السواد مدة الحداد، وأن غيره من الألوان لا يجوز لبسه وهذا خطأ.

ومنها: الحلف بالطلاق، وهو منتشر ومتفشي، فهم يحلفون بالطلاق، ولا يحلفون بالله عزّ وجل، وهذا خطأ، وتجد بعضهم يعظم هذا اللفظ أكثر من تعظيمه لفظ: (والله، وبالله، وتالله)، إذا حلفت لهم

وأقسمت لهم بأن يأتيك، أو يزورك، فلا يوافق، فإذا حلفت بالطلاق وافق، فجعل الطلاق أعظم من اليمين، وهذا من الألفاظ المذمومة عند أهل العلم، ولا يجوز الحلف بالطلاق، فمن حلف بالطلاق، فعليه أن يتوب، ويستغفر، ويكفر كفارة يمين[١].

الاعتراض على القدر:

ومنها الاعتراض على القدر، فإن بعض الناس يعترضون على القضاء والقدر، ويتسخَّطون عليه، فإذا مات لأحدهم ابن يقول: يا رب ما اخترت إلا ابني، وبعضهم إذا رسب قال: يا رب، ترسب ابني، وتنجح أبناء الجيران.

فكأنه يتدخل في حكم الله عزّ وجل، ويلوم الله على قضائه وقدره، الله سبحانه وتعالى له الخيَرة، وله الأمر أولاً وآخراً، وما لنا إلا الرضا والتسليم.

لا تقل كيف ولا أين الوصول   واتبع خير الملأ ذاك الرسول

وأخيراً:

هذه الرسالة موجزة ميسرة للمقصِّرين من أمثالي، حتى يُعرف هذا الدين متجنباً التوسع والاستطراد وشرح الجزئيات.

وأسأل الله العلي العظيم أن يجعل فيها الفائدة المؤمّلة والنفع المرجو، كما أسأله سبحانه أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا يوم نلقاه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

(١) انظر «المغني» (٣٨٦/٩ وما بعدها).

مدرسة أهل السنَّة والجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها الكرام البررة، يا تلاميذ المدرسة الربانية، مدرسة أهل السنة والجماعة، المدرسة الخالدة التي تستفيد وتعطي وتنتج.

هذه المدرسة إمامها محمد ﷺ، ومن تلاميذها: الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ عبدالعزيز بن باز وغيرهم.

يذكر أهل التراجم: أن أحد المحدِّثين أتته سكرات الموت، وكان طوال حياته يسمع حديث المصطفى ﷺ، ويعيش معه، ويحبه.

فلما سمع حديثاً، وهو في سكرات الموت، استفاق، وجلس.

قالوا: أتجلس، وأنت في سكرات الموت؟

قال:

سقوني وقالوا لا تغنِّي ولو سقوا جبال سليمى ما سُقيتُ لَغَنَّتِ

والبيت لمجنون ليلى، ومعناه: أنه لما سُقي الخمر سكر وغنّى فقالوا: لا تغني، الغناء حرام!

قال: تسقوني الخمر، ولا أغني.

فالدعاة مصرون على أن يمضوا على الطريق، طريق مدرسة أهل السنة.

عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار يقال له: (يعفور).

ومعلم البشر ﷺ وخير من خلق الله، ومخرج الإنسان من الظلمات إلى النور بإذن ربه عزَّ وجلَّ يركب على حمار.

فلما أردفه قال: سار بنا الحمار فعثر فسقطتُ أنا والرسول ﷺ.

لك أن تتصور المشهد العجيب!

وقام ﷺ ثم ركب ثانية، فعثر الحمار فسقط فقام ﷺ يضحك.

فقال الرسول: «**يا معاذ، هل تدري ما حق الله على العباد؟**».

قال معاذ: الله ورسوله أعلم.

قال: «**حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**».

ثم سار فقال: «**هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟**».

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «**حقهم ألا يعذبهم**».

قال: أفلا أبشر الناس؟

قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

وهي بشرى، تحرَّج معاذ أن يخبر بها الناس في زمنه.

ولكنه أخبر بها عند موته تأثماً، لأنه خاف أن يتكل الناس على هذا الحديث ويتركوا العمل.

ولذلك قال الإمام الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمة الله عليه: (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب).

ثم أتى بهذا الحديث.

فهي بشرى أنقلها بين أيديكم من محمد ﷺ.

أيها الإخوة الكرام، في مضمون الحديث مَطَالب يُطَالِبُ بها الداعي إخوانه، وطلابه، وأحبابه، في هذه الفترة الحرجة من فترات التاريخ التي كثرت فيها الردود، والأهواء، وتشعبت فيها الأفكار، وتفرقت الكلمة.

فما هي العصمة يا عباد الله؟

إنها كتاب الله، وسنة محمد ﷺ، والالتجاء بعد الله إلى العلماء، وإلى أهل الفقه في الدين، وإلى علماء أهل السنة والجماعة، ومنهم كبار العلماء في بلاد المسلمين، فإن لهم من الحسنات ما الله به عليم، وإن جانبهم الصواب في بعض المسائل فهم مجتهدون.

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع

فلهم من العقيدة الصافية، ولهم من الاطلاع، ومن الفقه في الدين، ومن حب الله ورسوله ما يشفع لهم في أخطائهم التي لا يسلم منها البشر.

فالصواب: احترامهم، والالتفاف حولهم، وزيارتهم، ومعرفة قدرهم، فإنها من الأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله تبارك وتعالى.

وميزة أهل السنة: أنهم يحبون العلماء، وأما أهل البدعة: فهم يبغضون، وينفرون من العلماء.

فالواجب على طلاب العلم والشباب: عدم الاستقلال بالرأي والفتوى، دون الرجوع إلى العلماء، في مختلف القضايا التي تعرض للمجتمع.

وقد قيل: رأي الاثنين أحب من رأي الواحد.

وقالوا: ما رأىٰ الثلاثة أحب من ما رأى الاثنين.

وكان عمر رضي الله عنه، إذا وقعت به معضلة جمع أهل بدر يسألهم ويستفتيهم.

وفي بعض الآثار: «**أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار**»(١).

فالواجب على طالب العلم: ألا يستقل برأيه، وأن يشاور أهل العلم وأهل الفضل، وأن يعود إلى العلماء والدعاة.

ولا تعجبه نفسه، فإن العجب مهلكة، ومن كبائر الذنوب، حتى تجد شيخ الإسلام ابن تيمية ينبه على الكبائر التي في القلوب ويغفل عنها الناس(٢).

فنحن نتحدث الآن، عن الكبائر الظاهرة.. مثل: شرب الخمر، والزنا، والسرقة، ولكن هناك كبائر قد تكون أكبر من هذه الكبائر، كالعُجْب، والحسد، والكبر، والغرور، والعياذ بالله، وقد توصل العبد إلى درجة من الطاغوتية، والنمرودية، والتجبر على عباد الله، وعلى غمط الحق، وتحريفه ما لا يعلمه إلا الله.

---

(١) لا يثبت مرفوعاً أبداً، وإن أخرجه الدارمي (١٥٩) منقطعاً، وهو لفظ معروف من قول سفيان بن عيينة: «**أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً**» رواه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢٢٠٩)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٠٧٩).

(٢) انظر المجلد العاشر، والحادي عشر من «مجموع الفتاوى».

حتى تجد من الناس من يقوم الليل، ويصوم الاثنين والخميس، ويقرأ القرآن، ثم يعود يرد الحق، ويعجب برأيه، ويتفلسف على أهل العلم، وينكر فضلهم وقدرهم.

ومنها: عدم التعالي، والتطاول على الإخوة والزملاء، فإن الرسول ﷺ يقول: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد**»(١)، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وكان بعض السلف يرافقون ابن مسعود فالتفت إليهم وقال: عودوا إلى بيوتكم، والله لو علمتم من أنا لحثيتم بالتراب على رأسي.

وكان إبراهيم النخعي إذا جلس إليه أكثر من اثنين قام وتركهم.

فكانوا، رحمهم الله، يندسون خوف الشهرة والظهور.. فنسأل الله أن يخرجنا منها مخرجاً حسناً، وأن يرزقنا وإياكم الصدق والإخلاص والتوفيق.

❁ معالم مدرسة أهل السنة:

أيها الإخوة.. إن مدرسة أهل السنة والجماعة من معالمها:

أولاً: أنها مدرسة تتبع الدليل، وقال الله وقال رسوله ﷺ، فهي لا تتمسك إلا بالوحي، لأن العصمة من التحريف لكتاب الله عزّ وجل ولرسوله ﷺ.

قال ابن القيم، رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين قول فلان

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥)، من حديث عياض بن حمار المجاشعي.

قرأت أن بعض المستشرقين أراد أن يسلم، وقد تعلّم العربية، فقرأ القرآن، فكان سبب إسلامه أن عُرِضي عليه المصحف فابتدأ بسورة البقرة ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ١، ٢]، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقال له أحد الناس: لماذا أسلمت؟

قال: كل كاتب إذا كتب كتاباً، بدأ في المقدمة بالاعتراف بالعجز والتقصير، إلا الله، فإنه بدأ متحدياً الناس أن يوجد في كتابه نقص أو تقصير.

انظر إلى المكتبة انظر إلى رسائل التخصص من: الماجستير والدكتوراة.

فكلهم عند البدء يعتذر طويلاً من الأخطاء والتقصير والغفلة والنسيان.

أما الله تعالى فيقول: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ١، ٢] يقول: ليس فيه شك، ولا نقص، ولا تقصير، ولا تردد، ولا ريبة.

ويقول سبحانه وتعالى عن كتابه: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النِّساء: ٨٢].

آياته كلما طال المدى جدد ... يزينهنّ جلال العتق والقدم
أتى على سفر التوراة فانسلخت ... فلم يفدها زمان السبق والقدم
ولم تقم منه للإنجيل قائمة ... كأنه الطيف زار الجفن في الحلم

فأهل السنة يؤمنون بهذا الدليل وأنه وحي ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجم: ٤]، ويؤمنون بكلام رسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النِّساء: ٥٩].

فمدرستنا: مدرسة أهل السنة والجماعة، شعارها: قال الله، وقال رسوله ﷺ، فليس لها معصومٌ غير الرسول ﷺ.

وتجد بعض الناس يبالغ في حب المنظّرين، أو الدعاة المشهورين، أو العلماء، حتى كأن كلامهم صحيح لا يقبل الخطأ، وكلام غيرهم خطأ لا يقبل الصحة.

وهذا خطأ وأنتم تعرفون فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية لما سئل عمن قال: إنه يجب على الناس أن يتبعوا إماماً من الأئمة ولا يخالف قوله.

فقال: من قال هذا القول يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل! فلا قول إلا قول الله وقول محمد ﷺ[1].

وقد سئل إمام أهل السنة عن مسألة، فأجاب فيها، فقيل له: ماذا يقول فيها الشافعي؟ فقال: لا تقلدني، ولا تقلدنَّ مالكاً ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذنا. (والمقصود: من بلغ درجة الاجتهاد، وأصبح لديه الملكة بأن يأخذ من حيث أخذوا).

وقال ابن عبدالبر: أجمع أهل العلم على أن المقلد ليس من أهل العلم، ولا من طلبة العلم.

المقصود أيها الإخوة الكرام أن ميزة مدرسة أهل السنة والجماعة أنها تتبع الدليل قال الله وقال الرسول ﷺ.

ويقول أحد الفضلاء: على طالب العلم أن يتمسك في كل مسألة بدليل عن المعصوم ﷺ.

فالعلم إنما هو بالدليل، وقد نبَّه سبحانه على هذا فقال: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ

---

(١) انظر «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» (ص١٢ وما بعدها).

﴿هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البَقَرَة: ١١١]، وفي بعض الآثار أن الرسول ﷺ نظر إلى الشمس فقال للرجل: «**أترى هذه؟**».

قال: نعم.

قال: «**على مثلها فاشهد**»(١)، ودلّ على ذلك: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزّخرُف: ٨٦].

والدليل هو: البصيرة ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يُوسُف: ١٠٨]، قال بعض المفسرين: البصيرة: العلم.

وصدق، فإن أتباعه ﷺ لا يتعاملون بأهواء، ولا بعواطف، ولا بكلام فكري، بل بدليل شرعي.

ثانياً: أن مدرسة أهل السنة والجماعة: مدرسة ميسرة، سهلة، بعيدة عن التكلف والتعقيد.

وإنما دخل التعقيد يوم أتى الفلاسفة، وأهل علم الكلام الذين تقعروا وتشددوا في أمور العقائد، وأمور الشريعة حتى أفسدوا الدين.

أُتي للرسول ﷺ كما في السنن من حديث معاوية بن الحكم السلمي بجارية (طفلة) فقال لها: «**أين الله؟**».

فأشارت إلى السماء.

قال: «**أعتقها؛ فإنها مؤمنة**»(٢).

---

(١) ضعيف، أخرجه البيهقي (١٠/١٥٦)، والحاكم (٤/٩٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٧٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٨)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٢١٣) وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وهو وإن صححه الحاكم فقد تعقبه الذهبي بقوله: بل هو واهٍ. وقال البيهقي: لم يرو من وجه يعتمد عليه، قلت: وفي سنده محمد بن سليمان بن مسمول، وهو ضعيف جداً، ضعفه الحميدي، والنسائي، وابن عدي وغيرهم. انظر «نصب الراية» (٤/٨٢)، و«التلخيص الحبير» (٤/٤٧٨)، وكشف الخفا (٢/٩٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٨).

ما أحسن العقيدة! وما أسهل العرض!

وأتاه ضمام بن ثعلبة فسأله ﷺ عن الآيات البينات وعن الله فأخبره ﷺ.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، والله لا أزيد على ما سمعت ولا أنقص، وأنا ضمام بن ثعلبة ثم ولّى فقال رسول الله ﷺ: «**إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة**»[١].

وفي رواية أن أعرابياً سأل النبي ﷺ على عمل إذا عمله دخل الجنة، فلما ولّىٰ الرجل قال الرسول ﷺ: «**من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[٢].

وفي الحديث أن أبا تميمة الهجيمي وفد على الرسول ﷺ وقد أتى من البادية.

فقال للرسول ﷺ: من أنت؟

قال: «**أنا رسول الله**».

قال: مَن أرسلك؟

قال: «**الله**».

قال: مَن هو الله؟

فقال ﷺ للرجل: «**أنا رسول من إذا أصابك قحط وأنت في الصحراء فدعوته كشفه عنك، وأنا رسول من إذا ضلّت عليك راحلتك وأنت في البادية فدعوته ردها عليك**»[٣].

---

(١) حديث ضمام بن ثعلبة أخرجه البخاري (٦٣) واللفظ له، ومسلم (١٤) من حديث ابن عباس ولفظ «**ذي العقيصتين**» رواه الدارمي (٦٥٥) من غير طريق الصحيحين.

(٢) إحدى روايات الحديث السابق.

(٣) صحيح، سبق تخريجه (ص٢٨).

فلم يأتِ ﷺ بتعريف الفلاسفة، أو تعقيدهم فيقول: هو العقل الفعال! أو العلة المؤثرة!!

وإنما أتى بتعريف الأنبياء، بل بتعريف الله لنفسه.

فالله عزّ وجل يعرف نفسه لموسى في أول مكالمة، ولم يكلم الله أحداً من الناس كفاحاً إلاّ موسى، يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤].

فأعظم تعريف للّه عند أهل السنة والجماعة، أنه (لا إله إلا الله).

وفي سورة محمد قال الله للرسول ﷺ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، قبل أن تدعو وقبل أن تعمل وقبل أن توجه وقبل أن تُربي وقبل أن تُرشد ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

فآمن وأسلم.

هذه عقيدة ميسَّرة، يدعو إليها أهل السنة والجماعة، فهم يقدمون أولاً ميثاق التوحيد حتى يقوم الناس على منهج رباني، وكل ذلك بسهولة ويسر ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١، ٢].

وهذا كان منهجه ﷺ حيث وصفه الله بأنه ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فقد بُعث رحمةً ﷺ.

الثالث: من معالم هذه المدرسة أنها: تحارب البدع في الدين والأهواء، فإنها صافية كالثوب الأبيض، فلا ترى تجميع من هبّ ودبّ، إنما هي مدرسة ربانية لا تدخل فيها إلا بشروط:

أن تكون سنياً، سلفياً صرفاً، موحداً للّه، ذا منهج رباني، أما

التلفيق والترقيع فهذا لا يصلح أبداً، حتى يقول بعض أهل العلم. عامي موحد يغلب ألف عالم مخلط.

وهذا صحيح، فإن علماء المبتدعة بحور في العلوم، لكنهم مخلطون.

وقد يقل علم عالم أهل السنة، ولكنه صافي المنبع، كالنطفة من الماء العذب، أو كالساقية الصغيرة، أما علم المبتدع فكالبحر المالح.

يقول ﷺ: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**(١).

وقال أبو بكر في أول خطبة على المنبر: إنما أنا متبع ولست بمبتدع.

وقد كتب عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، كتاباً إلى رجل قد سأله عن القدر جاء فيه:

«أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، وكُفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإنها لك ـ بإذن الله ـ عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضىٰ قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا وببصرٍ نافذٍ كفوا، وَهُم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى؛ فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم: إنما حدث بعدهم، ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة، وسبقت رواية الصحيحين.

بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مَقْصَرٍ، وما فوقهم من مَحْسَرٍ، وقد قصَّر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم...»[(١)].

وهي من عيون الكلم ودرره، رحمه الله تعالى.

الرابع: من معالم هذه المدرسة: أنهم يدعون للاجتهاد الشرعي، ويطالبون العلماء، وطلاب العلم بالجد والاجتهاد، حتى يحققوه، والغرض من هذا: محاولة التخلص من التقليد الذي يؤدي إلى مخالفة السنة، فالاجتهاد باق وهو خاصية من خصائص هذه الأمة، وإنما يجب عليها وجوباً كفائياً أن تحقق أدواته، وأسبابه، وهذا لا يكون أبداً إلا بمطالعة كتب الأوائل، واعتماد طريقتهم في تقديم النقل الصحيح، واعتماد القواعد الأصولية التي أصلوها، ويستلزم من هذا: التنبيه على ما وقعت فيه كتب الأوائل من بعض الهنات التي لا يخلو منها كتاب، ولا ينفك عنها عالم، مع احتفاظنا للجميع بالتقدير والاحترام فلولا الله تعالى، ثم حملة العلم الأوائل، لما وصل الخالدين بهذه الصورة الصافية النقية، وإنما ذكرت هذا، حتى لا يتوهم متوهم أن الاجتهاد من لوازمه: القدح في الأئمة الأوائل، أو العكس أي: تعظيم الأوائل يلزم منه رد السنة، أو التقليد الأعمى، فليتنبه.

الخامس: أن هذه المدرسة وسط بين الطوائف، فالأمة الإسلامية وسط بين الأمم وأهل السنة وسط بين الطوائف ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهي وسط بين المرجئة والخوارج في قضايا الإيمان والكفر:

فالمرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية،

---

(١) إسناده صحيح إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، أخرجه أبو داود (٤٦١٢) وغيره بأسانيد صحيحة.

ويرون أن أصل الإيمان واحد، لا يتجزأ،

ويرون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص،

ويرون أن إيمان أبي بكر مثل إيمان آحاد الأمة.

أبو بكر الذي دفع دمه، وعرضه، ووقته في نصرة لا إله إلا الله، يكون إيمانه كإيمان الذين لا يحضر الواحد منهم لصلاة الفجر إلا بإلحاح.

وأما الخوارج فقالوا: بأن صاحب الكبيرة كافر يخرج من الملة.

وتوسط أهل السنة فقالوا: الإيمان يزيد وينقص، وصاحب الكبيرة فاسق بكبيرته ما لم يستحلها، فإن استحلها كفر، ولا يخرج عن الإسلام لفعله لهذه الكبيرة، لكنه ناقص الإيمان.

وهم وسط بين الرافضة والنواصب في عقيدتهم في صحابة النبي ﷺ وآل نبيه.

فالرافضة: غلوا في أهل البيت حتى قال بعضهم عن علي، رضي الله عنه وأرضاه، بأنه الله! فلما سمع علي بذلك أحرقهم بالنار هو ومولاه قنبر.

وأخذ يقول:

لما رأيتُ الأمر أمراً منكراً أجّجت ناري ودعوت قنبرا

أما النواصب: فسبُّوا أهل البيت، وناصبوهم العداء، وتبرؤوا منهم.

وأما أهل السنة: فكانوا وسطاً بينهما، حيث عرفوا حقوق أهل البيت كما قال الله عن الرسول ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣]، ولكنهم لم يغالوا فيهم غلو الرافضة.

السادس: أن هذه المدرسة واقعية تخاطب الناس بالواقع، فتحل مشكلات الناس التي يعيشونها دون الخوض في الخيالات.

وأنا أنصح إخواني طلبة العلم بألاّ يتكلف أحدهم بالمسائل التي لم تقع.

وقال بعض أهل العلم لأحد تلامذته وكان يفتي الناس: لا تفتِ الناس إلا في مسائل وقعت، فإنك إذا فعلت ذلك وضعت عنك نصف التكلفة أو كما قال.

أو أن يتدخل المرء في ما لا يعنيه من تلكم الفتاوى.

السابع: أن مدرسة أهل السنة والجماعة تجمع وتوحّد، ولا تفرّق ولا تحب الشتات ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥]، ويقول سبحانه وتعالى قبلها: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عِمرَان: ١٠٣].

العالم الآن يسعى إلى الوفاق بين الدول وتجميعها على روابط دنيوية، إلاّ هذا العالم الإسلامي الذي كل يوم تنقسم فيه الدولة كل يوم إلى دولتين، أو ثلاث دويلات.

مما يزهدني في أرض أندلس ... أسماء معتضد فيها ومعتمد
أسماء مملكة في غير موطنها ... كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

فالتبديد والتشتيت ليس من منهج الله سبحانه وتعالى الذي أنزله على رسوله ﷺ، بل إن جمع الأمة، وتوحيد الكلمة على منهج رباني هو منهج أهل السنة والجماعة.

أما أن تنعقد الأخوة على غض الطرف عن أخطاء العقيدة، فهذا منهج يؤدي، ولا محالة، إلى غياب مبدأ الولاء والبراء، والحب

في الله، والبغض في الله، وهو من أركان الإيمان، فيجب أن تنعقد الإخوة على روابط إيمانية، وأسس عقدية صحيحة نابعة من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة الصالحين.

فمدرسة أهل السنة والجماعة تنهى عن الشتات، ولا يشتت، ولا يفرق إلا أهل البدع، وهم خطباء فتنة، حتى تجد بعض الناس من الكتبة لا يتكلم في الاجتماع وتوحيد الكلمة والصف، ولا يتكلم في حاجات الأمة، ولا يتكلم في ما يحتاج إليه الناس من علم الدين والدنيا، إنما بقي في بياته الشتوي، فإذا سمع فتنة قام يتكلم.

رأى عمر، رضي الله عنه وأرضاه، بعض الناس، وقد أقبلوا وراء سارق تقطع يده، فقال: شاهت الوجوه التي لا تُرى إلا في الشر.

فتجد بعض الكتبة لا يكتب إلا في الشر والفتن.

الثامن: أنها مدرسة ربانية، ليس لها مصدر لأفكارها من غير الوحي، فليس عندنا مواد نستقدمها من نابليون، ولا من حمورابي، ولا من هتلر، بل عندنا: قال الله، وقال رسوله ﷺ.

فهي: مدرسة، ربانية، نزلت من فوق سبع سموات، لا تمد عقلها، ولا يدها إلى غير الوحي.

وما استعرت تعاليماً ملفقة من صرح واشنطن أو رأس شيطان
وما مددت يدي إلا لخالقها وما نصبت لغير الحق ميزان

التاسع: أن أهلها لا يكذبون، بخلاف أهل الأهواء الذين يحتاجون إلى الكذب، لأن عندهم: عدوك اليوم صديقك غداً.

أما أهل السنة والجماعة فمنهجهم واحد.. تلقاه اليوم، وبعد سنة، لا يتغير، ولا يكذب؛ لأنه يحمل قال الله، وقال الرسول ﷺ.

العاشر: أن شعار أحدهم ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾

[هُود: ٨٨]، فلا يسعىٰ إلى مطمع دنيوي، وإنما يسعى إلى إقامة شريعة الله وإصلاح عقائد الناس، وإلى توضيح المنهج الرباني، وإلى النهي عن الشرك، والخرافات، والخزعبلات، وإلى رد الناس إلى الصراط المستقيم.

الحادي عشر: أنها تعذر المجتهد المُخْطِئَ، فيما يخطىء فيه، وهذا في الفرعيات لا في العقيدة.

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) أسباب اختلاف العلماء في مسائل الفقه، فلتراجع(١).

وقال بعض أهل العلم: والصحابة، بحمد الله، لم يختلفوا في مسألة عقائدية أبداً.

فالخلاف والعذر فيه وارد في هذه المدرسة.

ولذلك تجد بعض الناس ممن جهل هذا يتشدق ويقول: هذا العالم يحرم التصوير الفوتوغرافي وهذا يحلله، هذه فوضى!!

ونسي أن الرسول ﷺ يقول: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**»(٢).

الثاني عشر: هذه المدرسة تؤمن بالشمول في حياة العبد، وتوازن بين الروح والفكر.

لقد ذهب الفلاسفة إلى الفكر، فقست قلوبهم.

وذهب الصوفية إلى الروح، فجهلت عقولهم.

---

(١) المصدر المذكور (ص١٢ وما بعدها) وهو مفيد مهم.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وذهب أهل السنة والجماعة إلى الفكر وإلى الروح، فاكتمل الخير عندهم.

وقد قال تعالى جامعاً بين الفكر والذكر وهو غذاء الروح: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

الثالث عشر: ومن معالم هذه المدرسة: أنها تقول الحق، ولا تخشى في الله لومة لائم ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: **٣٩**]، فهي تبلغ بقوة؛ لأنها تحملت الميثاق، ولا ترهب إلا من الله، ولا تسكت عن المنكر والباطل ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

فالإمام أحمد كان من رموز مدرسة أهل السنة والجماعة في الصدوع بكلمة الحق، والوقوف بقوة أمام الباطل في فتنة القول بخلق القرآن، عندما قامت الدولة والجيش والسلطة في كفة، وقام هو في كفة واحدة.

كأنه وهو فرد في جلالته ... في موكب حين تلقاه وفي حشم

استمر يدافع، ويبين الحجة، حتى نصره الله.

وهكذا كان ابن تيمية بعده عندما تعرّض للحبس، وللجلد،

وتعرض لأنواع الإساءة، ولكنه صبر، وقال كلمة الحق، فانتصر في النهاية.

وهكذا أتباعهم يمضون على هذا المنوال.

فهذه المدرسة تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وهو الواجب الشرعي الإيماني الذي يحمله كل فرد من أبناء هذه المدرسة.

الرابع عشر: هذه المدرسة لا ترى التعصب المذهبي، فهي تعرف الرجال بالحق، ولا تعرف الحق بالرجال؛ لأن التعصب المذهبي كان عثرة في سبيل توحيد الأمة على التاريخ، حيث كانت المشاحنات والخصومات بين أنصار كل مذهب.

والواجب على أهل السنة والجماعة: أن يسعوا إلى إنزال هذه اللافتات والشعارات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وإلى توحيد الكلمة وجمع الصف.

فإن الحزبية هي برمجة للعبد في مسار ضيق، وفي دائرة محدودة، حتى يحب ويوالي من هذه النظرة الصغيرة.

فلا يرى إلا بهذا المنظار.

ولا يقرأ إلا بهذا المنظار.

ولا يسمع إلا بهذا المنظار.

ولا يحب إلا من وافقه في هذا المسار، ويكره من خالفه، حتى ولو كان فاضلاً.

فهذه ليست من الإسلام، وليس في القرآن: الأخذ بأي حزب إلا حزب الله عزّ وجل.

فكل ولي للّه، وهو مقيم لشرع الله، فهو من أوليائك وأنصارك.

الخامس عشر: هذه المدرسة تدعو إلى: مناصحة ولاة الأمر

بالحكمة، واللين، والموعظة الحسنة، لا بالتشهير على المنابر، أو إثارة حزازات النفوس، وأحقادها على ولي الأمر حتى يبغضه الناس فيتفرَّق الصف، فهذا ليس بمنهج لأهل السنة أبداً، ولو توهم ذلك بعضهم، بل هذا مسلك أهل البدع، وأهل الانحرافات العقائدية والفكرية على مر التاريخ الإسلامي، كالخوارج، ومن سار على دربهم.

فواجب العلماء والدعاة: الدعاء للإمام بالصلاح، والتوفيق لخدمة الدين، ومناصحته سراً في أمور المجتمع، والبعد عن المنابذة، وتفريق الكلمة.

السادس عشر: أن هذه المدرسة لا تجتمع على ضلالة، لأنه ﷺ يقول: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»(١).

فإذا رأيتم العلماء من أهل السنة قد اجتمعوا على أمر، فاعلموا أنه حق، وأنه هو الأمر الذي أراده الله.

السابع عشر: أن علماءها وأخيارها عدول مزكّون، بخلاف أهل الكتاب من بني إسرائيل، فإن أشرارهم علماؤهم، فهم أهل المصائب والكوارث والفتن.

وفي الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله**»(٢).

---

(١) صحيح بمجموع طرقه، وروي من حديث أبي مالك الأسفري، وابن عمر، وابن عباس، وأنس، وسمرة، وأبي نضرة، وأبي أمامة، وأبي مسعود، ولا يسلم إسناد حديث منها من مطعن ويتقوى الخبر بمجموعها. وانظر لهذه الروايات «المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر» للزركشي (٢٤)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٢٠).

(٢) حسن، أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٩/١، ١٠)، وابن عدي في «الكامل» (٤٥٨/٣) من حديث ابن عمر. وقال أبو نعيم: وروي عن أسامة بن زيد، وأبي هريرة وكلها مضطربة غير مستقيمة. قال الخطيب: وسئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث، وقيل له كأنه كلام موضوع، قال: لا، هو صحيح، سمعته من غير واحد.

ويرى ابن عبدالبر: أن من حمل العلم فهو عدل.

فالعدل عندنا هو: من حمل العلم، ولذلك لا يُقبل فيه الجرح إلا مفسراً.

أما بنو إسرائيل، فقد قال تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، ويقول في موطن آخر: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٣]، فالعلماء عندهم: أشرار، ومردة، وخونة، والعلماء عندنا: مخلصون، صادقون.

الثامن عشر: أنهم يرون الولاء والبراء عقيدة، وكذا الحب والبغض، فهم لا يُسيّرون الحب والبغض بلا ضابط بل كما في الحديث: «**من أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(١)، والله سبحانه وتعالى يقول في الولاء: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥]، ويقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

ونلاحظ نقص الولاء في بعض الملتزمين، من المقصرين، فترى:

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٥٢٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٩)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠٨٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وله شاهد من حديث معاذ بن أنس، أخرجه الإمام أحمد (٣/٤٤٠)، والترمذي (٢٥٢٣) وسنده جيد.

الواحد منهم إذا التزم لا يزال يستمر في صحبة كثير من الأشرار، وكثير من المنحرفين عن السنة، ممن يستمع الغناء، أو يتخلف عن الصلوات، ويتمرَّد على السنة، فتجده أكيله وشريبه، دون أن يدعوه.

وهكذا تجد الضعف عند من يشتغل مع النصراني، واليهودي، والبوذي، والسيخي، فتجدهم يواكلونهم، ويشاربونهم، ويلاطفونهم، ويزاورونهم، ويحترمونهم.

كتب أبو موسى الأشعري، رضي الله عنه وأرضاه، كتاباً إلى عمر، رضي الله عنه، يستشيره في كاتب نصراني عنده هل يتخذه كاتباً.

فقال عمر: لا.

فقال: إنه فطن، يا أمير المؤمنين.

قال عمر: قاتلك الله، تقرِّبهم وقد أبعدهم الله، وتحبهم وقد أبغضهم الله، وترفعهم وقد أنزلهم الله، فطرده أبو موسى.

فنصيحتي لأهل الأموال والمؤسسات: أن يتقوا الله في هذا المنهج الرباني، فلا يستقدموا عمالاً غير مسلمين، أو خبراء، أو مستشارين، أو غير ذلك.

التاسع عشر: أنها لا تكتفي بالظاهر دون الباطن، ولا بالباطن دون الظاهر.

لأن بعض الناس يرى عمل الظاهر أو الجوارح قشوراً كتقصير الثوب، وإطلاق اللحية، وتسوية الصف في الصلاة، والسواك وغيرها.

بل هي لباب كلها وكل ما أتى به الرسول ﷺ فهو لباب.

فأهل السنة يريدون أن يكون مظهرك وشخصيتك تبعاً للسنة.

وتهتم بالباطن، فتجرد الروح من الذنوب والخطايا: من الكبر، والحسد، والحقد، والغل، والعُجب، والغرور، وكبائر الذنوب، ونحو ذلك.

العشرون: أن هذه المدرسة توقر الصحابة، وتحترمهم، وتكف عما شجر بينهم.

سئل عامر الشعبي عن أهل حُنين: ما لهم تَقَاتَلُوا؟ ولم يفر بعضهم من بعض؟

قال: أهل الجنة التقوا، فاستحيا بعضهم أن يفر من بعض.

وقال عمر بن عبدالعزيز، وقد سئل عن تلك الفتن والدماء: تلك دماء سلّم الله منها سيوفنا، فلماذا لا تسلم منها ألسنتنا؟

وهذا هو الواجب على المؤمنين كما يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وإذا رأيت الإنسان يبحث عن ذنوب الصحابة، ويضخم خطاياهم، فاتهمه على الإسلام، واعرف أن في قلبه مرضاً، أو هوًى، والعياذ بالله.

الحادي والعشرون: أنها مدرسة تتخذ من اللين والحكمة شعاراً لها في دعوتها لتكسب بها قلوب الناس وتؤثر فيهم، كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فهي مدرسة التيسير واللين واللطف في القول، وفي النصح، وفي العمل.

الثاني والعشرون: أنها مدرسة ترتكز على النفع المتعدي للأمة وللناس، قبل النفع اللازم لها، فتهتم بأمور الدعوة، وتنفيس الكربات عن الآخرين، ومساعدتهم، والوقوف بجانبهم، وفك كرباتهم، قبل أن تهتم بأمورها الخاصة من النوافل اللازمة كالصلاة والصيام.

هذه أبرز معالم هذه المدرسة المباركة، مدرسة أهل السنة التي أراد الله لها أن تكون خير من يمثل الإسلام في كل زمان ومكان.

أسأل الله أن يثبتنا على منهج أهل السنة والجماعة إلى أن نلقاه، وقد رضي عنّا.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❋ ❋ ❋

من هو المنعم؟

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، الذي جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الهادي إلى الصراط المستقيم ﷺ تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الناس: (الله هو المنعم)، هذه حقيقة يجب أن تصبح لدينا من البديهيات؛ فكل نعمة تعود إليه، وكل جميل ينسب إليه، وكل مكروه فهو الذي صرفه، ومَن يفعل الخير يجده أمامه يوم العرض الأكبر، ومن أحسن هنا، أحسن إليه هناك.

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العُرف بين الله والناس

وقد تكفّل الله لمن أحسن لخلقه أن يحسن إليه. فأول إحسان إليه: أن يشرح صدره، وأن يزيل كربه، وأن يفرِّج همه، وأن يدَّخر له من الأجر والمثوبة على قدر ما أحسن إلى خلقه، «**فالخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله**»(١).

---

(١) حسن بمجموع طرقه أخرجه أبو يعلى (٣٣١٥، ٣٣٧٠، ٣٤٧٨)، والبيهقي في الشعب (٧٤٤٤ ـ ٧٤٤٩) عن أنس رضي الله عنه، والطبراني في الكبير (١٠٠٣٣)، =

ومن أساء إلى خلقه، وكدَّر على عباده، نغّص الله عليه عيشه، وكدّر حياته، وادّخر له من العذاب والألم بقدر ما فعل.

يخبرنا رسولنا ﷺ بقصة رجل مرَّ في طريق فأصابه العطش وبلغ به الظمأ مبلغاً عظيماً، فرأى بئراً فيها ماءٌ عذب طيب بارد.. فنزل فشرب، فلما رويت كبده واستقرت روحه صعد من البئر فرأى كلباً من الكلاب يلهث من شدة العطش يمد لسانه يريد الماء.. لا يستطيع أن يهبط إلى البئر ليشرب.. ولا يستطيع أن يُنزل دلواً فيستقي.

فقال الرجل وقد أدركته إنسانيته ورقته ورحمته..: لقد بلغ بهذا الكلب من العطش ما بلغ بي، فنزل فملأ خفه ثم صعد فأعطى الكلب.

فجعل يغرف له حتى أرواه فشكر الله له فغفر له وأدخله الجنة.

ولفظ الحديث: «**بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقىٰ فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له**»(١).

ويخبرنا رسولنا ﷺ عن امرأة فظة غليظة قاسية عاتية معها هرة في البيت قد حبستها في دارها وأغلقت عليها النوافذ والأبواب.

والله يرى ذلك.

فلا هي تركت الهرة تأكل من خشاش الأرض، ولا هي أطعمتها وسقتها، فماتت الهرة!

فأدخل الله هذه المرأة النار، وسلّط عليها الهرة تخمشها في وجهها في نار جهنم.

= عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ولا تخلو إسناد منها من مقال، وتتقوى بمجموعها، وانظر: مجمع الزوائد (١٩١/٨).

(١) أخرجه البخاري (١٧٣)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يقول ﷺ عندما رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف: «**ورأيت النار فرأيت امرأة تخمشها هرة حبستها في الدنيا، لا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(١).

وفي الحديث: «**ثلاثة من البشر لا يكلِّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، أولهم رجل كان بفلاة عنده ماء فمر به رجل بلغ به العطش مبلغاً عظيماً فمنعه**».

فقال الله لهذا الإنسان يوم العرض الأكبر وهو يرد يوم الظمأ ويوم العطش ويوم الجوع ويوم الفقر، «**فقال الله له: قف، اليوم أمنعك فضل مائي، كما منعت الناس فضل مائك في الدنيا**»(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني. قال: يا رب! كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين. قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده. أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين.**

قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم! استسقيتك فلم تسقني. قال: يا ربِّ! كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»(٣).

فهذه رسالة لعلها تصل للأغنياء، وللأثرياء، وللتجار الذين تمتلىء

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥، ٢٣٦٤)، ومسلم (٩٠٤) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه ابن منده في كتاب «الإيمان» برقم (٦٢٦).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٩).

بيوتهم بالأطعمة، والأشربة، والفواكه، والخضروات.. وهناك آلاف يموتون في الخيام جوعاً، وعطشاً، ومرضاً.

ويقول الله تعالى: يا ابن آدم ظمئتُ فلم تسقني.

قال: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً قد ظمىء فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي.

وهذه رسالة للناس أن يوصلوا الماء لمحتاجيه، فقد بلغ في بعض القرى قيمة سيارة الماء الواحدة: خمسمائة ريال!

ويقول تعالى: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني.

قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما إنك لو عُدته لوجدت ذلك عندي.

والمستشفيات الآن مليئة بالمرضى، والكثير منهم ليس له قرابة، ولا أبناء، ولا أحباب، ولا إخوان، فأين من يزور ويسلي ويسرِّي؟ فالمال، والعطاء، والحياة موهبة من الله يحاسِب عليها، سبحانه، ويبتلي بها من يشاء ويرى من يشكر أو يكفر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمىٰ بدا لله عزَّ وجلَّ أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، قد قذرني الناس. قال فمسحه فذهب عنه، فأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل ـ أو قال: البقر، هو شك في ذلك: إن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل، وقال الآخر: البقر ـ فأعطي ناقة عشراء، فقال:**

يبارك الله فيها، وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب هذا عني، قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب، وأعطي شعراً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملاً، وقال: يبارك لك فيها، وأتى الأعمىٰ فقال: أي شيء أحبَّ إليك؟ قال: يرد الله إليَّ بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فردَّ الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاةً والداً، فأنتج هٰذان وولدا هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك ـ الذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال ـ بعيراً أتبلغ به في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت. وأتىٰ الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمىٰ في صورته فقال: رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال في سفره، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. فقال له: قد كنت أعمى فردَّ الله بصري وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك»[1].

إنها موعظة عظيمة لمن آتاه الله مالاً، أو جاهاً، أو نفوذاً، أو تأثيراً أن يستغله في مرضاة الله، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار فيقتص منه ويدخل بماله مع قارون وهامان وفرعون.

---

(١) أخرجه البخاري: (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

فهل آن لتجارنا، وأصحاب الأموال فينا، أن يعتبروا، ويعلموا أن هذه النعم التي عندهم هي من الله أولاً وآخراً، وأنه سبحانه هو الرازق الباسط، ﴿إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: ٣٦]، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فيدفعهم هذا إلى بذل فضول أموالهم في مشاريع الخير الباقية.. وفي إغاثة الملهوفين والفقراء والمساكين.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❁ ❁ ❁

علو الباري

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه ربّه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأَلْيَلِ
ويرى نياط عروقها في مخها والمخ في تلك العظام النُحَّلِ
اغفر لعبد تاب من زلاّته ما كان منه في الزمان الأوّلِ

سُئل موسى عن ربه فقال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وسُئل إبراهيم عن مولاه، وعن مميته، وعن محييه فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١﴾ [الشُّعَرَاء: ٧٨ ـ ٨١].

والله يقول لرسولنا ﷺ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ

ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ١ ـ ٨].

فالله يعرِّف رسوله ﷺ بنفسه بأنه: الله الذي لا إله إلا هو.

الكون كل الكون يشهد أن لا إله إلا الله، السماء والأرض والجبال والزهرة والغدير والجدول والشجرة والهواء والضياء.

﴿طه ﴿١﴾﴾ [طه: ١]، حرفان متقطعان وليس اسم له ﷺ كما يظن بعض المفسِّرين، ولكن ﴿طه ﴿١﴾﴾، كـ ﴿حم ﴿١﴾﴾ [الشورى: ١].

وكأن المراد من هذه الحروف: أن الله تكلَّم بالقرآن بهذه الحروف التي عند العرب، فهل تستطيع هذه الأمة أن تأتي بمثله، والمادة عندها؟ فهو تحدٍّ بليغ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه: ٢]، أي: لنخرجك بالقرآن من الظلمات إلى النور، ونخرج أمتك بالقرآن من الظلمات إلى النور، ونرفع رؤوسكم بالقرآن من أمة كانت تسجد للوثن، وتعبد الصنم وتقدّس الخرافة وتسجد للوثنية وتركن للأمم وتقاد بالحبال كما تقاد الشياه، إلى أمة ترفع رأسها وتسجد لله.

وممـا زادنـي شـرفـاً وتـيـهـاً وكـدت بـأخـمـصـي أطـأ الـثـريـا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيَّرت أحمد لي نبيّا

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾، لكن، والله، لتسعد، وليشرح بالك، وليستنير قلبك، وليرتفع رأسك.

وكل مخلوق لا يهتدي بهذا القرآن فهو مخذول، فقلبٌ بلا إيمان

كتلة لحم ميتة، وعين بلا إيمان مقلة عمياء، وأذن بلا إيمان إشارة خاطئة، ومجتمع بلا إيمان قطيع من الضأن.

كنا أمة عربية ضائعة تعرف الزنا، والسرقة، والخنا، والغدر، والخيانة، والفحش، والتفلت على أمر الله، فأتى محمد ﷺ بالقرآن فبعثها من جديد.

أتطلبون من المختار معجزة يكفيه شعب من الأموات أحياه

أتى ليقول: الربا حرام، الزنا حرام، الكذب حرام، الغناء حرام، الانهزام حرام، التخلف حرام، والتبعية لغير الله حرام، إعطاء الولاء لغير الله حرام.

فترك الأمة رائدة يرتفع علمها، ويرفرف على المحيط الأطلنطي بقيادة عقبة بن نافع، وعلمها الآخر يدخل كابول مع قتيبة بن مسلم، والثالث مع محمد بن القاسم في الهند والسند، والرابع مع طارق بن زياد في إسبانيا.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ [طه: ٣]، فالذي يخشى هو الذي يقرأ القرآن، ويعمل بالقرآن، وهو الذي يعيش مع القرآن، وهو الذي يهنأ، وهو الذي يسعد في الدنيا والآخرة.

أما من يُعرض عن القرآن، ويستبدله بالأغنية الماجنة، وبالمجلة الخليعة، والتصفيق في الملاعب، والتشجيع والتطبيل، فهذا لا يكون القرآن له تذكرة.

بل يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾ [طه: ٤]، ألا سألت

الأرض مَن خلقها؟ والسماء مَن رفعها؟ والجبال مَن أرساها؟ والزهرة مَن جمّلها؟ والنسيم مَن أجراه؟ والليل مَن كساه؟ والتل مَن غطاه؟ والغدير مَن أجراه ووسّعه؟ والمجتمع مَن حماه؟

إنه سوف يقول: (الله).

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، انظر إلى القرآن كيف يصل القلوب بالرحمٰن بعقيدة لا تعقيد فيها ولا أحاجي ولا ألغاز ولا صعوبات.

فهي عقيدة سهلة كالماء، خفيفة كالهواء، أصيلة كالصدف، واضحة كالفجر.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ومع هذا كله ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الشُّعراء: ٢١٨، ٢١٩].

على العرش: ويعلم نيتك وخطراتك وسكناتك.

على العرش: يعلم صدقك ويرى نظرتك وتحركك.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

❁ أراد فضالة، أحد العرب، أن يقتل النبي ﷺ، فأخذ خنجراً فطاف معه في الطواف، وظنّ أن الذي على العرش استوى لا يُعلِم رسوله، فأخبره وقال له: انتبه من فضالة فهو غادر يريد قتلك.

فأتى ﷺ إلى فضالة، وهو يطوف.

فقال: «**ما تقول يا فضالة؟**».

قال: أستغفر الله، وأتوب إليه، أسبّح، وأهلّل.

قال: «**تب إلى الله يا فضالة، بل أتيت بخنجرك لتقتلني وما كان الله ليسلطك عليّ**».

قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله(١).

❁ جاءت خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت تشكو زوجها، فدخلت على المصطفى ﷺ، وهو في بيت عائشة، فأخذت تخفض صوتها، لئلا تسمع عائشة الصوت، ولكن الرحمٰن الذي على العرش استوى سمع الصوت.

قالت عائشة: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فقد كان يخفى عليّ كلامها، وهي في طرف البيت.

فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١](٢).

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، يراك وأنت وراء الحيطان وأنت بين الجدران:

وإذا خلوتَ بريبة في ظلمة ... والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحيي من نظر الإله وقل لها ... إن الذي خلق الظلام يراني

وقال آخر:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفل طرفة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيبُ

❁ أورد أهل العلم: أن رجلاً خلا في غابة بمعصية، وظنّ أنه

---

(١) انظر: السيرة النبوية (٥/٨٠)، والإصابة لابن حجر (٦٩٩٨).

(٢) صحيح أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨).

لا يراه أحد، فقد رأى الشجر قد غطاه، ورأى الليل قد حماه وتكنفه وآواه، ونسي الله، الذي لا يغفل ولا ينام، ولا تحجب رؤيته الظلمات.

فقال في نفسه، وقد أقبل على المعصية: لا يراني أحد، ولا يعلم بي أحد.

فسمع هاتفاً يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك: ١٤].

❁ مرّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وأرضاه، براعي غنم في طريق المدينة، فقال له عمر: بع لي شاة من غنمك.

قال: الغنم لسيدي وأنا مولى عنده.

قال: إذا سألك عن الشاة فقل أكلها الذئب ـ يريد أن يختبر إيمانه ـ.

قال: لا إله إلا الله، فأين الله؟

فجلس عمر يبكي ويقول: نعم.. أين الله؟

فهل سأل كل منا نفسه أين الله؟

هل سأل المسؤول نفسه في الدائرة، وفي العمل، وفي المؤسسة، أين الله؟ فحاسب نفسه على الساعات، وحاسب نفسه على المعاملات، وحاسب نفسه على الإجراءات.

هل سأل نفسه عن الذين أوقفهم، وأتعب أحوالهم، من الذين أتوا من القرى، والبوادي، فترك معاملاتهم، وإجراءاتهم، وأوراقهم، فعذّبهم؛ لأنه نسي الذي على العرش استوى.

وهل سأل الموظف نفسه يوم يأخذ مالاً حراماً، ومرتباً حراماً، ويكدس معاملات الأمة، فيخون الله، ويخون ولاة الأمور، ويتعب

الناس، فهل تذكر الرحمٰن الذي على العرش استوى؟

سوف يسأله عن هذه المعاملات، وعن هذه المسؤوليات، وعن هذه المرتبات، وعن هذه الأوقات.

وهكذا غيرهم من الناس ممن استُرعي على أمانة، لا رقيب عليه فيها إلا الله.

فليتذكر كلٌّ منا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طٰه: ٥]، ولكنه يعلم كل حركاتنا وسكناتنا.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

❁ ❁ ❁

وإذا مرضت فهو يشفين

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

عن العباس، رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال له: «**يا عم يا عباس سل الله العفو والعافية**»، وقام أبو بكر الصديق على المنبر ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ على المنبر ثم بكى فقال: «**سلوا الله العفو والعافية، فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية**»[١].

فالعافية تكون: في الأبدان، وفي الأديان، وفي البلدان.

فالعافية في الأبدان: صحة، وقوة، ونشاط.

والعافية في الأديان: سلامة اتجاه، ومنهج.

والعافية في البلدان: أمن، ورخاء، وازدهار.

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٢٠٩/١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٦)، والترمذي (٣٥١٤) من حديث العباس رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث صحيح.

أحبتي في الله: في هذه الصفحات القادمة سوف أورد أحاديث كتاب المرض من صحيح البخاري مع شرح موجز لكل منها.. لنخرج منها بالفائدة.

❁ قال البخاري: كتاب المرض، (باب) ما جاء في كفارة المرض:

فالمرض: كفارة، والمسلم لا يأتيه شيء يصيبه إلا كفّر الله به عنه من الخطايا، فكل ما أصابك فهو كفّارة، فاحتسبه في ميزان الواحد الأحد.

قال: وقول الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، هذه الآية أبكت أبا بكر الصديق وهو بجانب الرسول ﷺ.

فقال ﷺ: «**ما لك؟**».

قال: يا رسول الله، يقول الله عزَّ وجل: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، وكيف العمل بعد هذه الآية، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، ولكن كيف نعمل بعد هذه الآية؟

فقال له ﷺ: «**غفر الله لك يا أبا بكر؟ ألست تمرض؟ ألست تحزن؟ ألست تهتم؟ ألست تغتم؟**».

قال: بلى يا رسول الله.

قال: «**فذلك كفارة**»(١).

فالحمد لله الذي جعل هذه الأمور لنا كفارة، وإلا فخطايانا قد

---

(١) صحيح بشواهده، أخرجه أحمد (١١/١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٢٩١٠)، والحاكم (٧٤/٣)، والبيهقي (٣٧٣/٣) بسند فيه انقطاع، لكن له طرق وشواهد عديدة عن عائشة، وأبي هريرة. وانظر مسند أبي يعلى (٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١).

ملأت السهل والحدب، وإن لم تدركنا رحمة الله، وعفو الله، وكرم الله فقد هلكنا.

فكل ما يصيب المسلم فهو كفارة، وابن عباس عاش ليلة طويلة، بطيئة النجوم، هادئة السحر، يبكي مع هذه الآية حتى الصباح.

قال البخاري: ... عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفّر الله عنه بها حتى الشوكة يشاكها»**(١).

وهذه بشرى تُزفّ لكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر.. وأما الآية: ﴿**مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ**﴾ [النساء: **١٢٣**] ففيها قضايا.

القضية الأولى: هل كل من عمل سوء سوف يجزى به؟

والجواب: لا، قال تعالى: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ [المائدة: **١٥**]، أي: عن كثير من السيئات، التي تستوجب النكال والعذاب في الدنيا والآخرة، لكن الله يعفو سبحانه وتعالى، بكرمه، ويغفرها.

القضية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ [النِّساء: **١٢٣**]، فما مناسبة الجمع بين (الولي) و(النصير)؟

والجواب: أن الولي هو: من تولاك وتوليته..، والنصير هو: الذي ينصرك دون ولاية..

القضية الثالثة: هل الجزاء كفارة أم رفع للدرجات؟

---

(١) أخرجه البخاري (**٥٦٤٠**)، ومسلم (**٢٥٧٢**) من حديث عائشة رضي الله عنها وهو حديث الباب.

قول الجمهور: أن المرض كفارة، وليس رفعاً للدرجات، واستدلوا على ذلك بأحاديث، وآيات منها: هذه الآية: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النِّساء: ١٢٣]، ولم يقل، يرفع درجته، ويثاب.

ومنها الحديث الصحيح: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفّر الله بها عنه حتى الشوكة**».

والحديث الثالث الصحيح: «**يا أبا بكر، ألست تمرض وتهتم وتغتم، فإن ذلك كفارة**»(١).

فالراجح، إن شاء الله: أن الجزاء كفارة.

قيل لأبي عبيدة وهو مريض: رفع للدرجات.

قال: لا، والله، لكنه حط للسيئات.

فالذي يظهر، والله أعلم، أن من أصابه مرض، فقد حطّ من سيئاته على حسب هذا المرض، ولذلك فرح الصالحون بالمرض، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (أحب ثلاثة يكرهها الناس: أحب الفقر؛ لأن فيه مسكنة لربي، وأحب المرض؛ لأن فيه كفارة لخطيئتي، وأحب الموت؛ لأن فيه لقاء لربي).

وفي الحديث: «**من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه**»(٢).

قال حافظ الحكمي، رحمه الله، في منظومته البديعة الرائعة (سلم الوصول):

ومن لقاء الله قد أحب ... كان له الله أشد حبّا

---

(١) صحيح سبق تخريجه ص ٩٤.

(٢) رواه البخاري (٧٥٠٤)، ومسلم (٢٦٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

۞ واجبنا عند المصيبة:

والمصيبة إذا أتت من مرض، أو من غيره، فواجبنا فيها: ثلاثة أشياء:

أولها: أن نقول (إنّا لله وإنا إليه راجعون) كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البَقَرَة: ١٥٦، ١٥٧].

الثاني: أن نحتسبها في ميزان الكفّارة عند الله عز وجل، فإنه من كل شيء خلف إلا من الله سبحانه وتعالى.

الثالث: أن نحمد الله عز وجل على أن لم يجعلها في ديننا، ومعتقدنا، وجعلها في أبداننا، أو أموالنا.

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته فيها فليس بضائر

فكل شيء إلاَّ الدين.. كل شيء إلا المعتقد.. تمرض، ويموت أبناؤك، ويُهدَم بيتك، وتُسحَق، وتُحرق، وتفصل أعضاؤك، لكن قلبك تبقى فيه (لا إله إلا الله).

۞ أنواع المرض:

والمرض قسمان: مرض القلوب، ومرض الأجسام. ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة: «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»(١).. تحدّث فيها بحديث كأنه الشهد إذا انسل، أو كأنه الماء الزلال، أو كأنه النسيم العليل، أو كأنه الحب إذا سرى من قلب محب إلى قلب محب، فقال: القلوب تمرض أعظم من مرض الأبدان، لكن بعض الناس يمرض قلبه فلا يحس، فإذا أصابه زكام، أو مرارة، أو التهاب أحسّ بذلك؛ لأن حياته حياة الأجسام، أما حياة القلب فعدم.. يقول المتنبي:

(١) محلها من «مجموع الفتاوى» (١٠/٥ ـ ١٤٨).

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميِّت إيلام

يقول عبدالله بن الزبير لأسماء أمه: يا أماه أخاف أن يمثّل بي أعدائي.. فقالت: لا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها[1].. فهي لا تشعر فكأنها مريض القلب!

ومرض القلوب له أسباب:

السبب الأول: وهو أفتكها وأعظمها، وهو الذي يدمر البيوت، والدور، والعمار، والقصور، والشعوب، ويهلك المجتمعات، ويجعل الذكي غبياً، والوجيه متأخراً، والرائد متخلفاً، والمحب مكروهاً، والمقرَّب مطروداً، والمنعم عليه بئيساً، والغني فقيراً، والكبير صغيراً.. هو: الذنوب والخطايا، أعاذنا الله وإياكم من الذنوب والخطايا، فإنها تميت القلب.

السبب الثاني: المباحات، وكثرتها، وقد ذكرها ابن القيم، رحمه الله، بكلام عطر شجي، فقال ما معناه: والمباحات إذا كثرت أبطلت الإحساس بالقلب.. مثل: كثرة النوم، وكثرة الأكل، وكثرة الخلطة بالناس، وكثرة المزاح..، وكثرة الكلام[2].

والمرض الثاني: مرض الأجسام، وهو سهل يسير، بجانب مرض القلوب.

ومرض الأجسام لا يُعَدّ بالمقارنة مع مرض القلوب.. فبعض الناس على السرير الأبيض ولكن قلبه حي ينبض بلا إله إلا الله.

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٦٣ ـ ٣٨٠).

(٢) في «مدارج السالكين» حيث ذكر رحمه الله العوائق السبعة التي يضعها الشيطان في طريق المسلم وهي: الكفر، والنفاق، وكبائر الذنوب، والمداومة على الصغائر، والصغائر، وكثرة المباحات، فإن عجز أن يفسد حال المسلم، تسلط على بدنه بأنواع البلايا، وهو المعوق السابع.

وبعض الناس يسعى ويمشي على أقدامه وقلبه ميت، لا يعرف لله معروفاً ولا ينكر له منكراً.

لأنها حياة بهيمية.. وهذه حياة إسلامية، وفرق بين الحياتين.

والمرض في القرآن على نوعين وقسمين: مرض الأجسام ومرض القلوب.

قال تعالى في مرض الأجسام: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ﴾ [النُّور: ٦١].

وقال سبحانه وتعالى في مرض القلوب: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

ومرض القلوب في القرآن قسمان: مرض الشهوة، ومرض النفاق.

فمرض النفاق، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥].

ومرض الشهوة، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

❁ قال البخاري: ... عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفّر الله بها من خطاياه**»(١)، وقد مرّ شرح مثله.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

وعنه ﷺ قال: **«مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة.. ومثل المنافق كالأرْزَة لا تزال حتى انجعافها مرة واحدة»**[١].

الرسول ﷺ يضرب مثلاً للمؤمن في باب المرض ومثلاً للمنافق.

فالمؤمن كالخامة، وهي: وليدة الزرع الرطبة، التي تقبل التمايل، لأن الزَّرعة دائماً تقبل الميلان، وهي كسنبلة البرّ؛ لأن ساقها رهيف، فهي تميل بالريح يَمنة ويَسرة.

فالمؤمن دائماً تميله النكبات، والأمراض يَمنة ويَسرة؛ لِيُذْهِبَ الله عزَّ وجلَّ عنه الخطايا.

أما المنافق، فتُجمع عليه المصائب مرة واحدة، فيأخذه الله عزَّ وجلَّ أخذ عزيز مقتدر.

تزوج خالد بن الوليد، سيف الله المسلول، امرأة مكثت عنده أربع سنوات، لم تصبها الأمراض، ولا الآلام، فأخبر عمر، رضي الله عنه.

فقال: ما أدري ما هذا، المسلم يُصاب. ففارقها خالد!

فالمنافق دائماً في نعيم ظاهري، ويعيش في رغد..، لكنها في الحقيقة حياة الضنك والعذاب.

يقول أبو تمام:

قد يُنْعِمُ اللَّهُ بالبَلْوىٰ وإن عَظُمَتْ ويبتلي الله بعضَ القومِ بالنِّعَمِ

والحمى تأتي الصالحين كثيراً، فهي سبب موت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٤)، ومسلم (٢٨١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولكنه، رضي الله عنه، لم يخبر بها أحداً.. بخلاف من يشهّر بمرضه في المساجد! فالمصائب والأمراض من الأفضل أن تبقى سراً.. وأن لا تشكى إلا لله؛ وأن لا يشتكي العبد ربه فيما ابتلاه به لمن لا يرحمه.

وأما النعمة فقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضّحى: ١١]، وفي الحديث: «**إن الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى أثر نعمته عليه**»(١).

الوزير ابن هبيرة صاحب «كتاب الإفصاح»، يقول: فقدت عيني هذه من أربعين سنة، والله، ما علمت زوجتي، وهي معي في البيت، يقول ذلك لما أتته سكرات الموت.

ذكر أهل التراجم أن الأحنف بن قيس فقد عينه ثلاثين سنة، وما أخبر بها أحداً، فمن يستطيع هذا؟!

ونحن إذا أصاب بعضنا الزكام، أخبر أهل الحي، وعطس في المسجد، وشكى، وبكى، وناح وقال: ثلاثة أيام، وأنا في هذا الزكام، اللهم ارفعه عنا! اللهم حوالينا ولا علينا! اللهم على الظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر!

وذكر أهل العلم عن عمران بن الحصين أنه مرض أربعين سنة، ما قام من الفراش، حتى كانت الملائكة تصافحه في السحر بأيديها.

نعم، صافحته في السحر بأيديها، فلما اكتوى، تركت مصافحته أربعين سنة.

---

(١) صحيح، رواه الإمام أحمد (٤/٤٣٨) بنحوه، والبيهقي (٣/٢٧١)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٨١، ٤٨١) من حديث عمران بن حصين. قال في «المجمع» (٥/١٣٢): رجال أحمد ثقات. اهـ وهو صحيح.

وقالوا عن أيوب، عليه السلام، أنه مرض ثمان عشرة سنة، فقالوا له: ادع الله بالشفاء.

قال: أنا تشافيت خمسين سنة، فإذا تساوى المرض والعافية دعوت الله!

أما نحن فكما قال الفضيل بن عياض لما قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، قال: اللهم لا تبلونا فتفضحنا..، فالستر الستر، ولكن من الناس من إذا ابتلي خرج من المحنة أكثر توفيقاً ولمعاناً.

قالوا عن الإمام أحمد: كان ذهباً فدخل النار فخرج ذهباً أحمر.

قال اليهودي للشافعي: ما بالنا أقل منكم أمراضاً، وأنتم تمرضون، وأنتم المسلمون؟

قال الشافعي: لأن هذه جنتكم وهذا سجننا، فإذا خرجنا منها خرجنا إلى الجنة، وخرجت أنت إلى النار!

وهذا رد بديع مليح.

قال سبحانه وتعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤].

فهم:

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر   جسم البغال وأحلام العصافير

فالأجسام صحيحة، بدينه لكنها دون قلب..، فالقلب إنما يكون لأهل القلوب الذين يسكنون فيها القرآن والسنة.

وقال: «**ومثل المنافق كالأَرْزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة**».

قالوا: الأرْزة هي: الأرز المعروف، الذي ينبت في لبنان، وقيل: هي: الصنوبر.

والمقصود: أنها شجرة متينة، لا تؤثر فيها الريح.

واجبنا نحو المريض:

الزيارة الشرعية طلباً للثواب من الله، ففي الحديث: «**من زار أخاه المسلم إذا مرض لا يزال في خرفة الجنة حتى يمسي**»[(١)]، وفي لفظ صحيح آخر: «**شيّعه سبعون ملك حتى يمسي**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**حق المسلم على المسلم ست**»، وفي رواية خمس، ومنها: «**وإذا مرض فعده**»[(٣)].

وللزيارة آداب: منها: أن تتوخى الوقت المناسب لزيارته كالعصر وكالمغرب وكالصباح.. فلا تفاجئه في وقت لا يُزار فيه، فليس هذا من الأدب.

ومنها: أن يخفف الجلوس لديه، فيبقى بقدر ما يسأل عن حاله، ويدعو له، فإن بعض الناس ربما يطيل على المريض، فيزداد مرضا إلى مرضه.

ومنها: أن يكون كلامه مناسباً للموقف.. فإذا مرض أحد الناس مرضاً خفيفاً فلا يقرّبه من القبر!

فإن كان قد قرب من الآخرة، فيرجيه في رحمة الله عز وجل، ويقرِّبه من النعيم، ويحسن ظنه في الله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٨)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٩٧٨، ٩٧٩)، والترمذي (٩٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

❁ قال البخاري: . . . قال رسول الله ﷺ: **«من يُرد الله به خيراً يُصب منه»**(١).

وبمفهوم المخالفة: أن الذي لا يريد الله به خيراً لا يُصيب منه.

وأكثر الناس بلاءً في الأرض.. هم: الأنبياء؛ لأن الله يريد بهم خيراً.. يقول ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً.

قال: **«نعم، أوعك كما يُوعك الرجلان منكم»**.

قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ذلك بأن لك الأجر مرتين.

قال: **«أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى مرض فما سواه إلا حط الله سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»**(٢).

وقال: **«إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»**(٣).

وبعض الناس لا يصبر على المرض، ولا يحتسب الأجر فيه، ومن ذلك أن الرسول ﷺ زار أعرابيّاً أصابته الحمّى فوضع ﷺ يده عليه وأخذ يقول: **«طهور، إن شاء الله»**، أي: أن الحمى طهور لك من الذنوب والخطايا.

فقال الأعرابي: لا..، ليست بطهور، بل حُمَّى تفور، على شيخ كبير، تزيّره القبور.

---

(١) أخرج البخاري (٥٦٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٧، ٥٦٤٨، ٥٦٦٠)، ومسلم (٢٥٧١).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٦)، وابن ماجه برقم (٤٠٣١) من حديث أنس بن مالك بسند حسن رجاله كلهم ثقات.

فقال ﷺ: «**فنعم إذاً**»[١].. أي: كما أردت.. فمات الأعرابي منها.

❁ قال البخاري (باب: زيارة الطفل)، وروىٰ فيه أن الرسول ﷺ زار ابن زينب: ابنته، رضي الله عنها وأرضاها، وسلّم عليه وأخذه، وهو يقعقع في سكرات الموت.. فبكى ﷺ[٢]. فهذا دليل على زيارة الطفل المريض.

وأما الأمراض الخفيفة كالرشح، والجرح اليسير، فإنه لا يزار فيها الإنسان، وإنما يُسأل المسلم عنها عرضاً إذا لُقي.

❁ ثم قال البخاري (باب: وضع اليد على المريض).

وهذا من الأنس واللطافة، وهي من أخلاق محمد ﷺ، فقد أتى إلى سعد بن أبي وقاص، وهو مريض في مكة بعد الهجرة.. فوضع يده عليه ودعا[٣].

❁ ثم قال البخاري: وجوب عيادة المريض: وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني**»[٤].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله يوم القيامة لابن آدم: يا ابن آدم جعتُ فلم تطعمني.**

قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦١٦، ٥٦٥٦، ٥٦٦٢، ٧٤٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: البخاري (٥٦٥٥)، ومسلم (٩٢٣).

(٣) انظر: البخاري (٥٦٥٩)، ومسلم (١٦٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤٩).

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً جاع، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي.

يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني.

قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما إنك لو عدته لوجدت ذلك عندي»(١).

وفي حديث مرفوعٍ: «**الناس عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم إلى عياله**»(٢).

قال: وعن البراء بن عازب، أحد الصحابة الشباب، رضي الله عنه، عن عمر، رضي الله عنه، قال: أمرنا ﷺ بسبع.. (وذكر منها) ونعود المريض.

فليحتسب المسلم الأجر في عيادة المريض بعد سماع هذه الأحاديث.

❁ ثم قال: (باب: عيادة المُغْمى عليه).

وذكر حديث جابر السابق: لما عاده ﷺ مع بعض الصحابة.. فصبّ عليه من وضوئه حتى أفاق.

❁ ثم ذكر (باب: من يُصرع من الريح)، أي: من يصيبه الصرع من الجان فما جزاؤه عند الله إذا كان مسلماً؟

وذكر حديث ابن عباس أنه قال لعطاء بن أبي رباح: يا عطاء ألا أريك امرأة من أهل الجنة تمشي على الأرض؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩).

(٢) حسن بمجموع طرقه وسبق تخريجه ص٨٠.

قال: نعم.

قال: تلك المرأة السوداء، أتت الرسول ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّي أصرع، فادع الله لي، أي: أنها تفقد عقلها ووعيها.

فقال ﷺ: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله لك**».

قالت: بل أصبر لكن ادع الله لي ألاَّ أتكشّف.

فدعا لها(١).. فهي من أهل الجنة.

❁ ثم ذكر البخاري رحمه الله تعالى (باب: فضل من فقد بصره). وأورد حديث أنس، رضي الله عنه وأرضاه، عن الرسول ﷺ قال: «**إن الله عز وجل يقول: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوّضته منهما الجنة**»(٢)، والحبيبتان هما: العينان؛ لأنهما من أحب ما يملك الإنسان.

وهما: النوران والجوهران، وقد ابتلى الله عزَّ وجل بذهاب العينين فئاماً كثيراً من الناس لرفع الدرجات، منهم: ابن عباس الحافظ، العالم، المفسِّر، الكبير، رضي الله عنه وأرضاه، فقد ذهب بصره في آخر حياته فدخل على قوم فكأن بعضهم شمت به وقال: لا تصاب بمكروه يا ابن عباس!

ففهم ابن عباس المقصود وقال:

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما ... ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي عوج ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

يقول: إذا أخذ الله هاتين الحبيبتين، فقد عوّضني خيراً منهما.. والله إذا أخذ شيئاً عوَّض خيراً منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٥٣).

قالوا لأحد العُمي: ما الذي عوّضك الله يوم أخذ بصرك؟

قال: أن لا أشاهد من أمثالك أحداً!!

ومنها: أن الله عز وجل قد يعلم أن من الخير لهذا العبد أن يذهب بصره، لئلا يرى المفاتن، والمحرمات، وينتهك حدود الله عزَّ وجل.

ولكي تزهد نفسه في الدنيا.

وليكفّر عنه سيئاته.

والعوض الأكبر هو: الجنة.

❁ ثم ذكر (باب: عيادة النساء الرجال) قال: وعادت أم الدرداء رجلاً من أهل المسجد من الأنصار.

قلت: وفي الأمر تفصيل.

فإن كانت من المحارم فلا بأس بذلك: أن تعوده ويعودها.

أما غير المحارم: فإن انتفت الشبهة بأن تكون كبيرة في السن ولم يكن هناك ريبة فلا بأس بالسؤال عنها، وترك فتح هذا الباب أولى.

أما في غير هذا الحال... فلا.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❁ ❁ ❁

الإسلام والإيمان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فإن الله تعالى يقول: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرات: ١٤]، هؤلاء الأعراب يقول أهل التفسير: هم: بنو أسد بن خزيمة، أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، قد أسلمنا، وما قاتلناك، والعرب قد قاتلتك، أما نحن فأسلمنا، فاقبلنا، فقبلهم ﷺ.

فأخذوا كلما جلسوا مع رسول الله ﷺ منُّوا عليه بهذا الإسلام وافتخروا وتكبروا.

فيقول الله عز وجل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحُجرات: ١٧]، فللّه المنة تبارك وتعالى.

لأنه لا نفع يعود على الله تعالى، من إسلامكم، وإنما النفع لكم كما قال سبحانه: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الإسراء: ١٥].

فالله لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضرُّه معصية العصاة.

وهم قد أخطؤوا في المنّ لفظاً ومعنى.

أما المعنى، فسبق أنهم أخطؤوا حين منُّوا على الرسول ﷺ.

وأخطؤوا لفظاً بقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾، والصحيح: أنهم لم يؤمنوا في تلك الفترة، بل أسلموا؛ لأن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

فإذا ذُكر الإسلام والإيمان معاً، فللإسلام: معنى، وللإيمان معنى.

فالإسلام هو: الأعمال الظاهرة.

والإيمان هو: أعمال القلب.

فالله يقول لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾، أي: أنكم لم تصلوا إلى درجة الإيمان، بل أسلمتم في أول الطريق، فأنقذتم أنفسكم، وعصمتم دماءكم، وأنفسكم من القتل.

وهؤلاء الأعراب ذكرهم الله، عز وجل، في سورة الحجرات، وهذه السورة أخذت مجالاً واسعاً في الحديث عن الأعراب.

فأول آية فيها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجرات: ١].

أي: لا تتقدموا على حكم الله، سبحانه وتعالى، وعلى أمره ونهيه، قبل أن ينزل حكمه ونهيه.

وسببها: أن الأعراب اختلفوا فيمن يؤمرون عليهم فأتوا إلى الرسول ﷺ فقال أبو بكر: أرى أن نؤمِّر فلاناً.

وقال عمر: أرى أن نؤمِّر فلاناً.

فترافعت أصواتهم عند الرسول ﷺ، فنزل في حقهم: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحُجرات: ١]، أي: لا تستعجلوا الأمر.

والسبب في ذلك، هم: الأعراب.

وقال بعدها سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات: ٤].

وهم قوم من بني تميم، وفدوا على الرسول ﷺ، فنادوا الرسول ﷺ، وهو نائم في القيلولة، وليس هذا بوقت زيارة ورفعوا أصواتهم عليه ﷺ، وقالوا: اخرج إلينا يا محمد!! فإن مدحنا زين، وذمنا شين، فقال ﷺ: «**ذاك الله عز وجل**»(١).

فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات: ٤].

وفي آخرها قال لهم الله عز وجل: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً ـ وسعد جالس ـ فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليَّ فقمت إليه فساررته. فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً. فقال: «**أو مسلماً**». فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: «**يا سعد، إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار**»(٢).

في هذا الحديث: ضابط الفرق بين الإسلام والإيمان كما

(١) حسن أخرجه الترمذي (٣٢٦٧)، والنسائي في الكبرى (١١٥١٥) عن البراء رضي الله عنه، وأخرجه أحمد (١٥٥٦١، ٢٦٦٦٢)، والطبراني في الكبير (٨٧٨) عن الأقرع في حابس، وانظر: مجمع الزوائد (١٠٨/٧)، وتفسير ابن كثير (٢٦٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧، ١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠).

أسلفت، فإذا ذكرا في مكان واحد، أو في آية واحدة، أو في حديث واحد، فمعنى الإيمان هو: اعتقاد القلب، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.

والإسلام هو: أركان الإسلام الظاهرة.

أما إذا افترقا، فهذا يدل على هذا، بلا اختلاف بينهما.

وفيه: ترك القطع بالإيمان الكامل لمن لم ينص عليه الكتاب أو السنة.

فالرسول ﷺ قال لسعد: «**أوْ مسلماً**»، أي: لا تشهد له بالإيمان، فربما يكون مسلماً لا مؤمناً.

فنحن لا نشهد للناس إلا بما ظهر لنا من أعمالهم، وهي التي تدل على الإسلام، ونكل سرائرهم إلى الله تعالى.

وقد يصلي الرجل في المسجد، وهو منافق.

وقد يصوم، وهو منافق.

وقد يحج، وهو منافق.

لكننا في الحياة الدنيا نصلي وراءه إذا صلّى بنا إماماً، ونقبل شهادته، ونأكل ذبيحته، ونواليه، وأمره إلى الله سبحانه وتعالى، لأن الرسول ﷺ يقول: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله**»[(١)]، يعني: سرائرهم إلى الله عزَّ وجلَّ.

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، والبخاري (١٤٠٠، ١٤٥٧)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وغيرهما.

وفيه: الرد على غلاة المرجئة، حيث اكتفوا بنطق اللسان فحسب، وقد سبقت الإشارة إليه، وهو مذهب باطل؛ لأن معنى ذلك أن يصبح الإيمان صورياً، ويصبح ادعاءً.

فكل إنسان يقول: أنا مؤمن، ثم تجده يكذب، ويغش، ويغبن، ويشهد شهادة الزور، ويترك الصلاة.

وفيه: تصرُّف الإمام من مال المصالح، كما فعل ﷺ، فإنه ﷺ يقول عن نفسه: «**إنما أنا قاسم والله يعطي**»[(١)].

فلما فتح الله عزَّ وجلَّ الفتوح على رسوله ﷺ، وأوسع على المؤمنين من الأموال والخيرات، دله سبحانه وتعالى على مصارف هذه الأموال من زكاة، وفيء، وغنيمة، وخراج، ونبه على أصناف المستحقين لهذه الأموال، ثم ترك لرسول الله ﷺ جزءاً ينفقه النبي ﷺ في مصالح المسلمين، فيما يبدو له، كتأليف بعض القلوب، فيما ينفع ويجدي ويؤيد هذا الدين.

وفيه: تقديم الأهم، فالمهم، وإن خفي ذلك على بعض الرعية.

فالرسول ﷺ آتاه الله عز وجل من الذكاء والفطنة، ما لم يؤتِ أحداً من العالمين.

فهو يعرف كيف يُعطي العطاء؟ وأين موضعه المناسب؟ وبمن يبدأ؟

ولذلك لما أتى حكيم بن حزام القرشي فقال: يا رسول الله أعطني من مال الله الذي عندك.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما.

قال ﷺ: «**تنظر إلى هذين الجبلين**»؟ وقد امتلأ ما بين الجبلين من الغنم والضأن من غنائم حنين.

قال: نعم.

قال: «**خذهما لك**».

فساقهما براعيهما إلى بيته.

فظنّ أن المسألة ستدوم!

فأتى في اليوم الثاني، وقال: يا رسول الله، أعطني من مال الله.

قال: «**خذ مائة ناقة**».

فلما أتى في اليوم الثالث، وقال: يا رسول الله، أعطني.

التفت إليه ﷺ وتبسّم وأخذ بيده وقال: «**يا حكيم، إن هذا المال حلوة خضرة، وإن الله مستخلِفَكم فيه فينظر كيف تصنعون، يا حكيم اليد العليا خير من اليد السفلى**»، فقال حكيم: والله، يا رسول الله، لا أرزأ أحداً بعدك ـ أي: لا أسأل ـ[1].

فكان حكيم بعد ذلك لا يأخذ عطاءه من أبي بكر، ولا من عمر بسبب موعظة الرسول ﷺ، حتى كان عمر يشكوه للصحابة ليقبل العطاء فيرفض.

وفيه: جواز الشفاعة عند الإمام فيما يعتقد الشافع جوازه.

وهي من أفضل الأعمال.

وقد ثبت أن أبا موسى، رضي الله عنه، قال: جئت أنا وأناس معي من أهل اليمن من الأشعريين إلى رسول الله ﷺ فوجدناه والسواك

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٢، ٢٧٥٠، ٣١٤٣)، ومسلم (١٠٣٥).

في يده ﷺ وهو يقول: «**أع أع**» كأنه يتهوع - يعني يستاك - فنظرنا إليه ﷺ.

قال أبو موسى: والله ما كنت أدري أن الوفد الذي معي سيطلبون الإمارة.

قال: فتكلموا، وقالوا: يا رسول الله، وَلِّنا.

فأخذ ﷺ يبتسم وينظر إلى أبي موسى.

يعني: كأنه يعاتبه، ويلومه، ويقول: كيف تأتي بهؤلاء؟

ثم قال ﷺ: «**إنا لا نولي هذا الأمر مَنْ حرص عليه**»(١)، لأن هذا معناه: الريبة، والشك فيمن يطلبه، فهو لا شك يريد عرضاً من الدنيا: إما مالاً، أو وجاهة، أو شفاعة... إلخ.

قال: وبينما نحن جلوس أتى أناس يتشفعون، ويطلبون رسول الله ﷺ.

فالتفت ﷺ إلى أصحابه وقال: «**اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**»(٢).

فالشفاعة مطلوبة، وهي من أعظم الأعمال، ولكل شيء زكاة، وزكاة المال: أن تنفق منه، وزكاة العلم: أن تُعلمه، وزكاة الجاه، والمكانة، والمنزلة: أن تنفع بها المسلمين عند السلطان، وعند المسؤول.

ولذلك يقول الله عز وجل في موسى عليه السلام: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، قالوا: لأنه نفع الناس بوجاهته في الدنيا فنفعه الله عزَّ وجلَّ، فكان وجيهاً في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦١، ٦٩٢٣، ٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣، ١٨٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٢، ٦٠٢٧، ٧٤٧٦)، ومسلم (٢٦٢٧).

وأما الشفاعة المحرَّمة، فهي الشفاعة في الحدود إذا بلغت السلطان، فإنه لا يجوز لأحد أن يشفع فيها أبداً.

يقول صفوان بن أمية: دخلت المدينة فنمت في مسجد رسول الله ﷺ، فوضعت ردائي تحت رأسي فأتى سارق فسرقه، فأدركت السارق فأمسكته، ورفعته إلى الرسول ﷺ فاعترف.

فقال ﷺ: «**اقطعوا يده**».

قال صفوان: يا رسول الله، قد سامحته.

فقال ﷺ: «**هلاّ قبل أن ترفعه إليّ**»[(١)]، فلم يرضَ شفاعته لأن القضية قد وصلت إليه وهو سلطان عهده ﷺ.

ولذلك لما سرقت المخزومية كما تعرفون، وأسرتها من أكبر الأسر في مكة (بنو مخزوم)، فذهبوا إلى أسامة بن زيد ليشفع لهم عند الرسول ﷺ لكي لا يقيم الحد عليها لأن هذا معناه عندهم: الخزي، والعار، والشنار لقبيلتهم، واختاروا أسامة لأنه صغير السن أولاً، ولأنه محبوب عند الرسول ﷺ ثانياً، فذهب أسامة بحسن نية ليشفع عند الرسول ﷺ.

فغضب ﷺ وقال: «**أجئت تشفع في حد من حدود الله؟**»، ثم رفع صوته وقال للناس: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[(٢)]، وحاشاها أن تسرق، رضي الله عنها.

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١٤٨٧٩، ١٤٨٨١، ٢٧٠٩٠)، وأبو داود (٤٣٩٤)، والنسائي (٤٨٧٨ ـ ٤٨٨٤)، وغيرهم، بسند حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥، ٤٣٠٤، ٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).

وفيه: مراجعة المشفوع إليه في الأمر، إن لم يكن هناك مفسدة.

فسعد، رضي الله عنه، راجع الرسول ﷺ في المسألة ثلاث مرات، والرسول ﷺ لم يغضب، وإنما استمر معه ﷺ يقنعه إلى آخر لحظة.

ومنه: الإسرار بالنصيحة لرواية: «**فقمت إليه فساررته**»[١].

فمن الحكمة: أنك إذا أردت أن تنصح أحداً، أو تأمر بمعروف، أو تنهى عن منكر، أن تسارر بهذا الأمر، ولا تفضح الرجل بين الناس.

ولذلك كان ﷺ يُبَلّغ الأمور سراً، فقد قال: «**لا يُبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي، فإني أريد أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**»[٢].

وفيه: أنه لا يُنكر على المشير فيما تبين له أنه مصلحة حتى يتبين له الصواب.

فالرسول ﷺ لم ينكر على سعد، ولم يقل: ما لك تعيد الكلام؟ أو: لا دخل لك في هذه المسألة، بل تقبّل منه ﷺ؛ لأنه يهدف إلى الإصلاح والخير، رضي الله عنه.

وفيه: أنك تبين لمن لم تأخذ بمشورته رأيك واختيارك، لا أن تتركه يظن الظنون فيك.

وهذا كالهدية فإنها لا تُرد كذلك حتى تبين: لماذا رددتها.

---

(١) كما في حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الذي مر ص: ١١١.

(٢) صحيح بطرقه، أخرجه أحمد (٣٩٦/١)، وأبو داود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٦) من حديث ابن مسعود. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد زيد في هذا الإسناد رجل. ورواه بعده (٣٨٩٧)، وقال: وقد روي هذا الحديث عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ من هذا من غير هذا الوجه.

فالرسول ﷺ لما أهدى إليه الصعب بن جثامة اللحم، وهو مُحرِم، رفضه، وقال: «**إنا لم نرده إليك إلا أنّا حُرُم**»(١)، لكي لا يجد في نفسه شيئاً على الرسول ﷺ.

ولما ردَّ ﷺ الخميصة التي أهداها له أحد الصحابة قال: «**إنها ألهتني آنفاً عن صلاتي**»(٢)، حتى يبين علة الرد فلا يجد الصحابي في نفسه حسيكة أو ضيقاً.

وفيه: استحباب ترك الإلحاح في السؤال، وقد كان الصحابة لا يتعدون ثلاث كلمات عند مراجعاتهم مع الرسول ﷺ، وفي الرابعة يسكتون.

يقول ابن مسعود: قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟

قال: «**الصلاة لوقتها**».

قلت: ثم أي؟

قال: «**بر الوالدين**».

قلت: ثم أي؟

قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(٣).

قال: فسكتُّ.

وفي لفظ: ولولا خشية أن أرهقه ﷺ لاستزدته، ولو استزدته لزادني ﷺ.

وفيه: تواضعه ﷺ عندما كان يجتهد في إقناع أصحابه باختياراته

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٥، ٢٥٧٣، ٢٥٩٦)، ومسلم (١١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣، ٧٥٢، ٥٨١٧)، ومسلم (٥٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥)، وأحمد (٣٨٨٠، ٣٩٦٣، ٣٩٨٨)، وغيرهم.

وأفعاله دون أن يعنّف عليهم، أو لا يسمع لهم رأياً ولا مشورة، وقد مرّ علينا كثيرٌ من نماذج تواضعه ﷺ.

وفيه: بيان رحمته ﷺ بالأمة؛ لأنه قال: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار**»[١]، فرحمته جعلته ﷺ يدفع الأموال إلى بعض الناس ويترك آخرين لينقذهم من غضب الله ومن نارٍ تلظى ﷺ.

وفيه: أن عطاء الدنيا ليس على قدر الإيمان.

فالله سبحانه وتعالى يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، أما الدين فلا يعطيه إلا من يحب.

ولذلك من أعطاه الله عزَّ وجلَّ الدين فقد أحبّه.

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]، لأن كفار مكة يقولون: كيف ينزل القرآن على محمد ﷺ، وهو فقير، ويترك الله عز وجل الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي وهم من أغنياء مكة والطائف؟

فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢]، فالرحمة هي بأمور الدين لا الدنيا.

وأنت تجد أن أفجر الناس، وأعصى الناس، وأبعد الناس عن الله سبحانه وتعالى يملكون الأموال الطائلة، والقصور، والسيارات،

---

(١) صحيح سبق تخريجه ص ١١١.

والعقارات، وأحدهم لا يساوي عند الله جناح بعوضة، بل هو من أحقر الناس.

وتجد بعض الناس من أطوعِ الناس للّه، سبحانه وتعالى، وأقربهم إلى الحي القيوم، فهو قائم، مصلٍّ، صائم، صادق، أمين، وهو يُضَيَّق عليه في المعيشة.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ [الفجر: ١٥]، وهذا خطأ؛ لأنه يقول إذا أعطاه الله سبحانه وتعالى المال: هذا لكرامتي على الله سبحانه وتعالى أعطانيه الله عزَّ وجلَّ.

كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، وكذب عدو الله وإنما هو امتحان واختبار.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا﴾ [الزخرف: ٣٤، ٣٥].

روى أصحاب السنن عن زيد بن أسلم قال: دخلت مع عمر رضي الله عنه على إبل الصدقة في المدينة فرأيتها كالجوخ الأحرم ـ يعني جميلة ـ فقلت لعمر: صدق الله بقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

فالتفت عمر مغضباً وقال: كذبت قاتلك الله ليست هذه رحمة الله.. رحمة الله: الاستقامة على أمر الله، وطاعة الله تبارك وتعالى.

أما هذه الإبل فليست برحمة، بل هي نعمة للاختبار.

وفيه: أن الولاء والمحبة تكون على قدر الإيمان؛ لأن الرسول ﷺ ترك قوماً لما جعل في قلوبهم من الإيمان، وأعطى أناساً لا يحبهم ﷺ.

فهو يوالي من يحب الله عزَّ وجلَّ ومن يقْرُب من الله جلَّ جلاله.

أما المال فيعطيه ﷺ من يحب ومن لا يحب، لأن الله سبحانه وتعالى أخبره بذلك، وكلّفه بذلك تبارك وتعالى.

وفيه: أن الإسلام يختلف عن الإيمان كما سبق.

هذه بعض فوائد حديث سعد، رضي الله عنه، أسأل الله لي ولكم النفع بها.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❁ ❁ ❁

حوار بين روح القدس ومعلم البشرية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

يقول حسان:

وجبريل أمين الله فينا وروح القدس ليس به خفاء

فهو يسمَّى: جبريل، ويُسمى: روح القدس.. وسمي روح القدس من الله سبحانه وتعالى، ومن رسوله ﷺ.. وكان ﷺ يحرك داعيته حسّان لينظم الأبيات اللاذعة على رؤوس المشركين، فيقرب له المنبر ويقول: «**اهجهم وجبريل معك**»[(١)] وفي لفظ لأحمد: «**اهج المشركين فإن روح القدس معك**»[(٢)].

وأكمل بيت قاله حسان في مدح جبريل ومحمد ﷺ يوم اشتركت

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٣، ٤١٢٤، ٦١٥٣)، ومسلم (٢٤٨٦)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨).

القيادة في بدر: قيادة الملائكة، مع قيادة الصحابة، تحت راية محمد ﷺ يقول:

وَبِيَوْمَ بَدْرٍ إِذْ يَصُدُّ وُجُوهَهُمْ   جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

فمن يقول مثل هذا البيت، ومن ينحت مثل هذا الكلام؟

وأحاول في هذه الورقات القادمة أن أشرح حواراً دار بين روح القدس وبين نبينا محمد ﷺ في مشهد عظيم وعلى مرأى من الصحابة.

عن يحيى بن يعمر؛ قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمٰن الحميري حاجين أو معتمرين. فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه كما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله. فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبدالرحمٰن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم؛ وأنهم براء مني والذي يحلف به عبدالله ابن عمر! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منّا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**» قال: صدقت، قال: فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن

الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان**»، قال: ثم انطلق، فلبثت مليًّا. ثم قال لي: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم**»[(١)].

يقول عمر، رضي الله عنه وأرضاه: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، وهذا من الأدب منه رضي الله عنه حيث لم يقل (كان ﷺ جالساً معنا) لأنه ليس من الأدب أن تأتي بفضيل، أو نبيل، أو عالمٍ جليل، وتقول: أتى معي، وركب معي، ودخل معي، وخرج معي.

والمجالس مجلسان.. مجلس لله، ومجلس للشيطان:

فأما مجلس الله: فمجلس أوليائه، وأحبائه، ومجالسهم معروفة.

قيل لابن المبارك الزاهد الشهير: مع مَن تجلس؟

قال:

من كان ملتمساً جليساً صالحاً ... فليأتِ حلقة مسعر بن كدام

فيها السكينة والوقار وأهلها ... أهل العفاف وعلية الأقوام

ومجالس أهل الخير، إذا جلسوا فيها، عمروها بالتقوى.

حضرت الوفاة عمر بن الخطاب، بعد أن طعن، فقال: ما آسي

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، وأحمد (٩٢١٧)، والنسائي (٤٩٩١)، وغيرهم.

على الحياة إلا على ثلاث: قيام الليل، وصيام الهواجر، والجلوس مع أقوام ينتقون أطايب الكلام كما تنتقى أطايب التمر.

قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم.

(بينما) تستخدم للفجاءة، أي: إذا طلع.. وكل شيء بقضاء وقدر، فلا يقال: رأيته فجأة، إلا في العربية، ولكن كل شيء بقضاء وقدر لا صُدفة.

قال: إذ طلع علينا رجل.. مَن هو الرجل؟ إنه جبريل.

لماذا سماه عمر رجلاً، وهو ملك؟

قالوا: لأنه اعتقد أنه رجل فسماه رجلاً، وما كذب عمر، وما زاغ، وما طغى في كلامه.

ثم قال: شديد بياض الثياب، وهذا: أمر طيب، وهو شعار المسلم، والمسلم يحب البياض، ويلبس البياض، ويرتاح للبياض إلا للحاجة.

وفي الحديث قال ﷺ: «**ونقني من الذنوب كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس**»(١).

قال: إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب.. لماذا استنكر عمر شدة البياض؟ قالوا: لأنه لو كان مسافراً، لكان مدنَّس الثوب.

قال: شديد سواد الشعر، ولا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرِّفه منا أحد.

والسفر سفران: سفر له أوبة، فهو: سفر قصير، وهو: السفر من مكان إلى مكان.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (٥٩٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وسفر: لا أوبة بعده، وهو: السفر إلى الدار الآخرة.

كان الحسن البصري يبكي إذا ودّع أصحابه، ويقول:

وخفَّفَ وجدي أن فرقة واحدٍ فراق حياة لا فراق ممات

قال: لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد.. والسؤال الذي أورده الشرّاح: (لماذا يقول عمر رضي الله عنه: لا يعرفه منا أحد؟)، وهل جزم أن الناس لا يعرفونه؟

قالوا: هذا على حسب ما ظهر لعمر رضي الله عنه.

قال عمر رضي الله عنه: فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع يديه على فخذيه. فخذ مَن؟ على فخذَي محمد ﷺ، وهذا من الأنس، وهذا من تواضعه ﷺ؛ لأن بعض الناس لا تستطيع أن تضع يديك عليه.. كان ﷺ ربما شبك أصابعه في أصابع أصحابه، وربما داعبهم.

وأتاه جرير بن عبدالله فضرب على صدره.

تجد بعض الناس من غلظته وفظاظته، لا تستطيع أن تقرب منه.. فبينك، وبينه ثلاثة أمتار، ولا تستطيع أن تنظر إليه، وإذا نظرت إليه تقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق!!

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فوضع يديه على فخذيه، ثم قال: يا محمد، أخبرني ما الإسلام؟

فأخبره ﷺ عن الإسلام بتعريف بسيط سهل؛ لأن الإسلام لا يحتاج في تعريفه إلى محاضرات ومجادلات.

قال: ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**».

قال: صدقت، قال عمر رضي الله عنه: فعجبنا له: يسأله، ويصدّقه، عجب عمر رضي الله عنه لأن الجاهل ليس عنده سابق علم، فلماذا يُصدِّق أو يكذِّب؟

يقول أهل العلم: (لا إله إلا الله) لها اشتقاقات منها: الحسْب والتوكل والمحبة والقصد والإرادة.

فأما الحسب: فنطقها إبراهيم عليه السلام فأصبحت النار باردة.. كيف الحسب؟ قال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

والحسب نطقها موسى عليه السلام ففجَّر الله له البحر.

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم لما ألقي في النار، فجعلها الله عز وجل برداً وسلاماً[(١)].

مِدَّ الجُسُورَ إلى الرحمٰن معتمداً   واشْدُدْ يَدَيْكَ فإن الربَّ برهانُ
والْزَمْ يَدَيْكَ بِحَبْل الله معتصماً   فإنه الركنُ إن خَانَتْك أركان

أتوا إلى الرسول ﷺ بعد أُحد، وقد أنهك أصحابه، فقالوا: يا رسول الله، إن الناس قد جمعوا لكم، فاخشوهم، فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٤].

يذكر عن علي بن أبي طالب أنه كان في الكوفة يحكم تحت جدار، والجدار يريد أن ينقض، فقالوا: يا أمير المؤمنين، الجدار يريد أن ينقض عليك.

قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فما سقط الجدار، فلما قام من المكان سقط الجدار.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

وفي لا إله إلا الله: محبة، ذاقها الصحابة، فقدَّموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله عز وجل.

وفي لا إله إلا الله إرادة.. تعلق إرادة العبد بالله عز وجل حتى ما يريد إلا الله سبحانه وتعالى.

وفي لا إله إلا الله: اعتماد الله عزَّ وجلَّ وحده دون غيره. فأبو بكر الصديق في مرض الموت قالوا: ماذا تشتكي؟

قال: ذنوبي!

قالوا: ماذا تريد؟

قال: أريد المغفرة.

قالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟

قال: الطبيب قد رآني.

قالوا: ماذا قال؟

قال: يقول: (إني فعال لما أريد)!؟

قوله ﷺ: «**وأن محمداً رسول الله**» أي: أن محمداً رسول الله هو: المبلغ عن الله عزَّ وجلَّ وهو توحيد الاتباع لرسول الله ﷺ، فالشهادة لمحمد بن عبدالله بالرسالة، تعني: الانقياد والاستسلام لكل قول وفعل وتقرير منه ﷺ في كبائر الأمور وصغائرها، وصعب الأمور وسهله، ورخاء الحال وعسرها، وبعبارة أخصر هي متابعة النبي ﷺ في كل أمر مع التسليم والانقياد لحكمه.

قوله: «**وتقيم الصلاة**».. السؤال لماذا لم يقل: أن تصلي؟ بل قال: تقيم الصلاة؟

قالوا: أي: تؤدي الصلاة بلوازمها من حسن الوضوء، وطهارة

الثوب والمحل، والتجمل لله عزَّ وجلَّ، ثم أداءها في خشوع مع أول وقتها وغير ذلك من آدابها.

وقيل: يعني: تصلي صلاة تمنعك من الفواحش، تصلي صلاة تصلك بالله تعالى.

قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

في الحديث أنه ﷺ في مرض الموت، سمع النداء، نداء الحبيب: أذان بلال الشهير.

فقام ﷺ، ثم سقط، فغسّل بالماء، فأغمي عليه خمس مرات، وفي الأخير قال: «**مروا أبا بكر فليصلي بالناس**»[(١)].

فتقدّم أبو بكر فصلّى، فما عرف الناس ماذا قال في الصلاة من كثرة البكاء؟ يبكي على فقد إمام يقود الأمة إلى قيام الساعة إلى الجنة، مَن تخلّف عن ركبه لا يذوق السعادة، ولو جمع أموال الدنيا.

وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**»[(٢)]، والله جلّت قدرته يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

قال: «**وأن تؤتي الزكاة**»، والزكاة في أمور: زكاة القلب: تقوى الله، وزكاة العين: غضها عن المحارم، والنظر بها في آيات الله عزَّ وجلَّ، وزكاة الأذن: استماع الحق، وكفها عن سماع الباطل، وزكاة اليد: نفع الناس، وعدم البطش، وزكاة اللسان: إنفاقُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤، ٦٧٩، ٦٨٧)، ومسلم (٤١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مما أعطاك الله من العلم، والدعوة، والأمر بالمعروف، وحبس عن الغيبة، والنميمة، والزور، وزكاة المال: ببذله في وجوه الخير كما تعرفون.

ثم قال: «**وأن تصوم رمضان**»، أي: إيماناً واحتساباً.

ثم قال: «**وأن تحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**»، أي: بالشروط التي ذكرها العلماء لوجوب الحج، وهي معروفة في مصادر الفقه المختلفة.

ثم سأله عن الإيمان فأجابه، وعن الإحسان فأخبره، وهكذا عن الساعة وعلاماتها.

ويهمنا في هذا الحديث الطويل المسمّى بحديث (جبريل) أن نأخذ منه بعض الفوائد.. وهي:

أولاً: أدب السؤال، وطريقته، والاستفادة من أسلوب جبريل، عليه السلام، في ذلك، فنحن قد افتقرنا إلى هذا، يوم تركنا التلقي عن الكتاب والسنّة.

ثانياً: حرص المسلم على طلب العلم، وسؤال العلماء.

ثالثاً: حسن الجواب منه ﷺ.

وأجوبته ﷺ على ثلاثة أقسام:

١ ـ **المطابقة**: أي: أن يجيب على قدر السؤال بنعم أو لا.

٢ ـ **جواب الحكيم**: أي: أن يجيب على السؤال بجواب آخر غير المطلوب لحكمة، كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، فهم سألوا عن سبب كبرها وصغرها في السماء، فأجابهم بقوله: ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، فصرفهم إلى الأنفع لهم، وهو: معرفة الحكمة من خلقها، وفائدتها لهم.

٣ ـ الزيادة على السؤال: كحديث «**هو الطهور ماؤه الحلّ ميتته**»[١]، لما سئل عن طهارة ماء البحر، فكان يستطيع أن يقول: هو طاهر، أو أن يقول: نعم، ولكنه زاد في الجواب لحكمة اقتضاها الحال.

هذا ما حضرني حول هذا الحوار الشيق بين روح القدس، وبين نبينا محمد ﷺ، وأسأل الله تعالى أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والله تعالى أعلم.

❋ ❋ ❋

(١) صحيح، رواه الإمام أحمد (٢/٣٦١)، وأبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، والنسائي (١/٥٠)، وابن ماجه (٣٨٦)، وغيرهم كثير من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.
قال ابن عبدالهادي في «المحرر» (١/٨١ ـ ٨٢): صححه البخاري، والترمذي، وابن خزيمة، وابن حبان، وابن عبدالبر وغيرهم، وقال الحاكم في «المستدرك» (١/١٤٠ ـ ١٤١): هو أصل صدر به مالك كتاب الموطأ، وتداوله فقهاء الإسلام، رضي الله عنهم من عصره إلى وقتنا هذا. اهـ.

بني الإسلام على خمس

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك، ما غرَّد حمام وناح، وما شدا طير وصاح، وما تضوّع مسك وفاح.

اللهم صلِّ وسلِّم عليه ما مر النسيم على الأزهار، وتعاقب الليل والنهار، وما هطلت الأمطار، وما فاحت الأشجار بالأزهار والأنوار.

وعلى آله من المهاجرين والأنصار، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد..

ليس في الحياة لذة إلا لذة الكتاب والسنة.

ليس في الحياة نور إلا نور الكتاب والسنة.

ليس في الحياة علم إلا علم الكتاب والسنة.

ليس في الحياة هداية إلا هداية الكتاب والسنة.

عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**»(١).

هذا الحديث متفق عليه، ورواه أهل السنن والمسانيد والمعاجم وهو أوضح من الشمس، وهو قاعدة من قواعد الإسلام، وهو أصل أصيل من أصول الدين.

وهذا الحديث أجمع عليه أهل العلم قاطبة، ولم يخالف فيه إلا الروافض والمعتزلة، لأن لهم أركاناً غير هذه الأركان، ولكن ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣] إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فجزى الله أهل السنة والجماعة خير الجزاء يوم: قالوا فأصابوا، وتكلّموا فأحسنوا.

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا   أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون كفعلهم وإن   حاولوا في النازلات وأجملوا

أما عبدالله بن عمر رضي الله عنه فهو: من تلكم المدرسة، التي تركها محمد ﷺ في الحياة، فهو من ميراثه، ومن تلاميذه؛ لأنه شرب من معين النبوة، وتربّى في بيت الرسالة، وحمل لا إله إلا الله في قلبه.

عاش الزهد، والعبادة، وترك الخلافة، لما عنده سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

فكان يسجد في البيت العتيق، ويبكي، ويقول: اللهم إنك تعلم أني ما تركت الخلافة إلا من مخافتك.

وفي الحديث أنه ﷺ أخذ بمنكبه وقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(١).

فهو غريب من الدنيا، غريب من المال.

غريب إلا من التقوى، والزهد، والعمل الصالح، فرضي الله عنه وأرضاه.

كان زاهداً بمعنى الزهد الإسلامي الذي يسير على الكتاب والسنة، لا الزهد الهندوكي الصوفي.

سُئل نافع مولاه عن عمل ابن عمر في البيت؟

فقال: كان يقرأ المصحف، ويتوضأ، فهو بين الوضوء، وبين المصحف.

وقيل لنافع: كيف كان يقيم الليل؟

قال: ما كان ينام من الليل إلا قليلاً.

عُبّاد ليل إذا جَنّ الظلام بهم ... كم عابد دمعه في الخدِّ أجراه
وأُسْدُ غابٍ إذا نادى الجهاد بهم ... هَبوا إلى الموت يستجدون رؤياه

ولما أضعنا قيام الليل أضعنا التوفيق، والعلم، والنصر.

ولما تركنا قيام الليل، تركنا الفهم، والحفظ، والإدراك، والدراية.

ولما ضاع منا قيام الليل، ضاع منا الصدق، والإخلاص، والحب، والطموح، والإيمان.

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

ولكن ما سبب مداومته على قيام الليل؟

قيل: لأنه رأى رؤيا كما في صحيح البخاري يقول ابن عمر: كان الناس إذا رأى الواحد منهم رؤيا عرضها على الرسول ﷺ في الصباح بعد الفجر.

قال ابن عمر: وكنت غلاماً أعزب أنام في المسجد قال: فتمنيت أن أرى رؤيا.. فهو يريد أن يعرض بضاعته مع الناس.

قال: فرأيت في المنام كأن رجلين أخذاني بيدي.. رجلان لا يدري هل هم ملائكة أم رجال.

قال: فذهبت معهما في المنام، فأشرفت على بئر مطوية فخفت وهذه البئر جهنم نعوذ بالله من جهنم، ونسأل الله أن يجنبنا تلك النار وألا يعرضنا على تلك النار.

فقالا: لم تُرَعْ، يعني لا تخف لا تخف.

قال: ثم أعطياني قطعة من إستبرق في روضة خضراء لا أشير بهذه القطعة إلا طارت بي.

فلما جاء الصباح عرض الرؤيا على أخته حفصة زوج النبي ﷺ لأنه استحيا أن يعرضها عليه ﷺ لمكانته من الشباب.

فعرضتها حفصة على المصطفى ﷺ فتبسّم وقال: «**نِعم عبدُالله لو كان يقوم من الليل**»[(١)].

فبعدها ما كان ينام من الليل إلا قليلاً.

وروى بعض أهل السير: أنه كان يقوم الليل، فأتى ابنه سالم،

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٢، ١١٥٨، ٣٧٣٩)، ومسلم (٢٤٧٩).

وكان عمره: ثمان، وقيل: تسع سنوات، أو عشر، فكان يقوم معه فهي ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٤].

فقال ابن عمر: يا بني، أرح نفسك.

قال: وأنت لماذا لا تريح نفسك؟ قال: أريد مثوبة الله عزَّ وجلَّ.

قال: وأنا أريد مثوبة الله! ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وكان علمه، رضي الله عنه، أقرب إلى النصوص، فما كان يُعمل العقل في النصوص بل يتقيد به.

إن كان عنده آية أو حديث أتى به، وإلا قال: لا أدري.

سُئل مرة فقال: لا أدري.

ثم سُئل فقال: لا أدري.

ثم سُئل فقال: لا أدري.

فقال الرجل السائل له: أنت ابن عمر، ولا تدري؟

قال: اذهب لكل من رأيت من الناس، وقل لهم: إن ابن عمر لا يعرف شيئاً.

ولذلك فهو يعارض الرأي، وكلمة (أرأيت).

جاءه رجل من أهل اليمن، فقال: أرأيت إن فعلت كذا وكذا؟

قال: اجعل أرأيت في اليمن!

وفي الحديث السابق قضايا:

أولها: في الحديث يقول: «**والحج وصوم رمضان**».

وفي الأحاديث والروايات الأخرى: «**وصوم رمضان، والحج**»، فلماذا قدّم الحج على صيام رمضان؟

قيل: لعل الراوي (حنظلة بن سفيان) رواه بالمعنى.

فابن عمر في رواية صحيحة عند مسلم[1] قال: «**وصيام رمضان والحج**»، فقال له رجل: «**والحج وصيام رمضان**»، قال: لا.. هكذا سمعت رسول الله يقول: «**وصيام رمضان والحج**».

وابن عمر معروف عنه أنه: يشترط اللفظ، بأن لا يزيد، ولا ينقص، يعني: أنه لا يجيز الرواية بالمعنى.

وذهب بعض العلماء كالبخاري، وجماعة معه إلى جواز الرواية بالمعنى.

ونقل الذهبي عن الثوري أنه قال: أتظنون أنّا نأتي بالألفاظ، يعني: بالأحاديث، والله ما هي إلا المعاني.

لكن ابن عمر كان يحافظ على اللفظ، رضي الله عنه وأرضاه.

والصحيح الراجح أنه يجوز للمسلم الرواية بالمعنى للأحاديث بشروط:

أولها: أن يكون من أهل اللغة العربية؛ لأنه سيعلم قصد النبي ﷺ في الألفاظ التي هي من اللغة العربية.

الثاني: أن يكون عارفاً بمدلولات الألفاظ، بأن يعرف خلفيات الحديث، والخلاف الذي فيه، فلا يستبدل الألفاظ إلا بما يدل عليها؛ لأن كلمة واحدة في الحديث قد تُغَيّر الحكم.

(١) برقم (١٦).

بل أحياناً تجد أن حركة الكلمة تحدد المعنى كقوله ﷺ: «**ذكاة الجنين ذكاة أمه**»(١).

فمن جعلها (**ذكاةُ أمه**) بالضم فإنه يكفي أن تُذكى الأم ليحل ابنها الذي في بطنها.

ومن قرأها (**ذكاةَ أمه**) بالفتح قال: بأن ذكاته كمثل ذكاة أمه.

ثالثاً: أن يكون غير حافظ لنص الحديث؛ لأنه إذا حفظه فالواجب أن يأتِ به كما هو.

القضية الثانية: لماذا لم يذكر الجهاد في سبيل الله في هذا الحديث؟

أجاب بعض أهل العلم بأن الحديث: متقدم، والجهاد: فُرض متأخراً.

قلنا لهم: أعطونا الدليل، ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

لأن هذا ليس بصحيح، فإن الجهاد فُرض قبل معركة بدر في السنة الثانية، والحج ما فُرض إلا متأخراً.

فما دام قد ذُكر الحج، فالواجب: أن يُذكر الجهاد معه، لو كان ركناً.

فعلمنا أن الجهاد ليس من أركان الإسلام الخمسة.

---

(١) صحيح، أخرجه عبدالرزاق (٨٦٥٠)، والإمام أحمد (٣/٣١، ٥٣)، وأبو داود (٢٧٢٧)، والترمذي (١٤٧٦)، وابن ماجه (٣١٩٩)، وأبو يعلى (٩٩٢)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٥٨٨٩) من حديث أبي سعيد الخدري. قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وقد روي من غير هذا الوجه عن أبي سعيد، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم. . . . اهـ.

وإنما بعض العلماء يقول: يُضاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأركان الخمسة، وبعضهم يضيف الجهاد.

والصحيح: أن أركان الإسلام خمسة بإجماع أهل العلم، وهي التي ذكرها ﷺ في هذا الحديث لقوله: «**بني الإسلام**...»، ولا يُبنى إلا على الأركان، فهذه الأركان مجمع عليها.

لكن ورد عند الدارقطني أن الرسول ﷺ ذكر الغُسل من الجنابة والعمرة مع الأركان الخمسة[1].

وصحَّح إسناده الدارقطني، وهو حديث ثابت، وقد احتج به من يرى: أن العمرة واجبة؛ لأنه قرنها بالحج.

بخلاف شيخ الإسلام ابن تيمية الذي لا يرى ذلك، ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: **١٩٦**]، وأنها واجبة عند البدء بها، أي: واجب إتمامها، أما إنشاؤها، وابتداؤها من جديد: فإنه غير واجب، وهذا ليس مبحثنا.

الشاهد: أن عطف العمرة، والغُسل من الجنابة، على أركان الإسلام لا يقتضي أنهما ركنان.

بل لتأكيد أهميتهما؛ لأنهما أُسقطا من الأحاديث الصريحة الصحيحة المتكررة.

القضية الثالثة: ما هو أول واجب على المكلف؟

ذهب المناطقة ومنهم الجويني، إمام الحرمين وأبوه، إلى أن أول واجب على المكلف، هو: النظر والاستدلال.

وقالوا: قبل أن ينطق المسلم بشهادة أن لا إله إلا الله وأن

---

(١) صحيح، وهو في السنن، باب الصيد والذبائح والأطعمة برقم (**٣٦ ـ ٣٨**).

محمداً رسول الله، عليه أن ينظر في الكون ليتبين له أولاً وجود الإله ثم يشهد!!

والصحيح عند أهل السنة والجماعة خطأ هذا القول، فلا يجب على المكلف النظر والاستدلال، وإنما الواجب عليه أن ينطق بـ: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**»(١).

فالمطلوب من المكلَّف عند أهل السنة والجماعة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا النظر ولا الاستدلال(٢)، لكن لا بأس عندنا في الإسلام أن نزيد إيماننا بالتفكر في الآيات والمخلوقات اتباعاً لأمر الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠]، وغيرها من الآيات.

أما عن الدخول في الإسلام فنقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فهذا هو المشروع.

القضية الرابعة: وهي من أكبر القضايا التي عالجها أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول وعمل.

أما المرجئة فعندهم أنه قول فقط، ولا يزيد، ولا ينقص.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر لهذا بحثاً ماتعاً في «فتح الباري» (١٣/٣٦١ ـ ٣٦٧).

فإذا قلت: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فإيمانك أصبح مثل إيمان أبي بكر الصديق.

وأما الصلاة، والزكاة، والصيام فهي أمور زائدة، وهذا القول من الأقوال الحادثة عند المسلمين.

وهو يعارض الكتاب والسنة، فإن الله ذكر الأعمال وأدخلها في الإيمان، والرسول ﷺ لما عدّد جبريل الأعمال والأركان قال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم**»(١)، فجعلها ديناً كلها.

إذاً.. فمن قال: (لا إله إلا الله) ولم يعمل بمقتضاها فلن تنفعه عند الله تعالى؛ لأن الكفار يقولونها والمنافقين يقولونها فلم تنفعهم عند الله تعالى.

وكيف يتصور الإنسان رجلاً يقولها ثم لا يعمل بمقتضاها؟ إلا أن يكون في قلبه شك أو مرض.

يقول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا كلام في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يُحب مطيع

ثم هنا مسألة: وهي أنه ﷺ قال: «**وإقام الصلاة**»، ولم يقل يصلون؟

السبب: أن الله عز وجل قد ذكرهم كثيراً في القرآن واصفاً المؤمنين بأنهم ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥].

لأن إقامة الصلاة أعم وأشمل من مجرد أداء الصلاة؛ لأن إقامة الصلاة معناها أن تقيمها في حياتك، وأن يكون لها أثر عليك بالخشوع، والصدق، والاطمئنان في أدائها.

---

(١) صحيح سبق تخريجه ص ١٢٤.

وأن تستصحب أثر الصلاة في السوق، وفي المزرعة، وفي الدكان، وفي الفصل، أما أداء الصلاة: فقد يؤديها كل مسلم، ولو كان لا يحافظ على أركانها، أو يقيم خشوعها، أو اطمئنانها.

وهاهنا مسألة أخرى وهي: هل يكفي للعبد أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فيعصم دمه وماله؟

الصحيح أنها لا تكفي.

للحديث السابق: «**فإن فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»، أي: الصلاة والزكاة لأنهما قُرنتا معها في الحديث.

فلا بد مع الشهادة من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإلا فدمه مسفوك، وعرضه مبذول، وماله مأخوذ، ومصيره إلى النار، والعياذ بالله من النار.

ومَن ترك الصلاة فهو كافر للأدلة الكثيرة، ولا عبرة بمن فرّق بين تركها جحوداً أو تساهلاً.

قال شقيق بن عبدالله العقيلي: لم يُجمع أصحاب الرسول ﷺ على شيء أن من تركه فهو كافر إلا الصلاة.

ولقوله ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(١)، وقوله: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»(٢).

وهاهنا مسألة، وهي: أن الأخرس يكفي منه عند الشهادة أن يشير بأصبعه وأن ينويها، وقيل: يكتبها، وليس بصحيح، بل يشير بها.

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (٣٤٦/٥)، والنسائي (٢٣١/١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والترمذي (٢٧٥٦)، والحاكم (٦/١ ـ ٧) من حديث بريدة بن الحصيب وصححاه. وقال هبة الله الطبري: صحيح على شرط مسلم. اهـ وهو كما قالوا.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢)، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

أو يعمل بشيء يدل على إسلامه كالصلاة.

وأما غير الصلاة: كالزكاة، والحج، والصوم فمن تركها جاحداً لوجوبها عليه، أو على الأمة فهو كافر بالإجماع.

لكن من تركها، وهو يعتقد وجوبها، فإنه آثم أشد الإثم.

وأما الزكاة، فإنها تُؤخذ، ولو رفض إعطاءها.

وقد ورد في ذلك حديث ولفظه: «**مَن منعها** ـ أي الزكاة ـ **فإنا آخذوها منه وشطر ماله، عَزْمَةً من عزمات ربنا**»[1]، وصحَّحه بعض المحدثين.

فالزكاة يكفر من تركها جحوداً.

وإن تركها بخلاً أُخذت منه غصباً، ويُقاتل عليها إذا امتنع كما فعل أبو بكر مع الفريق الذي منعها بخلاً في عهده بخلاف المرتدين.

هذه أبرز قضايا هذا الحديث.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❁ ❁ ❁

---

(١) صحيح، رواه الإمام أحمد (٥/٢)، وأبو داود (١٥٧٥)، والنسائي (٥/١٥ ـ ١٦)، والحاكم (١/٣٩٧) وغيرهم من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده (معاوية بن حيدة القشيري). قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: صالح الإسناد، وضعفه الشافعي كما في «السنن الكبرى» للبيهقي (٤/١٠٥). وصححه ابن عبدالهادي في «المحرر» (٥٦٨)، وانظر «التلخيص الحبير» (٢/١٦١).

فاعلم أنه لا إله إلا اللّه

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

قال الله لمحمد ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، إذا رأيت الأعداء.. إذا رأيت الدنيا.. إذا رأيت المغريات.. إذا رأيت الباطل ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

يا مسلم: قبل أن تدعو الناس، وقبل أن تلبس ثيابك، وقبل أن تذهب لمنصبك، وقبل أن تزاول وظيفتك، وقبل أن تحرث بمحراثك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

سبحان الله!

قالها تعالى لأبرِّ الناس، ولأتقى الناس، ولأعبد الناس.

قالها لمن يقطع ليله بالدموع والبكاء من خشية الله، حفظ لا إله إلا الله، وكان يعيش بها في الليل والنهار، فكان يشرب بلا إله إلا الله، ويأكل بلا إله إلا الله.

ضُرب بالسيوف وأوذي، وهو يقول: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

دخل الغار، وذُبح أصحابه، وكُسرت رَباعيته مرات، وقُتِل محبيه، وماتت بناته، وجاع، وطرد، وهو يقول: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

قال له أهل الباطل: اترك دعوتك، ونعطيك مالاً حتى تكون أغنى الناس.. واترك دعوتك، ونعطيك ما أردت.. واترك منهجك، ونجعلك سيداً علينا.

فقال: «**والذي نفسي بيده لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه**»[(١)]... فالمسألة مسألة عقيدة.

يقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

حاصروه في بيته، وطوّقوه بخمسين من الشباب المسلّحين فخرج، وهو يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٩]، وأخذ حفنة من التراب ونثرها على الكفار.. وعلى الكفر والوثنية.. وعلى كل عميل.. فدخل كل التراب في عيونهم فخسروا وخابوا.

وخرج منصرفاً مثل السيل، وآوى من الفجر إلى الغار، فلحقوه إلى الغار، وأرادوا أن يدخلوه، وكان سلاحه (لا إله إلا الله)، ورماحه (لا إله إلا الله)، ودروعه (لا إله إلا الله).

طوّقوا الغار، وأرادوا أن يدخلوه، فأرسل الله العنكبوت، فبنت بيتها في فم الغار، وأرسل الحمامة، فبنت عشها، وباضت في فم الغار.!؟

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام (١٠١/٢)، والتاريخ للطبري (٥٤٥/١)، وأخرجه الواقدي كما في دلائل النبوة للأصبهاني (١٩٧/١)، وانظر الضعيفة للألباني (٩٠٩)، وذكر الألباني له شاهداً في الصحيحة (٩٢).

فأتى الكفار بالسيوف يريدون أن يدخلوا عليه الغار، فرأوا الحمامة وبيت العنكبوت فرجعوا.

ظنوا الحمامة وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تَحُم
عناية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عالم من الأُطُم

يقول أبو بكر وهو يرتعد: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم موطن قدميه لرآنا.

فتبسّم ﷺ تبسم العظيم الزعيم الشجاع وقال: **«يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»**[1]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

رمى بك الله جنبيها فحطمها ولو رمى بك غير الله لم يُصب

وخرج من الغار فلحقه سراقة بن مالك على فرس.. لأن قريش قالت: مَن يأتِ بمحمد حياً أو ميتاً فله مائة ناقة.

فكان أبو بكر مرة يمشي عن يمين الرسول ﷺ ومرة يمشي عن يساره.. ومرة من أمامه ومرة من خلفه.

فيبتسم ﷺ ويقول: **«ما لك يا أبا بكر؟»**.

قال: يا رسول الله أخاف أن يرصدوا لك، فأتقدم أمامك لأموت قبلك، وأخشى أن يلاحقوك فأتخلف، وأخشى أن يأتوا من على الميمنة فأرصد الميمنة، وأخشى أن يأتوا من على الميسرة فأحميك من على الميسرة.

قال: **«غفر الله لك يا أبا بكر!»**.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣، ٣٩٢٢، ٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١).

ولحقهم سراقة! فقال أبو بكر: يا رسول الله، انظر إلى سراقة.. فنظر إليه، وهو مقبل معه سيف فيه الموت، فدعا عليه فساخت أقدام فرسه في التراب، ووقع على وجهه في الأرض!

فلحقهم مرة أخرى، فقال ﷺ: **«اللهم اكفناه بما شئت»**[1]، فساخ فرسه، ووقع على وجهه. فقال: يا محمد، أسألك الأمان.

فتبسَّم ﷺ وقال: **«ويلك يا سراقة كيف بك إذا سُوِّرت بسواري كسرى!!»**.

مطارد من مكة، قد ترك بناته، وترك عقاره، وترك داره، وترك أهله، ومع ذلك كأنه يقول: يا سراقة: سوف ننتصر على الباطل، وعلى دولة كسرى وقيصر، وسوف يأخذون أساورهما، ويجعلونها في يدك.

فضحك سراقة.. ما هذا الكلام؟

هذا المطارد بالصحراء، يمنِّيني بسواري كسرى.

ولكنْ.. بعد عشرين سنة خرج أبطاله ﷺ من المدينة، خرجوا يحملون لا إله إلا الله، خرجوا يوزعون لا إله إلا الله على البشرية مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ففتحوا ديار كسرى وقيصر، وأخذوا السوارين وجعلوهما في يدي سراقة.. فبكى!

قالوا: ما لك تبكي؟

---

(١) أورده البخاري (٣٩٠٨)، ومسلم (٢٠٠٩) الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا عليه، وأما ما هنا فقد ذكره الإمام أحمد (٣)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٢٨١، ٦٨٧٠).

قال: حبيبي وعدني بذلك وصدق حبيبي[(١)].

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، السماء تشهد أن (لا إله إلا الله)، والقمر انشق من أجل (لا إله إلا الله).

لقد خرج ﷺ إلى كفار قريش، وهم في الحرم ليلة أربعة عشر والقمر في السماء أكمل ما يكون، فقال: «**قولوا لا إله إلا الله**».

قالوا: مَن يشهد لك أن لا إله إلا الله؟

قال: «**إذا أتيت بآية تؤمنون بي؟**».

قالوا: نعم.

قال: «**أترون القمر؟**».

قالوا: نراه.

فانشق القمر فلقتين، فلقة ذهبت إلى جبل أبي قبيس في مكة، والفلقة الأخرى ذهبت إلى عرفات.

فقاموا ينفضون ثيابهم ويقولون: سحرنا محمد.. سحرنا محمد[(٢)].

فقال الله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: ١ ـ ٥].

لكنْ من يعرف الحكمة؟

---

(١) هذه القصة عند البيهقي في الكبرى (١٢٨١٢، ١٢٨١٥)، والإصابة (٤١/٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٠)، وكذلك أخرجه البخاري مختصراً (٣٦٣٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

والأرض تشهد أن لا إله إلا الله.. والزهور في البساتين.

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لُجين شاخصات بأحداق هي الذهب السبيكُ
على كثب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريكُ
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وأنت مولود على (لا إله إلا الله) منذ أن وقع رأسك على التراب، قبل أن تصبح شيئاً في عالم الإنسان، وأنت مفطور على (لا إله إلا الله).

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

ولكن أكثر الناس إلا من رحمه الله لا يعرفون مقتضى لا إله إلا الله، وأكثر الناس يقولون: لا إله إلا الله، لكنهم لا يتقيّدون بشروطها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فأنا وأنت، وأبي وأبوك، وأمي وأمك، وأجدادي وأجدادك، كنا في أصلاب أبينا آدم عليه السلام، فأخرج الله ذريته كالذَّر، أي: كالنمل الصغير، فنثرهم سبحانه وتعالى أمامه، ثم قال الله لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وهذه فطرة الله عزَّ وجلَّ التي فطر الخلائق عليها.

ويقول سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ١، ٢].

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، أما مرّ بي

وبك، في بطون أمهاتنا، وقت لم نكن نبصر فيه، ولا نأكل، ولا نشرب، فأخرجنا الله، وجعلنا شيئاً يُذكر.

فهل من خالق غير الله؟ لا خالق إلا الله، ولا رب إلا الله، ولا معبود إلا الله.

أتى حصين بن عبيد الخزاعي إلى الرسول ﷺ، فقال ﷺ: «**كم تعبد يا حُصين؟**».

قال: لي سبعة آلهة.

قال: «**أين هم؟**».

قال: ستة في الأرض، وواحد في السماء.

قال: «**مَن لرغبك ورهبك؟**» أي: مَن لك إذا ضاقت عليك الضوائق.

قال: الذي في السماء.

قال: «**فاترك التي في الأرض، واعبد الذي في السماء**».

قال: ماذا أقول؟

قال: «**قل لا إله إلا الله محمد رسول الله**».

فقالها[١].

خرج يونس بن متّى عليه السلام مغاضباً لقومه فركب سفينة دون أن يأذن له الله عزَّ وجلَّ.

فلما أصبح في السفينة أرسل الله عليها ريحاً تُقَلّبها مرتين أو ثلاث.

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١١٨٤) عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وانظر المشكاة (٢٤٨٦).

فقال ربانها: معنا رجل عصى الله نريد أن نخرجه من السفينة.

قال الله: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴿١٤١﴾﴾ [الصافات: ١٤١]، فساهم: أي: اقترع قرعة معهم، فكان من المدحضين، أي: أنه فشل في القرعة، وأتت عليه، فأخذوه بيديه، ورموه وسط البحر..، لا أهل، ولا ولد، ولا زوجة، ولا مال، ولا قبيلة، ولا عشيرة.

فتلقته سمكة عظيمة، فأدخلته بين أضلعها ثم أطبقت عليه، فأصبح بين أضلاع الحوت في ظلمة الليل.. وظلمة البحر.

فمَن يتذكر؟ وإلى مَن يشتكي؟ وإلى مَن يلجأ؟

فقال وهو في الظلمات: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فجمع بين التوحيد وبين الاستغفار.

قال ﷺ: **«دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»**(١).

فترتفع هذه الكلمة، ولكن إلى أين تذهب؟ أتذهب إلى الأهل والأطفال؟ أم تذهب إلى العشيرة؟

يقول الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ولم يقل يُرفع.. لأن يصعد أبلغ وأدل على المقصود.

ولم يقل ينتهي.. لأن يصعد أعظم.

قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) صحيح، أخرجه الإمام أحمد (١/١٧٠)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «اليوم والليلة» (٦٥٦)، وابن السني (٦٦١)، والبزار (١١٨٦)، والحاكم (١/٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وفي الحديث اختلاف كبير. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي. اهـ. وصنف شيخ الإسلام ابن تيمية جزءاً في شرح هذا الحديث تجده في «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٣٧ ـ ٣٣٧).

فارتفعت لا إله إلا الله، وصعدت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، لأنه كما قال الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]، فكان يعرف الله عزَّ وجلَّ في الرخاء فعرفه الله تعالى في الشدة.

فأخرجه الله تعالى وأنبت عليه شجرة من يقطين.. خرج عارياً مثلما ولدته أمه، فأنبت الله عزَّ وجلَّ عليه شجرة القرع، فأكل منها، وظلّلته..، وإنما اختار شجرة اليقطين؛ لأن الذُباب، والبعوض لا يقع عليها كما يذكر. ثم قال: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ۝١٤٨﴾ [الصافات: ١٤٧، ١٤٨].

يقول لقمان لابنه وهو يوصيه بالعقيدة والتوحيد والإخلاص: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان: ١٦].

فهو البصير بعباده المطّلع عليهم.. مَن كان منهم في بطن الحوت أو في قلب الصحراء.

فالكل تحت رعاية الله ومراقبته.

خرج سليمان، عليه السلام، يسير بجيشه يوماً ما.. فمرّ بغلام في طريقه.

فلما رأى الغلام موكب سليمان، عليه السلام، وحاشيته انبهر واندهش من العظمة والسلطان.

فقال: سبحان الله! إنك يا رب أعطيت آل داود ملكاً عظيماً.

فسمعها سليمان، عليه السلام، فقال له: لَقولك سبحان الله، أعظم مما أوتي آل داود.

فخذ القناعة من دنياك وارضَ بها   لو لم يكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن مَلَكَ الدنيا بأجمعها   هل راح منها بغير الطيب والكفن

يقول سبحانه وتعالى للإنسان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦]، أي: أنك مُنذ أن وضعتك أمك، وأنت في شدة، وأنت في كرب، وأنت في امتحان واختبار، وأنت في مسؤولية، فإما إلى طريق الخير، وإما إلى طريق الشر.

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ [الانفطار: ٦]، ما الذي خدعك، وصرفك عن الله عزَّ وجلَّ، وعن المسجد، وعن القرآن.. إلى الملاهي والفسوق؟

يا حملة لا إله إلا الله.. يا من جرت دماؤهم بلا إله إلا الله.. إن من معنى لا إله إلا الله: أن يعيش الإنسان لحظات عمره، ويستثمرها في خدمة هذه الكلمة الطيبة؛ لأن العمر محسوب.

دقات قلب المرء قائلةٌ له   إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها   فالذكر للإنسان عمر ثاني

يقول الله عزَّ وجلَّ للناس يوم القيامة: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢] أي: كم مكثتم في الأرض؟ كم لكم في الحياة؟

يا من عاش مائة سنة، يا من حفر الآبار، يا من لبس الجديد، يا من تمتع بالأولاد، يا من ضحك، يا من شبع.. كم لبثت في الأرض عدد سنين؟

اسمع الرد: ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون: ١١٣]، فحياتنا: يوم، أو نصف يوم، ونحن شاكّون في ذلك فلعلها أقل، فاسأل الملائكة.

﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٤]، يقول الله: كانت حياتكم قليلة، فكانت سهلة، وكانت يسيرة، لكنكم ما جعلتموها في طاعة الله تعالى.

دنياك تزهو ولا تدري بما فيها إياك إياك لا تأمن عواديها
تحلو الحياة لأجيال فتنعشهم ويدرأ الموت أجيالاً فيضنيها

يا مسلمون! يقول الله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٤]، فما أقل العمل.. الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة شابَ فنظر في المرآة فإذا شيبه قد ملأ لحيته فبكى وقال: والله كأن الشباب شيئاً سقط من يدي!

فيا شباب الإسلام انظروا إلى آبائكم الذين شابت لحاهم، فالذي شيّبهم هو الذي أفنى القرون السالفة، وهو الذي أخذ الأجداد، والآباء، وسوف يأخذ الأولاد، والأحفاد.

بكيت على الشباب بدمع عين فلم يُغْنِ البكاء ولا النحيبُ
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيبُ

كان لقيس بن عاصم المنقري عشرة من الأولاد، فكان لا يستطيع أن ينام الليل، فهو يسعل طول الليل يشكو الثمانين.

فيقول أحد أبنائه: ما لك يا أبتي، لا تنام؟

قال: ما تركتني الثمانين! ثم نظم في ذلك قصيدة قال فيها:

قالوا أنينك طول الليل يسهرنا فما الذي تشتكي قلت الثمانينا

قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢]. لم يقل: أعيدوا، ولكن: ﴿رُدُّوا﴾ لأنهم خرجوا بأمر الله عزَّ وجلَّ.

﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ فكل شيء سواه باطل، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ أي:

الحكم لله وحده، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾، فالحساب بعد الموت مباشرة، إما في نعيم، وإما في عذاب.

كان ابن عباس رضي الله عنهما، إذا قرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، بكى حتى يرثي له أصحابه، فيقولون: ما لك يا ابن عباس؟

قال: أتدرون ما النذير؟

قالوا: لا.

قال: الشيب هو النذير!

وشاب إبراهيم عليه السلام إمام التوحيد.

فقال: يا رب! ما هذا البياض في لحيتي؟

قال: شيب يا إبراهيم.

قال: ما الشيب يا رب؟

قال: وقار.

فقال: اللهم زدني وقاراً.

نظر رجل، بلغ الثمانين، في المرآة، فرأى الشيب يملأ رأسه، فقال: ربِ أطعتك أربعين، ثم عصيتك أربعين، أتقبلني إذا عدت إليك؟

فسمع هاتفاً يهتف: أطعتنا فأحببناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإذا عدت إلينا قبلناك[1].

مَن الذي أتى باب الله فردّه؟

(١) أوردها البيهقي في الشعب (٧١٢٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٧٤/٧).

مَن الذي قرع بابه فخيّبه؟

مَن الذي رفع كفيه فعادت خائبتين؟

مَن الذي بكى فما أنجز الله طلبه؟

مَن الذي اعتصم بحبل الله فانقطع به الحبل؟ لا أحد.

يقول الله: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦].

وأيوب إذ نادى ربه وقال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤]، وغيرهما كثير قد استجاب الله لهم.

أيها المسلمون.. إن من أسرار قدرة الله عز وجل: أن تكون مقاليد الأمور بيده، وهي العقيدة التي يريد الله عزَّ وجلَّ أن يقدرها للعبد بأن يُعلمه أنه لا يضر، ولا ينفع إلا الله تعالى، ولا يشافي ولا يُعافي إلا الواحد الأحد.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨]، يا قوم! أما تنظرون إلى الكبير يكبر، فيعود عقله، كعقل الطفل، فما لهم لا يعقلون؟ هذه هي الحياة وهذا مصيرها.

تزوَّد للذي لا بد منه — فإن الموت ميقات العبادِ
أترضى أن تكون رفيق قومٍ — لهم زاد وأنت بغير زادِ

قالوا لأحد السلف الصالح: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت وأعدائي أربعة:

دنيا تنهشني وأنهشها.

وشيطان يضلني قبل أن أتحرز منه.

وغريم لا يفارقني، وهو: الموت.

وأسرة تطلب النفقة كل يوم.

وقالوا لرجل من التابعين عمره ثمانون: كيف أصبحت؟

قال: أما عين من عيوني، فقد ذهب بصرها، والعين الأخرى ترثي أختها لتلحق بها، وسقطت أضراسي، وتقدمت إلى قبري، وتحملت كفني.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ١ ـ ٨].

وفي الحديث: أنه ﷺ مرَّ بابن عمر الزاهد العابد وهو في العشرين من عمره فوضع يده على كتفيه وقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح**»[(١)].

إن من أسرار لا إله إلا الله: أن نصرف أعمارنا في مرضاة الله عزَّ وجلَّ كان سعيد بن المسيب يبكي من خشية الله عزَّ وجلَّ حتى ذهبت عينه اليمنى.

فقيل له: نذهب بك للخضرة، لعل بصرك أن يعود.

قال: لا، والله، لا أخرج من المدينة، كيف تفوتني صلاة في مسجد الرسول ﷺ، وهي بألف صلاة فيما سواه!

(١) صحيح وقد سبق تخريجه ص١٣٤.

لما حضرته سكرات الموت، بكت ابنته فقال: لا تبكي عليَّ، والله ما أذن المؤذن من أربعين سنة، إلا وأنا في مسجد الرسول ﷺ!!

والأعمش حضرته الوفاة فبكى أبناؤه.. فقال: لا تبكوا عليَّ، فوالله ما فاتتني تكبيرة الإحرام في الجماعة خمسين سنة.

فطوبى لهم!

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

أيها المسلم: ومن أسرار لا إله إلا الله: التفكر في النعم، وشكر الله عزَّ وجلَّ عليها..، على السمع، والبصر، وعلى الفؤاد، وعلى الإيمان، وعلى الأمن، والصحَّة، والعافية.. وعلى رغد العيش في الأوطان.

وأركان شكر الله عزَّ وجلَّ ثلاثة:

١ - شكر الله بالقلب، ويأتي هذا بإقرار القلب بأن النعم ابتداءً وانتهاءً من الله عزَّ وجلَّ.

٢ - يلهج اللسان بالثناء على الله عزَّ وجلَّ.

قال داود عليه السلام: يا رب كيف أشكرك؟

قال: اشكرني بما أردت.

قال: لا أستطيع.

قال: أتعلم أن هذه النعم منّي.

قال: نعم.

قال: هكذا شكرتني!

٣ - شكر الله بالعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣].

فواجب على كل مسلم أن يحافظ على النعم التي أسداها الله له بالشكر بكافة الأركان، ولا يكون كالذين بدّلوا نعمة الله كفراً فأحلّهم الله دار البوار.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥]، لكنهم لم يحافظوا على هذا الخير المسدي من ربهم الغفور سبحانه.. فماذا كانت النتيجة؟

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٦، ١٧]، نعوذ بالله من كفران النعم.

والله أعلم، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

* * *

الإخلاص لله والصدق معه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الإخلاص هو: الباب الكبير الذي يدخل به العبد على الواحد الأحد الديَّان، والإخلاص: هو الذي يُبقي العمل سليماً من العيوب والنواقض، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

يوم تتساقط الدعاوى، والألقاب الأرضية، والأوسمة الترابية، وتبقى لا إله إلا الله قوية سليمة منجية لصاحبها.

ولذلك فإن من مقتضيات لا إله إلا الله: أن تُخلص العبادة للّه تعالى.

وأن تكون إذا سجدت، أو ركعت، أو سبَّحت، أو دعوت، أو تكلمت عبداً لله عزَّ وجلَّ ظاهرك وباطنك يحمل العبودية للواحد الديّان.

ومَن الذي لا يتشرَّف بعبودية الله الواحد الأحد؟

مَن الذي لا يتشرَّف بالإخلاص للّه والصدق معه؟

ومـمـا زادنـي شـرفـاً وتـيـهـاً وكـدت بـأخـمـصـي أطـأ الـثـريـا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيَّرت أحمد لي نبيّا

يقول سبحانه: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمر: ٣]، أي: ألا للّه الدين الصافي النقي الذي يريده سبحانه وتعالى.

ويقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، فما أُمروا ليكونوا منافقين أو مشركين.

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزُّمر: ٦٥، ٦٦].

وقف موسى، عليه السلام، قائد التوحيد، في وجه رأس الطغيان: فرعون.

موسى العقيدة.. موسى لا إله إلا الله.. موسى الذي حمل عصا التوحيد ليكسر بها رأس الضلالة والعمالة.

فنادى ربه، وكلّمه كفاحاً، فقال: يا رب، علمني كلمة أدعوك بها وأناديك.

فقال الله لموسى: يا موسى قل لا إله إلا الله.

فقال موسى متعجباً: كل عبادك يا رب يقولون ذلك، (لأنها كلمة مبذولة ومطلوبة ومشهورة).

فقال الله: «**يا موسى لو أن السموات السبع والأراضين في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله**»[1]، رواه الحاكم وابن حبان.

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه النسائي في «اليوم والليلة» (٨٣٤، ١١٤١)، وابن حيان كما في «الإحسان» (٦٢١٨)، والحاكم (٥٢٨/١)، وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٢ ـ ١٠٣) من حديث دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد وهي نسخة ضعيفة، وإن صححها الحاكم، وإنما ذكرته لصحة معناه.

فمعنى لا إله إلا الله عظيم، ودلائلها جسيمة، لأنها دليل الإخلاص، والتجرد لله سبحانه وتعالى، والتخلص من كل عبودية إلا عبوديته، فتجعل حياتك نوراً كلها: لحمك، ودمك، وعصبك، وطريقك، ومنهجك.

وفي البخاري عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى صلاة الفجر: «**اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعلني نوراً**»، وزاد البخاري في رواية: «**واجعل في عظمي نوراً، وفي دمي نوراً، وفي مخي نوراً، واجعلني نوراً**»(١).

فالنور هو نور لا إله إلا الله.

والنور هو قبس وضياء لا إله إلا الله.

يقول شفي الأصبحي رحمه الله: دخلت المدينة فوجدت أبا هريرة، رضي الله عنه، وقد أجمع عليه الناس حلقات بعضها دون بعض، فتقدمت إليه، وقلت: يا أبا هريرة، أسألك بالله أن تحدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم تسمعه من غيره.

فبكى، ثم رفع رأسه، وقال: والله لأحدثنكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ما سمعته من غيره، ثم بكى، حتى نشج من البكاء، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجلٌ استُشهد، فأتى به فعرَّفه نعمته فعرفها. فقال: ما عملت فيها؟**

قال: قاتلت فيك حتى استُشهدت.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣).

قال: كذبت؛ ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمرَ به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها.

قال: فما عملت فيها؟

قال: تعلَّمت العلم وعلَّمته، وقرأت فيك القرآن.

قال: كذبت؛ ولكنك تعلَّمت العلم ليقال: إنك عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجلٌ وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّه، فأُتِيَ به فعرَّفه نعمه فعرفها.

قال: فما عملتَ فيها؟

قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحب أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك.

قال: كذبت، ولكنك فعلتَ ليقال: هو جوادٌ؛ فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقي في النار»(١).

فيا ويل من عمل لغير الله، يوم يبعثر ما في القبر، ويحصّل ما في الصدور ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

فكل شيء عند الله مكشوف، الجسد: مكشوف، والقلب:

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

مكشوف، والتاريخ: مكشوف، والسجل من الحسنات والسيئات: مكشوف.

وعن عمر، رضي الله عنه وأرضاه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[(١)].

إذا عُلِم هذا فلنقف أمام نماذج من أصحاب الرسول ﷺ أخلصوا لله عزَّ وجلَّ، فرفعهم الله عزَّ وجلَّ بالإخلاص، ورفعهم الله عزَّ وجلَّ بالصدق.

١ ـ يقف الخليفة الزاهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لابساً بردة فيها أربعة عشر رقعة، وهو يملك ذهب الأمة، وفضة الأمة، وكنوز الأمة، ويبقى جائعاً، ليطلب الثواب من الله تعالى.

عمر رضي الله عنه، الذي يقول: ليتني كنت شجرة فأُعْضد، يا ليت أمي لم تلدني.

وقد أرضاه الله عزَّ وجلَّ، وأجاب دعوته، عندما سأل الله تعالى الشهادة في آخر حجة حجَّها.

فإنه لما حجَّ، رفع يديه عند الجمرات، وقال دعاءً حاراً صادقاً فقال: اللهم إنها قد كثرت رعيتي، ورقّ عظمي، ودنا أجلي، فاقبضني إليك غير مفرط، ولا مفتون، اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتاً في بلد رسولك.

فقال الصحابة: يا أمير المؤمنين، من يطلب الشهادة يذهب إلى الثغور والقتال.

---

(١) أخرجه البخاري (١، ٥٤، ٢٥٢٩)، ومسلم (١٩٠٧).

قال: هكذا سألت، وأسأل الله أن يلبي لي ما سألت.

فعلم الله صدقه، وعاد إلى المدينة مخلصاً.

فرأى في منامه ديكاً ينقره ثلاث مرات.

فسأل في الصباح أسماء بنت عميس، عن تأويلها؛ لأنها عالمة بذلك.

فقالت: يا أمير المؤمنين، أستودع الله في نفسك الذي لا تضيع ودائعه، إنني أرى أنك تُقتل بيد رجل من العجم.

فأتى عمر، في آخر جمعة يخطبها على الناس، فما كان منه إلا البكاء على المنبر، يستودع الناس نفسه، ويطلب منهم المسامحة، ويطلب منهم أن يتجاوزوا عما أخطأ فيه عليهم.

وفي يوم السبت يأتي الصدق لأهل الصدق، والإخلاص لأهل الإخلاص؛ لأنه سأل الشهادة مخلصاً صادقاً مع الله، فصلّى الفجر وقرأ سورة يوسف.

وما أبلغ سورة يوسف، يا شباب المسلمين! وما أروعها! يوم تربي في نفس الشبيبة التقوى.

ويوم تجعل لهم يوسف، عليه السلام، علماً، ومعلماً من معالم الذين ثبتوا على لا إله إلا الله، وأخلصوا لا إله إلا الله.

فحفظهم الله بعين رعايته، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

ويركع أمير المؤمنين فتمتد يد آثمة، ما سجد صاحبها لله سجدة واحدة.

وتمتد يد بغيضة ما ركع صاحبها لله ركعة واحدة، لتمزق ذاك الأديم الطاهر المجاهد الزاهد.

ضحوا بأشمط عنوان السجود به   يُقَطع الليل تسبيحاً وقرآناً

فيهوي، رضي الله عنه، في المحراب.

وما أحسن الشهادة، وما أحسن البقعة، وما أحسن الصلاة!

فرفعه الناس على أكتافهم، ودماؤه تسيل على أكتاف الرجال، ويُذْهب به إلى بيته، فيوضع تحت رأسه وسادة.

فيقول للناس: أزيحوها عن رأسي، وخلوا رأسي على التراب، لعل الله أن يرحمني.

رحمك الله يا فاروق الإسلام!

رحمك الله يا صادق يا مخلص!

قد كنتَ أعدى أعاديها فصرت لها   بفضل ربك حصناً من أعاديها

فوضعوه على التراب، فدخل أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين، هنيئاً لك، ما أكثر ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**» فاسأل الله أن يحشرك مع صاحبيك[١].

فدمعت عين عمر، رضي الله عنه، وقال: ليتني نجوت كفافاً، لا لي ولا علي.

يقول هذا، رضي الله عنه، وهو من المجاهدين العابدين الصادقين، فقل لي بربك: ماذا فعلنا نحن للإسلام؟

وقل لي: ماذا فعلنا للا إله إلا الله؟

وقل لي: ماذا ادَّخرنا عند الله عزَّ وجلَّ؟

هل هناك جهاد؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٧، ٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩).

هل سكبنا دماءنا لرفع لا إله إلا الله؟

هل قُطعت رؤوسنا من أجل نصرة لا إله إلا الله؟

هل سهرنا لنناجي من أنزل لا إله إلا الله؟

نحن مذنبون، وأصحاب خطايا، وعيوب، ونقص، لكن نسأل الله تعالى كما سترنا في الدنيا أن لا يفضحنا يوم نأتيه مذنبين نادمين.

٢ ـ قبل معركة أحد، قال سعد بن أبي وقاص لعبدالله بن جحش: تعال نبايع الله هذا اليوم.

فانزويا وراء أكمة، فرفع سعد يده، وقال: اللهم انصرنا في هذا اليوم، اللهم أعلِ كلمتك.

فلما انتهى من الدعاء، تقدّم عبدالله بن جحش، أول أمير في الإسلام، الصابر على الجوع والعطش، كما سمَّاه الرسول ﷺ، وهو شاب في السادسة والعشرين.

تقدّم فرفع يديه وقال: اللهم إني أسألك صادقاً مخلصاً هذا اليوم، أن تواجه بيني وبين عدوٍّ لك من الكفار، شديد حرده، قوي بأسه، فيقتلني فيك، فيبقر بطني، ويفقأ عيني، ويجدع أنفي، ويقطع أذني، فألقاك على هذه الصورة فتقول: يا عبدالله، لِمَ فُعل فيك هذا؟

فأقول: فيك يا رب.

فقال سعد: والله الذي نفسي بيده، لقد رأيته في آخر المعركة، وهو بين القتلى، مبقور بطنه، مجدوع أنفه، مفقوءة عينيه، مقطوعة أذنه[١].

(١) أخرجه البيهقي (١٢٥٤٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٠٩/١)، وانظر: سير أعلام النبلاء (١١٢/١)، والإصابة (٣٦/٤).

هذا هو الصدق.. فيوم صدقوا مع الله أعطاهم الله ما سألوا.

٣ ـ يأتي أعرابي من الصحراء لا يفهم إلا حرارة لا إله إلا الله، وعمق لا إله إلا الله، فيقول: يا رسول الله، أبايعك على لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

فبايعه رسول الله ﷺ.

فأتت إليه ﷺ غنائم، فأعطى هذا الأعرابي منها.

فقال: يا رسول الله، ما على هذا بايعتك.

قال: «**على ماذا بايعتني؟**».

قال: بايعتك على أن يأتيني سهم من عدوٍّ كافرٍ فيدخل من هنا ـ وأشار إلى صدره ـ ويخرج من هنا ـ وأشار إلى ظهره ـ.

فدمعت عين رسول الله ﷺ وقال: «**إن تصدق الله يصدقك**».

فلا تنتهي المعركة إلا ويأته سهم طائش فيقع في لب هذا الأعرابي ويخرج من قفاه.

فيراه ﷺ مقتولاً فيمسح التراب من على وجهه ويقول: «**صدق الله فصدقه**»(١).

٤ ـ أما عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري، فقد أنزل الله فيه، وفي إخوانه قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ

---

(١) إسناده ضعيف أخرجه النسائي برقم (١٩٥٣)، وعبدالرزاق في المصنف برقم (٦٦٥١، ٩٥٩٧)، والطبراني في «الكبير» (٧١٠٨)، والبيهقي في الكبرى (٦٦٠٨)، والحاكم (٦٥٢٧) من حديث شداد بن الهاد، ويرويه بعضهم موصولاً، وبعضهم موقوفاً، ومرسلاً للبعض الآخر.

مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴿١٧١﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

أتى عبدالله هذا فصلى صلاة الليل قبل معركة أحد بليلة، ورفع يديه، يوم كان السلف الصالح يتهجدون، ويوم كانوا يناجون الله في الثلث الأخير، وفي الساعات القريبة الحبيبة للحي القيوم، يوم يتجلَّى الله عزَّ وجلَّ وينزل نزولاً يليق بجلاله إلى السماء الدنيا فيقول: «**هل من سائل فأعطيه، هل من داعٍ فأجيبه، هل من مستغفرٍ فأغفر له؟**»(١).

فقام هذا الصحابي ودعا الله سبحانه وتعالى أن يوفقه للشهادة.

فعلم الله صدقه وإخلاصه، فقام في الصباح، وقال لابنه جابر: يا بني، إني رأيت في المنام أني أول مقتول في أحد، فعليك بأخواتك، وأستودعكم الله، الذي لا تضيع ودائعه، وذهب إلى المعركة بعد أن اغتسل، وتحنَّط، وتكفَّن.

فوقف في الصف، صادقاً منيباً لله عز وجل.

وفي آخر المعركة جاء ابنه جابر، فإذا أبوه قد قُتل، فجعلت عمته فاطمة تبكي فقال النبي ﷺ: «**تبكين أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه**»(٢).

وفي رواية قال النبي ﷺ لجابر: «**ما لي أراك منكسراً**»، قال: يا رسول الله استشهد أبي، وترك عيالاً وديناً، قال: «**أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك**» قال: بلى يا رسول الله، قال: «**ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً فقال: يا عبدي تمن عليّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل**

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٣١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة.
(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٤، ١٢٩٣، ٢٨١٦)، ومسلم (٢٤٧١).

إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: **١٦٩**] الآية كلها»[١].

فجعل الله روحه وأرواح إخوانه الشهداء كما جاء في الحديث: **«في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل...»**[٢].

فلما صدق هؤلاء مع الله، وفَّقهم سبحانه إلى ما أرادوا.

وينافي الإخلاص والصدق: الرياءُ ـ نعوذ بالله من الرياء ـ.

روى أهل السنن من حديث معاذ، رضي الله عنه، أنه وقف عند قبر رسول الله ﷺ وبكى، فمرَّ به عمر، رضي الله عنه، فقال: ما لك يا معاذ؟

قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ أبكاني.

قال: وما هو؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن يسير الرياء شرك، وإن من عادى لله ولياً فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يُدعوا ولم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة»**[٣].

فكانوا يهربون من الشهرة التي يُقصد منها الرياء والسمعة؛ لأنها

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠، ٢٨٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧)، من حديث ابن مسعود.

(٣) حسن، أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والطبراني في «الصغير» (٨٩٢)، و«الأوسط» (٤٩٥٠، ٧١١٢)، والكبير (٢٠ /رقم ٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨١٢)، والحاكم (٤، ٥١٨٢) وصححه.

تنافي الإخلاص، لأن من يريد ما عند الله عز وجل، لا يهمه أعرفه الناس أم لم يعرفوه.

ومن حديث ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاً فيجعلها الله هباءً منثوراً**» قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «**أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»(١).

فهم أمام الناس عُبّاد وزُهّاد ونُسّاك، ولكنهم في الظلام ذئاب.

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

إن الذي رفع علماءنا، وسلفنا الصالح، هو: إخلاصهم، وصدقهم مع الله تعالى.

وكل شيء ينتهي إلا الصدق، فهو مؤنس لصاحبه في قبره.

وقد ذكر أهل التراجم أن عبدالغني المقدسي، رحمه الله، المحدّث، الخطير، الشهير، كان مسجوناً في بيت المقدس، فقام من الليل صادقاً مع الله تعالى مخلصاً لله تعالى يناجيه سبحانه.

وكان معه في السجن قوم من اليهود والنصارى محبوسين.

فأخذ يبكي حتى الصباح.

فلما أصبح الصباح، وقد رأى هؤلاء الكفار، هذا الصالح العابد

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥)، والطبراني في «الصغير» (٦٦٢)، و«الأوسط» (٤٦٣٢)، وانظر «الترغيب والترهيب» (١٧٠/٣). قال البوصيري: إسناده صحيح، رجاله ثقات. اهـ.

ذهبوا إلى السجَّان، وقالوا: أطلقنا، فقد أسلمنا، ودخلنا في دين ذاك الرجل.

قال: كيف ذلك؟

قالوا: قد بتنا معه ليلة ذكّرنا فيها بيوم القيامة، فهو، رحمه الله، قد دعاهم بعمله، وإخلاصه، وصدقه مع ربه، ولم يدعهم بلسانه، فكان أبلغ في التأثير في نفوسهم، فأسلموا.

وقال أهل العلم في ترجمة أيوب السختياني: أنه كان إذا خرج إلى السوق، ورأى الناس وجهه قالوا: لا إله إلا الله.

لأنهم يذكرون برؤيته الحي القيوم، فما كان يتحدث، وما كان يدعو، لكن إذا رآه الناس ذكروا الله تعالى.

والإمام أحمد، رحمه الله، لم ينقذه في محنته التي أصابته بعد الله عز وجل، إلا الصدق والإخلاص.

فقد سجنوه، وآذوه لعله أن يعود لرأيهم المبتدع، لكنه لم يستسلم، ولم يهن، وإنما ظل صابراً، وإلى أن أعلى الله كلمته، وخذل من تسبَّب في أذيته من رؤوس البدعة: كأحمد بن أبي دؤاد، الذي دعا عليه الإمام أحمد بأن يُحبس في جسده، فأصابه فالج، فأصبح نصف جسده مشلول ويابس.

فكان يقول: أما جسمي هذا، فوالله لو قطع بالمناشير لما أحسست، وأما نصفي الآخر لو وقع عليه ذباب لآلمني.

وأما عدوه الآخر: ابن الزيات، فقد نكّل الله به، فقُطعت يداه، وحُبس.

وهذا جزاء الصدق مع الله، والإخلاص له: أن يحفظك الله تعالى في مواقف الشدة والكرب، وينصرك على أعدائك.

روى أهل التاريخ أن: صلة بن أشيم حضر معركة في الشمال مع جيش الإسلام، فلما أظلم عليه الليل قام يتهجَّد لله تعالى.

قال أحد تلاميذه يروي الخبر: لقد تواريت خلف شجرة حيث أراه ولا يراني، وإذا بالليث، وهو يُقبل من الغابة إلى صلة، فيقف بجانبه وصلة يصلي للواحد الأحد.. وصلة يجعل بينه وبين الله صلة.

فلما انتهى من صلاته، نظر إلى الأسد، وقال: يا حيدرة، إن كنت أمرتَ بقتلي، أو بأكلي، فتقدم، وكُلني، وإن كنتَ لم تؤمر بذلك، فاذهب لأرض الله تعالى واتركني أناجي الله تعالى.

قال: فزأر الأسد زئيراً، كاد يخلع قلبي، ثم انطلق.

واستمر صلة في صلاته.

فلما أصبحنا رأيت في نفسي شيئاً من الفتور والكسل، ورأيت وجه صلة كفلقة القمر ليلة أربعة عشر.

قيل للحسن البصري: ما للصادقين المخلصين وجوههم مضيئة نيّرة؟

قالوا: خلوا بنور الله تعالى في الظلام، فأكسبهم نوراً من نوره.

وفي المقابل: الذين لا يصدقون مع الله، ولا يريدون وجهه، تتساقط أعمالهم أحوج ما كانوا إليها، وتذهب سدى ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال شفي الأصبحي: دخلت على معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه وأرضاه، فقال: حدثني يا شفي حديثاً سمعته من أبي هريرة.

قال: فحدثته بحديث النفر الثلاثة الذين هم أول من تُسعر بهم

النار (العالم والجواد والشجاع)[١]، قال: فلما انتهيت من حديثي بكى بكاءً شديداً، ثم مرغ وجهه في التراب، وقال: صدق الله ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦]، فنسأل الله أن لا يحبط أعمالنا، ولا أعمالكم، وأن يحفظها عنده.

ولذلك يتذكر المخلص إخلاصه، يوم تأتيه الوفاة، ويُراجع حسابه.

وكثير من الناس نائم، وغافل حتى تأتيه سكرات الموت، فيستفيق، فيراجع حسابه، ويندم ساعة الموت، التي يُذعن فيها الجبار، ويلين فيها المتكبر، ويُسلم فيها الكافر.

قيل لعمرو بن العاص رضي الله عنه، في سكرات الموت: صف لنا الموت، فقال: والله، لكأن جبال الدنيا على صدري، ولكأني أتنفس من ثقب إبرة.

والصدق والإخلاص يرفع درجات العبد، ويزكي أعماله، وإن لم تكن كثيرة؛ لأنها تكون غير مشوبة بأي شائبة من رياء، أو شرك، أو غير ذلك مما يُفسد العبادات.

ولذلك نعلم لماذا فاق أبو بكر، رضي الله عنه، الصحابة كلهم وجاء في المرتبة الأولى قبلهم.

أهو بكثرة صلاته؟ أم صيامه؟ أم حجه؟

أم تنفُّله؟

لا.. ليس بهذا، بل قد يكون مثلهم في كل هذا، لكنه فاقهم

(١) صحيح سبق تخريجه ص: ١٦٣.

بصدقه، ولذلك لزمه لقب (الصدِّيق)؛ لأنه صادق في أقواله وأعماله.

ولذلك يقول أحد التابعين: والله ما فاقهم أبو بكر بكثرة صلاة، ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه.

فيا، أحبابي في الله، عليكم بالصدق، والإخلاص لله، فإنه من خير الأعمال، وهو المرجّح لأعمالكم، والمزكي لها، ولو كانت قليلة.

فربّ عمل قليل كثّره الصدق والإخلاص.

وربّ عمل كثير قلّله الرياء والكذب.

والإخلاص شرط من شروط قبول العمل، فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه، ومتابعاً فيه طريقة محمد ﷺ كما قال هذا الفضيل بن عياض وغيره.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

أي أن يكون العمل (خالصاً صواباً).

أسأل الله أن يوفقني وإياكم للصدق والإخلاص في القول والعمل.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

❁ ❁ ❁

احترام المبادىء

الحمد لله الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاة والسلام على معلم الخير، وهادي الإنسان، ورسول البشرية.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أيها الناس: المؤمن يُحسن ويخاف، والمنافق: يُسيء ويرجو.

المؤمن: مُرهف الإحساس، وحي العاطفة.

المؤمن: يعظم شعائر وحرمات الله عزَّ وجلَّ.

المؤمن: يراقب الله عزَّ وجلَّ في السر والعلن، يرى ذنوبه كأنها جبل يخاف أن يسقط عليه.

والمنافق: يمشي قُدماً ويرى ذنوبه كأنها ذباب مرَّ بأنفه فقال له هكذا، فطار.

المنافق: يخاف من الناس أعظم من خوفه من الله تعالى ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النِّساء: ١٠٨]، يوقرون الناس ولا يوقرون الله تبارك وتعالى.

فتعالوا نرى السلف الصالح كيف كانوا يخافون الله تعالى؟

سبحان من يعفو ونهفوا دائماً ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يُعطي الذي يخطي ولا يمنعه جلاله عن العطا لذي الخطا

كان عمر رضي الله عنه من أخوف الناس لله تعالى، ومع ذلك كان صادقاً مع الله عزَّ وجلَّ، وصادقاً مع الناس، وصادقاً مع نفسه، قائماً الليل، وصائماً النهار، وعادلاً فيما ولاّه الله تعالى، وزاهداً في الدنيا.

كان يبكي طويلاً ويقول: يا ليتني كنت شجرة أُعضد.

يقول لحذيفة، رضي الله عنه، وقد علّمه ﷺ أسماء المنافقين: يا حذيفة، أسألك بالله أسمّاني رسول الله ﷺ من المنافقين؟

لا إله إلا الله! إذا لم تكن يا عمر مؤمناً فمَن هو المؤمن؟!

وإذا لم تكن صادقاً فمَن هو الصادق؟!

وإذا لم تكن مخلصاً فمَن هو المخلص؟!

لا إله إلا الله! بذلت دمك، ومالك في لا إله إلا الله، وتخشى على نفسك أن تكون منافقاً.

جلس الصحابة في مجلس، فقال عمر، رضي الله عنه وأرضاه، لأصحاب الرسول ﷺ: أيكم يحفظ قول الرسول ﷺ في الفتن؟

فقال حذيفة: أنا.

قال: إنك لجريء، أي: تستطيع أن تتكلَّم في هذه المواضيع الخطيرة.

قال: نعم.

قال: ماذا سمعت الرسول ﷺ يقول في الفتنة؟

قال: يقول: «**فتنة الرجل في أهله وماله يكفِّرها الصوم الصلاة والصدقة**».

قال عمر: لست عن هذا أسألك، ولكن أسألك عن الفتنة التي تموج موج البحر ما هي كفارتها؟

قال حذيفة: يا أمير المؤمنين، لا تخف، إن بينك وبينها باباً.

قال: أيُفتح الباب أم يُكسر؟ والباب هو: عمر رضي الله عنه.

قال: بل يُكسر! يعني: أن هذا الباب لا يموت، إنما يُذبح كما يُذبح العظماء.

فدمعت عين عمر، وقال: الله المستعان.

قيل لحذيفة: أدرى عمر مَن هو الباب؟

قال: إي، والذي نفسي بيده، إنه علم كما أن دون الليلة البارحة[١].

ويوم أتته سكرات الموت واغتيل رضي الله عنه وأرضاه ما بكى أطفاله وما بكى أمواله وما بكى منصبه ووظيفته، بل بكى ذنوبه وخطاياه.

يقول: يا ليت أمي لم تلدني.

قالوا: ما لك؟

قال: ذنوبي وخطاياي، يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني كنت شجرة فأعضد، يا ليتني ما توليت الخلافة.

فكيف بنا أهل الذنوب والخطايا؟

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥، ١٤٣٥، ١٨٩٥، ٣٥٨٦)، ومسلم (١٤٤).

المؤمن: الذي يصلي، ويصوم، ويتصدّق، ويعمل صالحاً، ويتوب ويخاف من الذنوب.

والمنافق: يترك الصلوات، ويلعب بالمحرمات، وينتهك حدود الواحد الأحد، رب الأرض والسموات، إذا بايع الناس غشّ وغلب، وإذا أخذ المال وأعطاه يتعامل بالربا، وإذا خاصم فجر، وشهد شهادة الزور، ولعن وتعدى، قاطع للرحم، عاق للوالدين، فاجر في بيته، فاجر في مجتمعه، فاجر مع أمته، وهو مع ذلك يضحك!

ولذلك كان أصحاب الرسول ﷺ أخوف الناس لله تعالى.

أتى أبو لبابة بن عبدالمنذر، والرسول ﷺ محاصر لخيبر، وقيل: غيرها، من قرى اليهود، فأرسله ﷺ إلى أهل الحصن من اليهود لينزلوا على حكم الله تعالى.

فدخل على اليهود، وهم يتباكون رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، فقالوا: ما ترى يصنع بنا رسول الله ﷺ؟

فأخذته الرحمة لكن في غير موضعها فلم يتكلَّم ولكنه قال بيده إلى عنقه، أي انتبهوا لا تنزلوا على حكمه فإنه سيذبحكم ذبحاً.

وخرج من الحصن وشعر أنه خان الله وخان رسول الله وخان دين الله وخان الإسلام، فذهب إلى المسجد وربط نفسه بحبل في سارية المسجد وقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أفك نفسي حتى يطلقها رسول الله ﷺ، وأخذ يبكي.

فأخبروا رسول الله ﷺ فقال: «**أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه**»(١).

(١) انظر القصة في السيرة النبوية (٤/١٩٦ ـ ١٩٧)، وعند البيهقي (١٣٣٠٧).

ونزل فيه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

فأتت التوبة من السماء يوم اعترف بذنبه وخطيئته فتاب الله عليه. وهذا هو فعل المؤمن الذي يتقي الله تعالى ويخاف من الله عزَّ وجلَّ ويعظِّم حرمات الله سبحانه.

قال ابن هشام: أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة، فتحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع، فيما حدثني بعض أهل العلم.

والآية التي نزلت في توبته قول الله عزَّ وجلَّ ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢] اهـ.

والمقصود من هذا الكلام: أنه ينبغي لنا أيها المسلمون الأبرار، أيها الأخيار، أن نعظِّم حرمات الله تبارك وتعالى.

فحقٌّ على المسؤول فينا أن لا يتصرف، ولا يعمل إلا والله عزَّ وجل حافظه، ومتوليه، وراعيه، وأن يراقب الله تعالى في السر والعلن، وحقٌّ على من يكتب مقالة نثرية، أو شعرية في الصحف، أو في الكتب، أو في المصنفات أن يتقي الله في نفسه.

فإنه إذا اتقى الله لم يكتب ما يخالف شريعته، ولم يقل ما يناقض دينه.

فلا يكون كمن كتب مخاطباً الأمة العربية:

هبوا لي ديناً يجعل العرب أمة　　وسيروا بجثماني على دين بَرْهَمِ
بلادك قدِّمها على كل ملة　　ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

يقول: اتخذوا منهجاً يجمع العرب ولو كان قومية أو بعثية، ولو كان دين برهم الهندوكي اللعين.

أهذا يخاف الله؟

ويقول الثاني وقد وقف أمام أحد السلاطين: سلاطين الدنيا:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

سبحان الله! يقول لهذا الفقير الهزيل الذي يموت، والذي رزقه من الله، وحياته من الله، ووجوده من الله، وسمعه وبصره من الله يقول له:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار! فاحكم فأنت الواحد القهار

فابتلاه الله بمرض على فراشه، جعله ينبح كما ينبح الكلب، لأن الذي لا يعرف الله في الرخاء، لا يعرفه الله بنفسه في الشدة.

وقال:

أبعين مفتقر إليك نظرت لي فأهنتني وقذفتني من حالقي
لستَ الملوم أنا الملوم لأنني علَّقت آمالي بغير الخالق

فالشاهد، يا عباد الله، تعظيم حرمات الله في مجالسنا، وفي اجتماعاتنا، وفي مكاتبنا، وفي مدارسنا، فلا نطلق كلمات تهوي بصاحبها في النار سبعين خريفاً، نطلقها بلا اعتبار، أو نستهزىء بالإسلام، ونستهزىء بالرسول ﷺ، ونستهزىء بالسنة الخالدة، وبالدعاة، والدعوة، فيقال لنا: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

فالله الله في تعظيم حرمات الله ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ومن تعظيم الله: تعظيم أسمائه، وآياته: أن تمتهن في الصحف، أو في الأوراق، أو غيرها، وعدم وضعها للطعام، أو رميها، لأنها تحمل أسماء الله سبحانه وتعالى.

وإن دلّ هذا ـ أي: امتهانها ـ على شيء فإنما يدل على أمرين اثنين:

أولها: قلّة مراقبة الله الواحد الأحد، وقلّة تعظيم الله تعالى في القلوب، وعدم الحياء من الله عز وجل.

وثانيهما: عدم الأدب والمستوى الراقي الذي ينبغي أن يكون عليه المجتمع ليكون قدوة للناس.

لذلك نسمع في مجالسنا أن مدناً كافرة في أوربا، وأمريكا بلغت من النظافة، ومن ملاحظة أرصفتها، ومجتمعات الناس، وساحاتها، وسككها الأمر العجيب.

ونحن أهل الحضارة، ونحن أهل التقدم، ونحن أهل الرقي نرمي صحفنا، وجرائدنا، وكتبنا وفيها: أسماء ربنا تبارك وتعالى!

فهذا يدل على التخلف في عالم الأدب، وعدم الرقي، والحضارة، والمعرفة، والثقافة.

من الصور أيضاً: تساهل كثير من الناس في الدخول إلى أماكن قضاء الحاجة بأسماء الله تبارك وتعالى في أوراق ومستندات.

وهي إما عن جهل، وإما عن قلة إيمان.

فيا عبد الله، عظّم أمر الله تبارك وتعالى، حتى يعظّمك الله تعالى.

إبراهيم بن أدهم أحد الزهّاد كان في أول حياته مسرفاً على نفسه في الخطايا والذنوب لكنه يحب الله تعالى.

نزل السوق يوماً فوجد ورقة قرطاس على الأرض مكتوب فيها اسم الله تبارك وتعالى، والناس يطؤونه، وهم داخلون إلى السوق وخارجون.

فنظر فإذا اسم الله فيه فبكى، وقال: سبحانك يُهان اسمك هنا لا والله، فرفع هذه الورقة وطيّبها، ورفعها في بيته.

فسمع هاتفاً يقول: يا من طيَّب اسم الله، وعظّم اسم الله، ليعظمنَّ الله اسمك، فهداه الله إلى التوبة النصوح، فأصبح من زهّاد الإسلام المشهورين، نسأل الله تعالى أن يجعلنا كذلك.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❁ ❁ ❁

يا معاذ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلِل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: لما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُدفع إلى فقرائهم، وإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»(١).

هذا الحديث رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، واتفق الجماعة على إخراجه من طرق واختلفوا في الألفاظ.

أما راوي هذا الحديث، فإنه: سيد العلماء، رضي الله عنه وأرضاه، وقائدهم إلى الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

واللطيف أن هذا الحديث هو من رواية الأقران، أو من رواية صحابي عن صحابي، وهو فن مستقل بذاته.

وهذا الحديث أيضاً رواه عالم عن عالم، فابن عباس رضي الله عنهما، ترجمان القرآن، وحبر الأمة، يروي قصة معاذ، رضي الله عنه وأرضاه.

في هذا الحديث قضايا:

القضية الأولى: سيرة معاذ، رضي الله عنه وأرضاه، هو معاذ بن جبل الأنصاري، أسلم وعمره: ثلاث عشرة سنة، وأحبّ الدين بكل قلبه، فكان يصبح مع الإسلام، ويمسي مع الإسلام.

كان رجلاً، طويلاً، جميلاً، بسّاماً، ضاحكاً، كريماً، لا يمسك الشيء في يده من جوده وسخائه.

قال كعب بن مالك: كان أسخى الأنصار، بعد سعد بن عبادة: معاذ بن جبل، على قلة ذات يديه.

فهو مع فقره كان أسخى الناس، حتى باع بعض دوره وأملاكه لضيافة الوافدين، وكان ينطلق الناس بالاثنين والثلاثة إلى بيوتهم، وينطلق بالثمانين من ضيوف رسول الله ﷺ، فكثرت ديونه، رضي الله عنه وأرضاه، وأتى أهل الدَّين إلى رسول الله ﷺ، فشكوا معاذاً إليه فاستدعاه، ولما رأى أن المسألة سوف تطول، وأن أموال الناس سوف تُهدر، وأن تركة معاذ، رضي الله عنه، لا تغطي هذه الديون حجر عليه ﷺ، وأعلن في الناس أن معاذاً ماله محجور، تحت تصرف رسول الله ﷺ، ثم أرسله ﷺ إلى اليمن لِحكَمٍ سوف أذكرها بإذن الله تعالى.

روى معاذ أعظم الأحاديث في العقائد.. يقول كما في الصحيحين: كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار فقال لي ﷺ: «**يا**

معاذ **أتدري ما حق الله على العباد؟**» قلت: الله ورسوله أعلم.

فقال ﷺ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**» ثم مضى قليلاً فقال: «**هل تدري يا معاذ ما حق العباد على الله؟**».

قلت: الله ورسوله أعلم.

فقال: «**حق العباد إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم**»(١).

وروى، رضي الله عنه، الكثير من أحاديث العقائد والعبادات.

استخلفه ﷺ على مكة وهو شاب في العشرين، ثم أرسله إلى اليمن في رسالة تشريفية تكليفية منه ﷺ.

وقال بعض أهل العلم: إنما أرسله بأمر الله سبحانه، فقد ورد في بعض الآثار أن الله أوحى إليه ﷺ بأن يرسل واحداً من أصحابه إلى اليمن، فتحيّر ﷺ فيمن يُرسل، فنزل عليه جبريل وقال: إن الله يقرئك السلام ويقول: أرسل معاذ بن جبل.

كان، رضي الله عنه، مع جوده وسخائه في خلقه حدّة، فلذلك دعاه ﷺ إلى أن يحسّن خلقه، فكان يعمل بهذه النصيحة من رسول الله ﷺ فلا تجده إلا باشّاً متبسماً.

قال الذهبي: صحَّ بأسانيد أنه ﷺ لما أرسله إلى اليمن أتاه معاذ ليودعه ﷺ فقال ﷺ: «**حفظك الله يا معاذ من بين يديك ومن خلفك، ودرأ الله عنك شياطين الإنس والجن**».

وقال له: «**لعلك يا معاذ لا تراني بعد يومي هذا**» فأجهش معاذ بالبكاء.

فقال ﷺ: «**لا تبكِ فإن البكاء من الشيطان**»(٢).

---

(١) صحيح سبق تخريجه ص ٥٨.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٤٤٨/١).

ثم التفت إليه ﷺ فقال: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالِقِ الناس بخُلُق حسن**»[١].

فذهب، رضي الله عنه، حتى وصل إلى اليمن، والصحيح أنه وصل إلى بلد الجالد في اليمن، على الساحل، فاستقبله الناس، وكان معه قوس ورمح، رضي الله عنه وأرضاه، وهو شاب، ثم أخبرهم برسالة رسول الله ﷺ.

فمكث هناك حتى توفي ﷺ، فجاءه الخبر، فكان من أعظم الأخبار التي تلقاها في حياته؛ لأن أحب الناس إليه، وأعظم الناس عنده، هو رسول الله ﷺ.

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر   فزعت منه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه كذباً   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فلما علم أن أبا بكر تولى الخلافة قدم، رضي الله عنه وأرضاه، وعنده بعض الإبل، وبعض الخيول، وبعض المال من كسبه باليمن.. فلما وصل إلى المدينة رآها عمر، رضي الله عنه، فقال له: يا معاذ، أأرسلك رسول الله للتجارة، أم للولاية والتعليم؟

قال: ماذا يا ابن الخطاب؟

قال: ما هذه الخيول وهذه الجمال التي عندك؟

قال: أخذتها بكسبي وبتجارتي.

فطلب منه عمر أن يؤديها إلى أبي بكر، فرفض معاذ.

فاشتكاه عمر إلى أبي بكر، فلم يأخذها منه أبو بكر.

---

(١) صحيح، انظر «جامع العلوم والحكم» (١/٤٠٧).

قال معاذ: فنمت تلك الليلة فرأيت كأني أُساق إلى النار، وكأن عمر يأخذ بحجزي - أي بأطراف ثيابي - فيبعدني عن النار.

قال: فلما أصبحت أعدته كله إلى أبي بكر، رضي الله عنه، فأعاده إليّ وقد طابت أنفسهم به.

كان، رضي الله عنه، من الموقرين من أصحاب محمد ﷺ، وحضر المعارك كمعركة اليرموك، وكان من الصادقين مع الله تعالى في تلك المعركة.

قيل: إنه أخذ السيف فسلَّه قبل المعركة، وقرأ سورة الأنفال على الناس.

قال أبو سفيان: ما سمع أحد من الناس معاذاً يقرأ سورة الأنفال في اليرموك إلا بكى.

ثم قال: يا أيها الناس، اجثوا على الركب، اجثوا على الركب فإن هذا موعود الله تعالى.. إن الله تعالى قد تجلى لكم سبحانه وتعالى، أما ترضون أن يكون الله تعالى في صفكم، ويكون الشيطان في صف أعدائكم.

فجلس الصحابة، ومعهم سبعون من أهل بدر منهم: معاذ، رضي الله عنه، فلما أقبل الأعداء، زحفوا إليهم، وكان النصر.

ثم تخلّف معاذ، رضي الله عنه، بعد المعركة وذهب إلى فلسطين معلماً، ومفقهاً لدين الله، وعمره: أربع وثلاثون، وقيل: ثلاثة وثلاثون كما قال الذهبي.

فأتته قرحة في كفه الأيمن، فعزّاه الصحابة، وقالوا: لا بأس عليك، جعلها الله طهوراً، وشفاك الله.

قال: لا والله، أسأل الله أن يكبرها، فإنه يكبر الصغير، ويبارك

في القليل، وأسأل الله أن تكون وفاتي في هذه، فوالله لقد مللت الحياة، ولو كانت نفسي في يدي لأطلقتها.

فحضرته الوفاة بعد أن امتلأ جسمه بالطاعون، فقال لغلامه: انظر هل طلع الفجر؟

قال: لا، بعد.

فقال: اللهم إني أعوذ بك من صباح إلى النار! لأنه قد قرب الرحيل.

ثم التفت إلى أهله، وكان عنده ابنه عبدالرحمٰن، وزوجته، فقال: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، ثم قال: اللهم إنك كنت تعلم أني لم أحب الحياة لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، ولا لعمارة الدور، ولا لرفع القصور، ولكن كنت أحب الحياة لمزاحمة العلماء في حِلَق الذكر، ولصيام الهواجر، ولقيام الليل.

فقُبض، رضي الله عنه وأرضاه، وتأسّف عليه الناس أياماً.

قال ابن عباس: أرسل ﷺ معاذاً إلى اليمن: وكانت في ذلك الزمان تنتشر فيها اليهودية والنصرانية.

قال أهل السير كابن إسحاق: دخلتْ اليهودية اليمن في عهد أسعد بن كرب، وهو يعربْ جد العرب.

فقال ﷺ: **«إنك تأتي قوماً أهل كتاب»**.

الفائدة في هذا القول عند أهل الفقه وعند أهل العلم لكي يأخذ حذره في الدعوة، وفي أساليبها، وفي توجيه الكلام للناس، فاعرض عليهم عرضاً يناسبُ عقولهم وفهمهم؛ لأن الرسول ﷺ أمر أن يُكلِّم الناس على قدر عقولهم.

قال ﷺ: «**وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**» وهذا من حكمته ﷺ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فإنه ﷺ كان يبدأ بأسس الدين وأصول العقائد قبل أن يخاطب الناس في أمور جانبية، وأما نحن ـ وللأسف ـ فخلاف ذلك نبدأ الناس من غير الأساس، كمن يأتي إلى أناس لا يصلُّون، ولا يصومون، ولا يحجُّون، ولا يعتمرون، ولا يزكُّون فيقول: يا أيها الناس يجب عليكم أن تعفوا لحاكم!

فالواجب: البداية بالتوحيد.

ولكل مقامٍ مقال.. فالداعي يعرف ما هي حاجة الناس في زمانه.

ولذلك قال أهل التفسير: إن الله عز وجل بعث الأنبياء إلى الأقوام، وهم منهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير: ٢٢]، فهم يعرفونه قبل الرسالة ﷺ.

وهو يجوع كما يجوع الناس، ويشبع كما يشبع الناس، ويغضب كما يغضب الناس، ويعرف المشكلات والألم الذي يعيشه شعبه ﷺ، ولذلك هداهم الله به، ولو كان ملَكاً لما استطاع أن يتلاءم معهم.

قال: «**وليكن أول ما تدعوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**»، فهذه دعوته ﷺ ودعوة كل نبي وكل رسول... فكل نبي يقول: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وأسعد الناس بشفاعته ﷺ من قال: لا إله إلا الله مخلصاً بها من قلبه.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه: دخل ﷺ بستان رجل من الأنصار فالتمسناه فلم نجده.

قال: فوجدته في ذلك البستان على ماء فيه فقال لما رآني: «**أبا هريرة**»!

قلت: نعم.. بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: «**خذ نعليّ هاتين واخرج.. فمَن لقيت من الناس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله مستيقناً بها قلبه فبشِّره بالجنة**»[١].

إذاً فالتوحيد أولاً، هذا هو شعار الرسل، والأنبياء، والمصلحين، إلى يوم القيامة.

فلا ينبغي أن يقدّم عليه غيره من الاهتمامات الأخرى كما تفعل بعض الجماعات اليوم، حيث تركوا التوحيد واهتمُّوا بأمور لا تقدم، ولا تخدم الدعوة الإسلامية، كقضية الانتخابات، والبرلمانات، والمشاركة السياسية.. وغفلوا عن أهم جانب يُسأل عنه المرء يوم القيامة ألا وهو (التوحيد)؛ هداهم الله لإصلاح مناهجهم.

قال: «**فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**».

أخذ أهل العلم من هذا الحديث أن الوتر غير واجب، وكذا ركعتَي الضحى، والسنن الرواتب، وإنما هي سنن، فيها: المؤكَّد، وفيها: المستحَب؛ لأن الله عز وجل فرض على رسوله، وعلى المسلمين خمس صلوات في اليوم والليلة.

وفي الحديث عن حديث أبي طلحة قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقدم رجل من أهل نجد ثائر الرأس ـ من الغبار والشعث ـ نسمع دويَّ صوته ولا نفقه ما يقول.

فسأل عن الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١).

فقال ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**».

فقال: هل عليَّ غيرها؟

قال: «**لا إلاَّ أن تطوّع**».

فقال: والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص.

فقال ﷺ: «**أفلح الرجل إن صدق**»(١).

إذاً.. فالصلوات الخمس هي الواجبة على العباد، وهي التي يُدعى لها بعد الشهادتين.

فقال ﷺ: «**فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتُرَد إلى فقرائهم**».

أي: أنهم إذا أطاعوك لقول الشهادتين، ثم أطاعوك بإقامة الصلاة، فانتقل بهم إلى الزكاة، هذا هو المعنى الصحيح، لا كما زعمه البعض من أنهم إذا لم يطيعوا في الشهادتين فإنه ينتقل بهم إلى الصلاة، وهكذا الزكاة!

إذاً فما الفائدة من صلواتهم، وهم لم يشهدوا بالوحدانية؟ بل الصحيح هو التدرج كما سبق.

وفي قوله: «**تُرَد على فقرائهم**»، دليل لبعض العلماء الذين قالوا بأن زكاة كل بلد تجعل في فقرائه، ولا تنقل لغيره إلا لمصلحة.

وإنما خصَّص الفقراء؛ لأنهم الأظهر، والأكثر عند الناس، وإلاّ فإن مصارف الزكاة ثمانية معروفة للجميع.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦، ١٨٩١، ٢٦٧٨)، ومسلم (١١).

ويجب أن يكون الفقير الذي يُعطى الزكاة مسلماً، لا يهودياً، ولا نصرانياً، ولا غيرهم من الكفار.

ويؤخذ من هذا الحديث أنها ـ أي الزكاة ـ واجبة في مال الصغير واليتيم، والمجنون، لأنه ﷺ قال: «**تؤخذ من أغنيائهم**»، ولم يخص ذلك بالكبار مثلاً.

ويؤخذ من الحديث أن على الإمام أن يبعث العمال لجلب الزكوات من الأطراف البعيدة، وقد كان ﷺ يفعل ذلك كثيراً، وهذا مشتهر في سيرته ﷺ.

قال: «**وإياك وكرائم أموالهم**»، الكرائم: جمع: كريمة، أي: لا تأخذ أحسن أغنامهم، أو بهائمهم، وإنما توسّط، لأنهم لن يرضوا لك ذلك.

ثم قال ﷺ: «**واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»، أي: أنها ترتفع إلى الله عز وجل، لا يردها راد.

وهل يُفهم من الحديث أن بين الله عز وجل وبين خلقه حجاب؟

في الحديث عند مسلم عن أبي موسى، رضي الله عنه وأرضاه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»(١) سبحانه وتعالى.

الشاهد في الحديث قوله: «**حجابه النور**».. فهو سبحانه وتعالى لا يحجبه شيء عن خلقه، وإنما هو سبحانه وتعالى يراهم.. بل يرى

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).

النملة السوداء، على الصخرة السوداء، في الليل الأسود، و﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩]، و﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ١٧]. قال أهل العلم: أي: أخفى من السر وهو ما لم يسره الإنسان بعدُ.

وهاهنا مسألة في هذا الحديث وهي:

هل الكفار مخاطَبون بفروع الشريعة: الصلاة والزكاة ونحوها.

ذهب كثير من أهل العلم إلى أنهم ليسوا مخاطَبين بفروع الشريعة.

والدليل على ذلك هذا الحديث، فالرسول ﷺ قال لمعاذ: «**فإن هم أجابوك لذلك فأخبرهم بأن الله افترض عليهم الصلاة والزكاة**».

فدلّ على أنهم، إن لم يوحّدوا، فلن يُسألوا عن هذا.

والقول الثاني: أنهم مخاطَبون..؛ لأن الله يقول: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٥].

فالصحيح: أن الله يحاسبهم على كل ما تركوه من الإسلام، ولكن لا يسألهم عن هذه الأمور، ولكن يعاقبهم عليها؛ لأنهم تركوا أصل التوحيد..

وخلاصة المسألة هنا: أن الأقوال في مخاطبة الكفار بفروع الشريعة قولان:

الأول: أنهم مخاطبون، وهو مذهب الإمام أحمد، والشافعي، وظاهر مذهب مالك.

الثاني: أنهم غير مخاطبين، وهو مشهور عن أكثر الأحناف، وهو

قول للشافعي، والمسألة من المسائل المحققة في علم الأصول[١].

ولهذا الخلاف فوائد منها: كثرة عقاب الكفار في الآخرة، لا المطالبة بفعل الفروع في الدنيا، ولا قضاء ما فات منها، إذ حتى لو فعلوها لا تقبل منهم بسبب الكفر[٢].

وهاهنا مسألة أخرى: وهي أن النبي ﷺ لم يذكر في هذا الحديث: الصيام، والحج، وهما من أركان الإسلام.. فلماذا؟

الجواب: أن الصيام، والحج يأتيان تبعاً للأركان الثلاثة: (الشهادة والصلاة والزكاة)، ولهذا يقرن الله دائماً في كتابه بين الصلاة والزكاة دون غيرها.. كقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ١١].

❁ فوائد أخرى من الحديث:

يؤخذ من هذا الحديث أن على الإمام أن يوصي عامله بتقوى الله وبمراقبته في كل أعماله، وأن يخصه بدعوة تناسب حاله، كما كان ﷺ يفعل مع أصحابه.

ويؤخذ من هذا الحديث: قَبول خبر الآحاد والعمل به، لأنه ﷺ اكتفى بمعاذ، رضي الله عنه، لتبليغ رسالته إلى فئام كثيرة من أهل اليمن.

ولكن ينبغي أن يكون هذا الواحد ثقةً ثبتاً كمعاذ، رضي الله عنه.

ويؤخذ من الحديث: أن المال لا يُزكى إلا إذا بلغ النصاب لقوله: «**أغنيائهم**»، وأنه إذا تلف قبل الحول فلا زكاة فيه.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

---

(١) انظر «نهاية السول» (١/١٩٥)، و«مختصر التحرير» (١/٥٠٠ ـ ٥٠٣)، و«تيسير التحرير» (٢/١٤٨ ـ ١٤٩)، و«إرشاد الفحول» ص١٠.

(٢) انظر «المجموع» للنووي (٣/٤).

في ظلال

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على معلم الخير، وهادي البشر، الذي أتى بالكتاب المبين، والقرآن العظيم، والحبل المتين، صلَّى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فسنعيش معاً رحلة مع كتاب الله تبارك وتعالى، ومع هذه النعمة التي منَّ الله بها على الأمة الإسلامية.

يقول شوقي:

آياته كلَّما طال المدى جدد ... يزينهن جلال العتق والقدم
أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له ... وأنت أحييت أجيالاً من الرمم
أتى على سفر التوراة فانسلخت ... فلم يفدها زمان السبق والقدم
ولم تقم منه للإنجيل قائمة ... كأنه الطيف زار الجفن في الحلم

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٧].

قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾... هذه الكلمة هي ملخص لرسالته ﷺ، لأن الله لما أنزل الكتب: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن جمعها في المفصل من القرآن، ثم جمعها في الفاتحة، ثم جمعها في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾(١).

وفي هذه الآية ثمان مسائل:

أولها: ﴿إِيَّاكَ﴾ هل هي بالتشديد أم بالتخفيف، وما الفرق بينهما؟

والجواب: ﴿إِيَّاكَ﴾ بالتشديد، ومَن قرأها بغير ذلك فقد أخطأ في القراءة؛ لأن قراءتها بالتخفيف تعني: الشمس، فاسم الشمس (إيَاك) فكأنه قال: نعبد الشمس!!

فتشديد الياء في الموضعين متعين، وفي تخفيفهما قلب للمعنى، لو اعتقده الإنسان لكفر، قال الخطابي: «ومما يجب أن يُراعىٰ في الأدعية: الإعراب.... وربما انقلب المعنى بالحق حتى يصير كالكفر، إن اعتقده صاحبه؛ كدعاء من دعا، أو قراءة من قرأ: (إيَاك نعبد وإيَاك نستعين) بالتخفيف، فإن الإياك: ضوء الشمس، فيصير كأنه يقول: شمسك نعبد، وهذا كفر...»(٢).

ثانياً: لماذا قدّم الضمير فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ولم يقل: (نعبدك)؟

والجواب أنه قدّمه للحصر وللاهتمام.. تقول: إياك أريد، ولا

---

(١) انظر «مدارج السالكين» (١٣/١).

(٢) شأن الدعاء [١٨، ١٩]، و تفسير القرطبي (١٤٦/١)، و معجم المناهي اللفظية [١٦٧] انظر فهو مفيد ومهم.

تقول: أريدك، فإذا قلتَ: إياك أريد؛ فكأنك تنبهه أنك تريده، ولا تريد غيره.

وقد كتب خالد بن الوليد رسالة إلى عياض بن غنم لما حاصرت خالداً جيوشُ الروم، وهي أقصر رسالة في التاريخ قال فيها:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم من خالد بن الوليد إلى عياض، إيّاك أريد والسلام!!) يقول له: أدرك الموقف، فهو موقف خطير.

ولذلك لو قلتَ: نعبدك، فيحتمل أن يكون مع الله تعالى معبود غيره سبحانه وتعالى عما يشركون.. لكنك قلت: إيّاك وحدك نعبد، وإياك وحدك نستعين، وإياك وحدك نتوكل عليك، وإياك وحدك ندعو فهو للحصر وللاهتمام.

ثالثاً: لماذا جمع (نعبد) ولم يقل: (أعبد)؟

والجواب أن الله يحب سبحانه وتعالى اجتماع الناس، ويكره سبحانه وتعالى الفرقة، ويد الله مع الجماعة، والله يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: **١٠٥**]، والله عزَّ وجل يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: **١٠٣**]، وأمرنا بصلاة الجماعة.. وهوَّن ﷺ من شأن صلاة المنفرد وحده وذكر أن صلاة الجماعة تفوق صلاة المنفرد بسبع وعشرين.

فقول المصلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، فمعناه: أننا جميعاً لك عبيد.

أما إذا قلت: إياك أعبد، فكأن بها أنانية، وكأن فيها انحيازاً، وكأن فيها انفراداً، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

وإذا خلا العبد خلا به الشيطان، وذمَّ ﷺ الانفراد. وفي الحديث: «**يا ثوبان: إياك والكفور، فإن ساكن الكفور كساكن**

القبور»[١]، قال الإمام أحمد: الكفور هي: القرى؛ لأن فيها وحشة وبعداً عن مجالس الخير والذكر، وعن العون على الطاعة، ولذلك تجد الأعراب غالباً من أجهل الناس في الأحكام ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧].

رابعاً: ما معنى العبادة؟

الجواب: أن العبادة تُطلق على معنيين: أما معناها اللغوي فهو: التذلل، والخضوع، والطاعة.. يقال: طريق معبَّد، أي: مذلَّل.

فتعبَّد: خضع وذل.. وإنما سُمِّي العبد عبداً لأنه خضع وذل، قال الشاعر:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حراً[٢]

وفي الشرع تُطلَق على معنيين:

١ ـ تُطلَق على الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، فسمى الدعاء عبادة، وهو من تسمية الشيء ببعض أفراده.

٢ ـ وتُطلَق على مجرد العبادة.

وعرفها شيخ الإسلام بقوله: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. اهـ[٣].

(١) حسن، أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٧٩)، والبيهقي في الشعب (٧٥١٨)، والطبراني في مسند الشاميين (٩٨٦)، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي (٢/٧٠)، و«القول المسدد» لابن حجر (١/٦٦ ـ ٦٨)، والبحث في الحديث طويل.

(٢) «القاموس المحيط» (٢٩٦)، وانظر بحثاً رائعاً في «الكليات» للكفوي (٥٨٣ ـ ٥٨٤).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» (١/٢٣ ـ ٢٧).

وهي حق الله على العباد، وهي أمره ونهيه، وهي منهاجه، ولها أنواع:

خامساً: ما هي أنواع العبادة؟

الجواب: هي تدور على أنواع كثيرة، لكن أكثر ما يُذكر في القرآن والسنّة أربعة أنواع: الصلاة والصيام والصدقة والتلاوة.

قال بعض أهل العلم: إن للجنة أبواباً ثمانية، والعباد يختلفون بجهدهم وطاقتهم، فمنهم من يستطيع الذكر ومنهم من يقدر على الصيام ومنهم من يفلح في الصدقة، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠]، فأنت أعرف الناس بنفسك، وأفضل الناس من ضرب في كل غنيمة بسهم فيكون مع الصائمين، ومع المصلين، ومع الذاكرين، ومع المجاهدين، ومع المتصدقين و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة: ٤][1].

فأنواع العبادة كثيرة من فرائض ونوافل، وهي قد تصل إلى السبعين.

سادساً: جولة مع العباد الصالحين، وأنا إذا ذكرت نماذج فإني أُلزم نفسي وإياكم بالسنة، فإن وافقت ما فيها، فبها ونعمت، وإن خالفت، فاعلموا أنه اجتهاد من أصحابها يريدون بها الخير.

١ ـ الأسود بن يزيد[2]: عابد عراقي صام حتى ازرقّ جلده، ودخل عليه العلماء، ووعظوه.

قال: أصوم قبل أن يُحال بيني وبين الصيام، وأخاف من قوله

---

(١) انظر: طريق «الهجرتين» (٣٣٢ ـ ٣٣٦).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/٥٠).

سبحانه وتعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤].

٢ - محمد بن واسع الأزدي(١): كان من أعظم عباد الله عز وجل، قرَّبوا له متكئاً ليتكىء، فقالوا: اتكىء.

قال: لا يتكىء إلا الآمن، وأنا خائف لأني ما جزت الصراط إلى الآن!

حضر معركة كابول مع قتيبة بن مسلم، فلما طوّقوا المدينة بمائة ألف، قال قتيبة بن مسلم، وقد صُفَّت الصفوف، وهبّت رياح النصر، وتنزّلت الملائكة من السماء: اذهبوا وابحثوا عن محمد بن واسع.

فذهبوا إليه، فوجدوه قد صلّى صلاة الضّحى، وقد استند على رمحه، ورفع سبابته إلى السماء يدعو الله الواحد الأحد.

فرجعوا إلى قتيبة، القائد الشهير، فدمعت عيناه، وقال: والذي نفسي بيده، لأصبع محمد بن واسع خيرٌ عندي من مائة ألف سيف شهير، ومن مائة ألف شاب طرير.

ثم فتح الله عليهم بنصره، سبحانه وتعالى، وتأييده، ثم بدعاء هذا الرجل الصالح.

فلما أتت الغنائم، سلّموا لقتيبة رأساً كرأس الثور من الذهب.

فقال لوزرائه: أتدرون أحداً من الناس يسلم إليه هذا الذهب فيقول: لا؟

قالوا: ما نرى أحداً.

---

(١) انظر: المصدر السابق (١١٩/٦).

قال: والله لأرينكم أناساً من أمة محمد ﷺ الذهب والفضة عندهم أرخص من التراب.

فدعا بمحمد بن واسع، فأُتي إليه، وهو يصلي في خيمته.

قالوا: ما لك تصلي في وقت الناس مشغولون فيه بالنصر؟

قال: إنَّ شغل النصر: الشكرَ!

فأتى إلى قتيبة.. فقال قتيبة: خذ هذا، فأخذه!

فتغيّر وجه قتيبة، فقال لأحد جنوده: اذهب وراءه، وانظر أين يضعه، ثم قال قتيبة: اللهم لا تخيِّب ظني فيه.

فمرّ سائل من العسكر يسأل، فأعطاه محمد بن واسع كل الذهب، فأعيد الفقير إلى قتيبة.

فقال قتيبة لما علم: أترون أنني أريتكم أن في أمة محمد ﷺ أناساً: الذهب والفضة عندهم أرخص من التراب.

٣ ـ **مسروق بن الأجدع**(١): أتى رجل إلى الإمام أحمد، فجعل الإمام أحمد عنده ماءً ليقوم قبل السحر فما قام.

فقال له الإمام أحمد: ما لك ما قمت؟

قال: كنت مسافراً.

قال: سبحان الله! حجّ مسروق فما نام إلا ساجداً!

وكان من تلاميذ ابن مسعود الكبار.

كانت ابنته تقول له: يا أبتاه لعلك قتلتَ أحداً؟ هل أخذت مال أحد؟ وهو يصلي ويبكي من الليل فيلتفت ويقول: قتلت نفسي!

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/٤٩٤).

٤ ـ **الإمام أحمد بن حنبل**: صحّ عنه بأسانيد أنه كان يصلي في كل يوم ثلاثمائة ركعة.

قال ابنه عبدالله: فلما جُلد كان يصلي مائة وخمسين ركعة[١].

سابعاً: الاستعانة قسمان: قسم جائز، وقسم محرَّم:

فالمحرَّم: أن تستعين بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، كأن يقول أحد: استعنت بفلان أن يغفر ذنبي، أو أن يشفي مريضي، أو أن يرزقني.. فهذا شرك بالله تعالى.

وأما الاستعانة بما يستطيع عليه المخلوق فجائزة.. مثل: أستعين بك أن تفتح لي هذا الباب، وأستعين بك على أن تفصل لي هذا الثوب، فلا بأس بهذا.

أما ما لا يملكه إلا الخالق، فمَن استعان بالمخلوق فيه فقد أشرك بالله العظيم، كمن يذهب إلى القبور، فيستعين بالمقبورين، ويقدم لهم حوائجه، ويشكو لهم أموره فقد أشرك بالله العظيم، لأنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

أما الاستعانة بالله عزَّ وجل ففي كل الأمور، وهو المستعان سبحانه وتعالى.

ثامناً: الناس في الاستعانة أربعة:

١ ـ قسم يعبد الله ويستعين به، فهؤلاء المؤمنون.

٢ ـ وقسم يعبد الله ويستعين بغيره، فهؤلاء فيهم: نقص، وفيهم: معصية وذنب.

---

(١) انظر: المصدر السابق (١١/١٧٧).

٣ ـ وقسم يعبد غير الله ويستعين بالله، فهؤلاء مشركون، كمشركي العرب في القديم.

٤ ـ وقسم يعبد غير الله ويستعين بغير الله، فهؤلاء هم الكفرة الملاحدة.

جعلنا الله وإياكم من القسم الأول الذي يعبد الله ويستعين به دون سواه.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

❁ ❁ ❁

أيُّنا لم يظلم نفسه؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

أما بعد:

فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه لما أنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال الصحابة: يا رسول الله، وأيُّنا لم يظلم نفسه؟

قال: «**إنه ليس بذلك، أما سمعتم الله يقول:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[(١)].

ومعنى الحديث: أن لهم الأمن في الآخرة، والأمن في الدنيا.

فالأمن في الدنيا: من الغواية، ومن الضلالة، ومن الخطأ، ومن الانحراف.

والأمن في الآخرة: من الجحيم، ومن النار، ومن العذاب، والله المستعان.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢، ٣٣٦٠، ٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤).

﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾، أي: سالكون طريق الهداية، الناجون، بإذن الله، الموفقون.

فالأصل أن محمد حصل الهداية المطلقة، حصل الاهتداء المطلق، حصل في الآخرة الأمن المطلق، والناس يتفاوتون في هذا حسب الإيمان والأعمال، وعلى هذا: فمن حصل أصل الهداية، وهو: الإسلام، حصل أصل الهداية، وحصل في الآخرة أصل الأمن، لا الأمن كله(١).

لكن ما معنى الظلم؟

ظنّ الصحابة، رضوان الله عليهم، أن الله لما أنزل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، أي: أنهم الذين لم يذنبوا، ولم يخطئوا، ولم يرتكبوا عموم المخلفات.

فقالوا: يا رسول الله مَن يطيق هذا؟ نعم؛ لأننا جميعاً من الظالمين.

فالمقصود بالظلم الذي في الآية الشرك.

فالحمد لله الذي جعل الظلم هنا شركاً، ولو جعله معصية أو خطأً لكنا وقعنا جميعاً في هذا الظلم وما كان لنا مخرج.

والرسول ﷺ هنا فسّر القرآن بالقرآن قال: «**إنه ليس كما تظنون، أما سمعتم الله يقول:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»، فسمَّى الله الشرك ظلماً. وهذا يقصد به ﷺ وصية لقمان لابنه: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣].

وفي الحديث: أن الله سبحانه وتعالى لما أنزل قوله تبارك

---

(١) انظر «شرح مسلم» (١/٤٢٠ ـ ٤٢١)، و«فتح المجيد» (١/٧٧ ـ ٧٨).

وتعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣]، قال أبو بكر: يا رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما لا نطيق، فكيف العمل بعد هذه الآية؟ فمعناها إذا عملنا سوءاً نُحاسَب به.

فقال ﷺ: **«غفر الله لك يا أبا بكر، ألستَ تهتم، ألستَ تغْتَم، ألستَ تحزن، ألستَ تمرض؟»**.

قال: بلى.

قال: **«فهو ما تجزون به»**(١).

وقال ﷺ: **«لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا حزن ولا مرض حتى الشوكة يُشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»**(٢).

قال شيخ الإسلام: والمؤمن إذا فعل سيئة، فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب:

١ - أن يتوب فيتوب الله عليه؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

٢ - أو يستغفر فيغفر له.

٣ - أو يعمل حسنات تمحوها فإن الحسنات يذهبن السيئات.

٤ - أو يدعو له إخوانه المؤمنون، ويستغفرون له حياً وميتاً.

٥ - أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به.

٦ - أو يشفع فيه نبيه ﷺ.

٧ - أو يبتليه الله تعالى في الدنيا بمصائب تكفر عنه.

٨ - أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه.

---

(١) صحيح بشواهد سبق تخريجه ص ٩٤.

(٢) صحيح سبق تخريجه ص ٩٥.

٩ ـ أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه.

١٠ ـ أو يرحمه أرحم الراحمين. اهـ[(١)].

في الحديث أمور:

أولها: أن الله لا يغفر الشرك للمشرك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨].

وفي الحديث عن معاذ أنه كان رديف الرسول ﷺ، فسأله عن حق الله على عباده.

فقال: الله ورسوله أعلم.

قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**».

ثم سأله عن حق العباد على الله؟

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «**حقهم عليه ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»[(٢)].

ثانياً: أن الظلم درجات، قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢]، والأصناف الثلاثة جميعاً يدخلون الجنة عند ابن تيمية وابن القيم، ومن وافقهما.

والجمهور يرون: أن السابقين بالخيرات، والمقتصدين في الجنة، وأما الظالمون ففي النار.

ونحن من الظالمين للأنفس، فنسأل الله أن يكون التفسير على ما قال ابن تيمية لندخل معهم!

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/٤٥).

(٢) سبق تخريجه ص: ٥٨.

ثالثاً: مَن هم السابقون، والمقتصدون، والظالمون[١]؟

السابق هو: مَن أتى بالفرائض، والنوافل، وترك الكبائر، والصغائر، والمكروهات.

والمقتصد: مَن أتى بالفرائض، ولكن ما تزوَّد بالمستَحَبات، ومَن ترك الكبائر، لكن ربما أتى بالصغائر.

والظالم لنفسه: مَن يترك بعض الفرائض، ويأتي ببعض الكبائر.

والصحيح: أن الثلاثة كلهم من المسلمين؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٣]، فأعاد الضمير جميعاً على الأصناف الثلاثة.

وقالت عائشة، رضي الله عنها: السابقون هم: الرسول ﷺ، وأبو بكر، وعمر، ومن سار معهم.

والمقتصدون: مَن يتبعهم بإحسان.

والظالمون: أنا وأنت (أي: السائل، وهو: الأسود بن يزيد).

هذه عائشة تقول هذا، وهي مَن هي، فكيف بنا نحن؟

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم ... وبقيتُ في خَلْف كجلد الأجرب

قال رجل للحسن البصري: ذهب القوم من السلف على الخيول وبقينا نحن نركب الحمير، يعني: في العمل الصالح، وفي الزهد، وفي العبادة.

قال الحسن: والله، لتلحقنّ بالقوم، ولو كنت على حمير معقّرة إذا كنت على الطريق.

---

(١) انظر «طريق الهجرتين» (٣٣٧ ـ ٣٤٧).

إذا كنت على طريق السنَّة لحقت بالقوم:

لا تقل قد ذهبت أربابه   كل من سار على الدرب وصل

قال أنس رضي الله عنه: يقول ﷺ: «**المرء مع مَن أحب**»[١]. فنحن نُشهد الله أننا نحبهم، فنسأل الله أن يُدخلنا معهم في الجنة، أما عملنا فلا عمل.

رابعاً: أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء، وأن من قال من الصوفية: أن الولي يكون معصوماً، فقد كذب على الله، بل الولي يخطىء، ويُذنب، ويُسيء، ويعصي الله، ولا يكون معصوماً، ولكن يغفر الله له باستغفاره، وتوبته، وعمله الصالح.

خامساً: تواضع الصحابة؛ لأنهم اعترفوا بالذنوب.

سادساً: أن العلماء قد يخفى عليهم بعض المسائل، وأكبر الصحابة خفي عليهم هذا اللفظ ففسَّره ﷺ.

سابعاً: أن القرآن يُفسر بعضه بعضاً، وهي طريقة أهل السنّة كما فعل ابن كثير فإنه فسَّر القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنّة، والقرآن بلغة العرب، وبكلام التابعين، وتابعيهم بإحسان.

ثامناً: الأخذ بالظاهر من النصوص، ما لم يرد ما يرد الظاهر، فإن الصحابة أخذوا بالظاهر، فما أنكر ﷺ أخذهم بالظاهر، وإنما أرشدهم إلى المعنى الخصوصي للآية.

تاسعاً: أن الذنوب غير الشرك يغفرها الله تعالى، وقد دلَّت الأحاديث والآيات على ذلك. ففي الحديث قوله سبحانه وتعالى: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).

غفرت لك ولا أبالي.. يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تُشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة»[١].

نسأل الله أن يغفر لنا خطايانا، وذنوبنا، وظلمنا لأنفسنا.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❀ ❀ ❀

(١) إسناده صحيح، أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه.

بين الاختيار والاضطرار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قال ﷺ: «**احتجّ آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحجَّ آدمُ موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطتَ الناس بخطيئتك إلى الأرض؟**

فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقرّبك نجياً. فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخلق؟

قال موسى: بأربعين عاماً.

قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربه فغوى؟

قال: نعم.

قال: أتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟

قال ﷺ: **فحجَّ آدمُ موسى**»[١].

في هذا الحديث مسائل:

المسألة الأولى: أين وقعت المحاجة؟

اختلف أهل العلم في ذلك، وسرد كل من شيخ الإسلام، والحافظ ابن حجر الأقوال في ذلك.

ولا ينبني على معرفة ذلك كبير فائدة.

فلا يهمنا أن تكون المحاجة في السماء الأولى، أو الثانية، أو الثالثة، إنما المهم، هو: الفائدة.

فالمحاجة وقعت، على الصحيح، في السماء، لكن يعلم الله عزَّ وجلَّ بأي سماء وقعت؟ وقلنا: أنها في السماء؛ لأن الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، في السموات، ومرَّ عليهم ﷺ جميعاً، وكلّم بعضهم كثيراً في ليلة الإسراء، ومن ذلك ما ورد في الحديث أن موسى لما تجاوز به ﷺ بكى فقالت له الملائكة: ما لك تبكي؟

قال: لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي[٢].

قال العلماء: هذا من المنافسة، وليس من الحسد، وموسى دائماً جريء في الحق، ولذلك من جرأته أنه قال لله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، سبحان الله! هذا مطلب عظيم، فيقول الله عز وجل: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، من يستطيع حتى أن يسمع الصوت فضلاً عن أن يرى الله سبحانه وتعالى في الدنيا، وإلا ففي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) أخرج معناه البخاري (٣٨٨٧).

الآخرة ينعم المؤمنون بالنظر إلى وجه الله عزَّ وجلَّ، كما فصل هذا في غير هذا الموضع.

ولذلك فموسى، عليه السلام، في أول مرة لما سمع الصوت لأول مرة شرد، وترك عصاه، وحذاءه.

ومن شدته، عليه السلام، أنه أتى بالألواح، فلما رأى بني إسرائيل قد عبدوا العجل ألقى الألواح من يده.

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع

لكن المنافقين إذا أتى أحدهم بكلمة واحدة عاقبه الله ولعنه وأخزاه. لما يعلم الله عزَّ وجلَّ من قلوبهم النفاق وبغض الدين وأهله. أحدهم يقول لأحد الناس: إن هذا لا يقصد بصدقته إلا الرياء والسمعة فينزل الرد مباشرة يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

وأحدهم يقول لرسول الله ﷺ: ائذن لي ولا تفتنِّي، أنا إذا رأيت نساء الروم افتتنت ما أصبر على نساء بني الأصفر، فيرد الله عليه، ولا يعفو، ولا يسامحه، سبحانه وتعالى؛ لأنه خبيث، أما الصادق فإن الله تعالى يعفو عنه إذا ارتكب شيئاً، لأن الله يعلم من قلبه حبه للدين وأهله؛ ولذلك كان في عمر رضي الله عنه شبهاً بموسى، عليه السلام، ففي الحديبية اعترض على الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف نقبل الدنية؟ ونحن أهل الحق، وأهل السيف، وأهل القتال، ونحن يا رسول الله على الحق، وكفار قريش على الضلال والباطل؟ ولكنه ﷺ عفا عنه وسكت(١).

---

(١) كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢٧٣٤، ٣١٨٢، ٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥).

ويأتي ﷺ يُصلي بالناس على عبدالله بن أُبيّ صلاة الجنازة، فيقفز عمر ويأخذ بتلابيب المصطفى سيد البشرية وخيرة الإنسانية ومزعزع كيان الوثنية ويقول: تصلي على عبدالله بن أُبيّ، أما علمت ماذا فعل يوم كذا وكذا[١]؟ والرسول ﷺ يعلم هذا وهو الذي عاش الأحداث وجاء بالنور.

وتأتي سوْدة وهي غير متحجبة فيقول عمر: قد عرفناكِ يا سودة! حرصاً على أن ينزل الحجاب[٢] وهي زوجته ﷺ!! ومع ذلك لم يغضب عليه ﷺ لجرأته بل قال ﷺ في الحديث: «**أما أنت يا أبا بكر فمثلك كمثل إبراهيم وعيسى عليهما السلام، وأنت يا عمر فمثلك كمثل نوح وموسى عليهما السلام**»[٣].

فقد وقعت المحاجة في السماء، وبدأ الحوار بين الابن وأباه، فبدأ بالحوار موسى، عليه السلام.

المسألة الثانية: لماذا خُصَّ موسى، عليه السلام، بالمحاجة من بين الأنبياء؟

قيل: لأن موسى صاحب مناظرة ومحاجة، فهو في حياته دائماً في صراع بين التوحيد وبين الشرك، بين الهدى وبين الضلال، بين الرشد وبين الغي، ولذلك يقول بعض علماء الإسلام: كاد القرآن أن يكون لموسى، فلا تقرأ في السورة قليلاً إلا وتسمع: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٦، ٤٦٧١) عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم، وأخرجه البخاري (١٢٦٩، ٤٦٧٠، ٥٧٩٦)، ومسلم (٢٤٠٠، ٢٧٧٤)، وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧، ٤٧٩٥، ٥٢٣٧)، ومسلم (٣١٧٠).

(٣) صحيح أخرجه أحمد برقم (٣٦٢٥، ٤٣٤٩)، والترمذي برقم (١٧١٤)، وابن أبي شيبة برقم (٣٦٦٩٠)، والبيهقي في الكبرى برقم (١٢٦٢٣)، وانظر: مجمع الزوائد (٦/٨٦).

مُوسَىٰ﴾ [هود: ٩٦]، فلما تربى على المناظرة رُشّح إلى أن يناظر آدم عليه السلام.

وقيل: لأنه بُعث بالفرائض والتكاليف؛ ولأنه صاحب شريعة.

المسألة الثالثة: كيف الجمع بين أربعين عاماً وخمسين ألف سنة؟

يقول آدم، عليه السلام، لموسى: كيف تلومني على شيء قد كتبه الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ بينما يقول الرسول ﷺ: «**إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١) فكيف نجمع بين هذا وهذا؟

قال أهل العلم: الجمع بينهما أن يقال: إن الله عز وجل كتب المقادير، وكتب القضاء في أزمان متفاوتة سبحانه وتعالى، فبعضها كتبها قبل أن يخلق الخلق بأربعين عاماً، وبعضها بمائة عام، وبعضها بخمسين ألف سنة، فهي في أزمان متعددة لكن أطولها أجلاً خمسين ألف سنة.

لكن السؤال: أين هذه الكتابة التي يقول عنها آدم، لموسى عليهما السلام؟ أين وجدها موسى، عليه السلام؟ هل قرأ موسى عليه السلام اللوح المحفوظ؟ هل اطلع على علم الغيب؟

الجواب: نعم، لقد أطلعه الله على شيء من علم الغيب في التوراة، فالتوراة كتبها الله بيده سبحانه وتعالى كتابة تليق بجلاله سبحانه وتعالى، فكأن آدم عليه السلام يقول: يا موسى، أنت في هذا المستوى من الفهم، ومن العقل، ومن الفضل، وتلومني على شيء أنت وجدته في التوراة؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

المسألة الرابعة: ما هذه المصيبة التي شكا منها موسى، عليه السلام؟

فهل يقول موسى لآدم عليهما السلام: لماذا أخرجتنا من الجنة، وهذا قضاء وقدر؟ أم يقول له: لماذا أكلت من الشجرة وهذا قضاء وقدر؟ وهل خفي على موسى عليه السلام أن الله كتب على آدم أن يجعله خليفة في الأرض، كما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، قبل أن يخلقه.. فهو في الجنة، لكن أنزله إلى الدنيا، فقد ثبت في علم الله تعالى أن يُنزل آدم عليه السلام إلى الدنيا، فكيف يأتي موسى عليه السلام ويقول: كيف تأكل من الشجرة؟ كيف تخرج من الجنة؟

وهذا ليس بصحيح عند أهل السنة، ولكن الصحيح: كأنه يقول: يا أبانا، سامحك الله، وغفر الله لك، لقد كنا في الجنة: في راحة، وكنا في نعيم، ثم أنزلتنا إلى الدنيا، فهو لا يلومه على الأكل من الشجرة؟ لأن الله كتب عليه ذلك، ولا يلومه على الذنب؛ لأن الله قدّر الذنب عليه.

وهذا مثل أن تأتي إلى أحد الناس، وقد أسرع بالسيارة، وولدك معه، فوقع الحادث، ومات ابنك؛ فلا تأتي وتقول: لماذا مات ابني؟ فقد كتب الله عزَّ وجلَّ عليه الموت.

لكن تقول: جزاك الله خيراً، وأنت صاحب الخُلق، وصاحب السماحة، فكيف تسرع؟ أما تعرف أن السرعة تضر أهلها؟ أما تعرف أن السرعة مصيبة؟ كيف تقع منك هذه المخالفة؟

هذه وجهة نظر موسى، عليه السلام، وليس ذاك النظر البدعي الذي هو ردّ للقضاء والقدر، فحاشى موسى عليه السلام أن يرد القضاء والقدر، فهو أعلم بأن الله كتب مقادير كل شيء، وهو نبي كامل.

المسألة الخامسة: قوله: «**فحجّ آدمُ موسى**»، تُقرأ برفع اسم (آدم) لأنه الذي حجَّ موسى. ولكن أهل البدعة يقولون: فحجَّ آدمَ موسى (بفتح اسم آدم) يعني: أن كلمة آدم وقعت موقع المفعول به، فهو: المحجوج المغلوب، وأن موسى الغالب.. لماذا؟

يريدون أن يستدلوا بأنه لا قضاء ولا قدر.

والقدرية فرقة أنكروا القدر، يقولون: لا قدر، وأن الله عز وجل خلق الأمور، بلا سابق قضاء ولا تقدير، وأنها تحدث بالصدفة. فنجاحك ليس بقضاء ولا قدر، وموت ابنك هكذا.. ولذلك فهذه الفرقة من أخطر الفرق على الإسلام.

وفي صحيح مسلم بل هو أول حديث في أول كتاب في صحيحه «كتاب الإيمان» عن يحيى بن يعمر وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن يحيى بن يعمر وصاحبه وفدا إلى المدينة قالا: فوجدنا ابن عمر رضي الله عنهما، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن ميسرته والآخر عن ميمنته فقلت: يا أبا عبدالرحمٰن إن عندنا قوماً في العراق نشأوا يقولون: أن الأمر أُنُف (أي: أن الأمر مستقبل، أي ما كتب الله علم المقادير ولا القضاء) فما حكم هؤلاء؟ أو كما قال.

قال ابن عمر: أخبرهم أنهم برآء مني وأني منهم بريء، والله لو أنفق أحدهم مثل أُحُد ذهباً وفضة ما قبل الله منه عملاً حتى يؤمن بالقضاء والقدر، ثم أتى بالحديث الطويل لجبريل وفي آخره: «**وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)].

وقابلتهم فرقة أخرى، وهم الجبرية: بأن العبد مجبور على المعصية، فالله جبرك على المعصية! فيقولون للزاني: أنت مصيب، سامحك الله، لأن الله جبرك عليها، وأنت نفَّذت أمر الله، ويقولون

---

(١) سبق، وأخرجه مسلم (٨).

لشارب الخمر: أنت نفَّذت أمر الله فلست بمُلام، فأنت مجبور على هذا العمل!!

وأخطأ هؤلاء وهؤلاء، وتوسّط أهل السنة، وهداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال أهل السنة: للعبد مشيئة، ولله مشيئة، ومشيئة العبد داخلة تحت مشيئة الله عز وجل.

والله عز وجل كتب كل شيء: الطاعات والمعاصي لكن لا يُجبر الله عزَّ وجلَّ أحداً على المعصية.

ولهذا بعض العصاة قدري في الطاعة، جبري في المعصية كما يقول. إذا قلتَ له: لماذا لم تصلِّ مع الناس صلاة الفجر؟ قال: ما وفّقني الله لصلاة الفجر، وما كتب الله في علم الغيب أني أصلي صلاة الفجر!

فإذا قلتَ له: لماذا شربت الخمر؟ فيقول: كتب الله عليَّ أن أشرب الخمر!

والقدرية يستدلون بفعل موسى، عليه السلام، وأن موسى عليه السلام ينفي ويعارض القدر.. وكذبوا.

والجبرية يقولون: جَبَرَ الله عزَّ وجلَّ آدم عليه السلام على هذا الفعل، وبه استدل آدم على موسى عليهما السلام فيستدلون بهذا على الجبر.

المسألة السادسة: كيف نرد على القدرية بهذا الحديث؟

نقول: إن آدم، عليه السلام، يقول: كتب عليَّ الله هذا قبل أن يخلقني بأربعين سنة، فهو أمر مقدَّر، فنقول للقدرية الذين نفوا القدر بأن الله كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض.

فكل شيء عند الله عزَّ وجلَّ بقدر، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩، ٥٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، يعني من يؤمن بالقضاء والقدر يهدي قلبه ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فالخلق: الكوني، والأمر: التدبير والتصريف.

فنرد على القدرية بأن الله تعالى كتب مقادير الخلق قبل أن يخلقنا سبحانه وتعالى.

وليس فيه دليل، أيضاً، للجبرية الذين يقولون: إن الله عز وجل يجبر الخلق على المعاصي، ونقول لهم: كذبتم، وضللتم، وخالفتم الصواب، بل آدم، عليه السلام، ما أجبره الله أن يأكل من الشجرة، بل علم في علم الغيب، أنه يأكل من الشجرة، لكن ما أجبره، وما ألزمه أن يأكل من الشجرة لكن هو ألزم نفسه.

ولذلك فهذا هو الكسب، فالعبد إذا فعل فعلاً؛ فإن فيه أمرين: قضاءً وكسباً.

فمن ترك الصلاة، مثلاً، ففي علم الغيب: أنه يترك الصلاة... ولكن هو الذي كسب ترك الصلاة، كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

فلا يستدل أحد بالقضاء والقدر على المعصية، فإن من استدل على المعصية بالقضاء والقدر فهو: جبري، مخالف، مبتدع، ضال، اتبع هواه، وهو خاسر، فاجر، نعوذ بالله من ذلك.

المسألة السابعة: القدر يُحتج به في المصائب، لا في المعايب، فإذا أصبت بمصيبة، مثلاً، سقط ابنك من أعلى الجدار، وتكسّرت أعضاؤه، فلا يأتِ الناس، ويقولون لك: لماذا سقط ابنك؟ أو أن تقول: يا رب، لماذا سقط ابني؟ لأن هذا قضاء وقدر، ولا يُحتج بالقدر على المعاصي، فإذا فعل أحد معصية قال: أنا فعلتها بقضاء وقدر، فهذا تلاعب واستهزاء بالدين.

سرق سارق في عهد عمر بن الخطاب.. فلما رُفع إليه قال له: لماذا سرقت؟

قال: سرقت بقضاء وقدر.

قال عمر: سبحان الله! إليّ بالسكين فقطع يده. وقال: سرقتَ بقضاء وقدر، ونحن نقطعها بقضاء وقدر!!

فالقدر يُحتج به في المصائب، لا في المعايب، لكن السؤال الآن: أليس الأكل من الشجرة من المعايب، وليس من المصائب؟ أليس الخروج من الجنة من المعايب؟ لأن الله سبحانه وتعالى سمّاه: ذنباً، ولم يسمِّه: مصيبة، فقال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، ما قال: فابتلاه الله بمصيبة، وإنما قال: ﴿وَعَصَىٰٓ﴾، فسمّاه: عاصياً.

أليس في هذا دليل: أن آدم، عليه السلام، استدلّ بالقضاء والقدر في المعايب، ولم يستدل بها في المصايب؟

نقول: لا، يقول أهل العلم: القضاء والقدر يُستدل به في مسألتين:

المسألة الأولى: في المصائب، فكلما أصابتك مصيبة فقل: قدّر الله وما شاء فعل.

ويُستدل به في المعايب.. في صورة واحدة مثل إذا كنتَ في شبابك مسرفاً على نفسك، ثم تاب الله عليك، وهداك، فرآك الناس وأنت خطيبٌ، ومتكلم، وواعظ، فقالوا: ألم تنسَ فعائلك؟ فتقول: قدّر الله وما شاء فعل.

وهذا من باب استدلال آدم عليه السلام لموسى عليه السلام، حيث يقول لموسى: أتاب الله عليَّ أم لا؟

قال: نعم، تاب عليك.

قال: فلماذا تلومني على أمر كتبه الله عليَّ، وتاب الله عليَّ منه؟

وموسى عليه السلام، يعلم أن الله تاب على آدم عليه السلام، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٣٧]، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

فذكر سبحانه وتعالى أنه تاب عليه، فأنت تستدل بالقضاء والقدر بعد أن تتوب من الذنب، أما قبل أن يتوب الإنسان، فلا يجوز له أن يستدل بالقضاء والقدر.

المسألة الثامنة: لماذا غلب آدم موسى عليهما السلام بالحجة؟

لسببين اثنين، وأصلين عظيمين، وبرهانين كبيرين، ومبدأين ضخمين.

أولهما: أن آدم عليه السلام تاب فما هي الفائدة من أن يحاجه موسى عليه السلام ما دام قد تاب فتاب الله عليه، وغفر الله له، وأسكنه الجنة، وجعل العابد من ذريته في الجنة؟

والسبب الثاني: أنه قضاء وقدر، فالله عزَّ وجلَّ، كتب عليه القضاء والقدر، فلماذا يلومه على شيء قد كتبه الله عزَّ وجلَّ عليه؟ وموسى عليه السلام كان يلومه على الكسب، أو على فعله هو، وإخراج الذرية، وعلى هذه المصيبة، فظنّ آدم، عليه السلام، أنه يلومه على القضاء والقدر، والقضاء والقدر لا يُلام عليه.

المسألة التاسعة: ردت القدرية الحديث بأمرين:

أولهما: قالوا: الحديث كذب ولا يصح! نعوذ بالله من الهوى، ولذلك يأتي أحدهم، وهو: العلاّف فيمسح الحديث من كتب الحديث!! نعوذ بالله، ولذلك رآه أحدهم في المنام كأن الله عزَّ وجلَّ حوّل صورته لصورة كلب.

كيف يمسح هذا الوحي؟ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٤، ٥]، ولذلك يقول الجهم بن صفوان: لو كان لي من الأمر شيء لمحوت آية من القرآن.

قالوا: ما هي؟

قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، وذكر ابن تيمية أن الجهمية في عهد المأمون كتبوا على الكعبة: (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم) وهي في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لأجل أن ينفوا صفاته.

وقالوا: لو وافقنا على قبول الحديث لكان عذر كل أحد أردنا أن نقيم الحد عليه أن يقول: قضاء وقدر، فنأتي بالسارق، نقطع يده، فيقول: لا، لا تقطعوا يدي، هذا قضاء وقدر.

وقد أخطأوا خطأً بيناً، وسبق الرد عليهم.

المسألة العاشرة: آدم، عليه السلام، معذور بأمرين:

أولاً: لأن في المسألة: كسباً وقضاءً وقدراً، فأما القضاء والقدر: فقد عذره الله عزَّ وجلَّ عليه؛ لأن الله عزَّ وجلَّ كتبه عليه، وأما الكسب: فلأنه تاب منه، فكسبه هو: الأكل من الشجرة، وقد تاب الله عزَّ وجلَّ عليه.

الثاني: أن اللوم كان بعد التوبة فلا لوم بعد التوبة، فقد غلب آدم موسى عليهما السلام، وعرف موسى أن الحق مع آدم عليهما السلام.

وبقي في الحديث مسائل:

منها: الأدب في الحوار؛ فإن موسى لم يشنّع على آدم، ولا سبّه، ولا شتمه، وإنما تلطّف، وقال: أنت أبونا، أنت آدم الذي خلقك الله عزَّ وجلَّ بيده، ثم تلطّف معه في اللوم.

ومنها: قول آدم لموسى عليهما السلام: أنت موسى: الذي اصطفاك الله برسالته، وكلامه، وكلّمك، وكتب لك التوراة بيده، فكيف تلومني على هذا؟

قال ابن حجر: فيه تعريض من آدم لموسى كأنه يقول: يا موسى ما حصلت لك هذه الكرامات إلا بعد أن نزلت أنا من الجنة وإلا لو كنا بقينا في الجنة لما كان لك هذه الكرامات والمراتب العالية[١].

أيها المسلمون: إن مما يجب على المسلم أن يعتقده في باب القضاء والقدر: أن يؤمن بالقضاء والقدر، وأن يفعل الأسباب، فإن

---

(١) انظر «فتح الباري» (١١/٥١٤ ـ ٥١٧).

القضاء والقدر لا ينافي فعل الأسباب، ومن عطَّل الأسباب، فقد تخاذل، وأصابه الوهن، والكسل، والعياذ بالله.

يقول رجل لرسول الله ﷺ: أأعقل ناقتي أم أتوكل؟

قال: «**اعقلها وتوكل**»(١).

فنحن أهل سبب، وأهل إيمان بالقضاء والقدر.

وبعض الناس، من أهل التصوف، عطلوا الأسباب، مثل من يخرج منهم إلى الصحراء دون ماء فيقولون له: خذ ماء، خذ خبزاً.

قال: لا، الله سبحانه وتعالى هو الرازق العليم!! فيذهب فإذا توسط في الصحراء، بحث، ودعا الله أن ينزل خبزاً من السماء، ثم يموت!

وفي الحديث عند مسلم عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل**»(٢).

ومن المسائل في الحديث: مناظرة العالم لمن هو أعلم منه، والابن لأبيه؛ لأن على المسلم أن يتواضع، وأن يقبل الحق من أي أحد، وعلى التلميذ أن يناظر الشيخ، ويقول للشيخ: كيف تفعل كذا وكذا، ولكن بأدب وتلطّف، كما سبق.

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي (٢٥١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٣٩٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٢١٢) عن أنس بن مالك، وأخرجه البيهقي في «الشعب» (١٢١٠)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٩٧٠)، وابن حبان كما في «الإحسان»(٧٣١) عن عمرو بن أمية الضمري، وانظر: البيان والتعريف (١/١١٢)، وكشف الخفاء (٤١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

وأما الصوفية فيقولون: لا يفلح التلميذ إذا قال للشيخ: لماذا هذا الأمر!! قال أهل العلم معلقين على هذا الأمر: والله يفلح، ثم يفلح.

فالفلاح هو: في اتباع الدليل من الكتاب والسنة، دون تقليد الرجال.

ومن المسائل في الحديث: إثبات القدر، وأن الله قدّر أفعال العباد قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

أخذ الحسن البصري أصبعه فوضعه في راحته، وقال: والذي لا إله إلا هو لقد كتب الله عزَّ وجلَّ عليّ أن أضع أصبعي قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

أسأل الله أن يوفقنا للرضى بالقضاء والقدر، والأخذ بالأسباب الشرعية.

والله أعلم، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

❊ ❊ ❊

التوسُّــل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فعن أبي عبدالرحمٰن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**انطلق ثلاثة رجال ممن كانوا قبلكم حتى آواهم المبيتَ إلى غار، فدخلوه، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لن يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.**

قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقَهما فوجدتُهما نائمين، فكرهت أن أغبق أهلاً أو مالاً، فلبثتُ القدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما.

اللهمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة؟ فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

(١) الغبوق: شرب اللبن آخر النهار مقابل الصبوح.

وقال الآخر: اللهمَّ كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليَّ، وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى ألمَّت بها سَنةٌ من السِّنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تُخلِّي بيني وبين نفسها، ففعلتْ، حتى إذا قدرتُ عليها (وفي رواية: فلما) قعدت عندها قالت: اتقِ الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليَّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم ما يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهمَّ إني استأجرت أُجراءَ وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمَّرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله أدِّ إليَّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبدالله لا تستهزىء بي، فقلت: لا أستهزىء بك، فأخذه كلَّه فاستاقه فلم يترك منه شيئاً.

اللهمَّ فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»(١).

وفي هذا الحديث قضايا:

أولها: موقفنا من الإسرائيليات.

ثانيها: صدق اللجوء، وإخلاص الدعاء في الأزمات إلى الواحد الأحد.

ثالثها: التوسل بصالح الأعمال، وهل يجوز لك أن تتوسل بصالح العمل أم لا؟

رابعها: بر الوالدين وما جاء فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٥، ٢٢٧٢، ٢٣٣٣، ٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

خامسها: فضل العفة، ومخالفة الهوى، وقصص من قصص الصالحين والأخيار.

سادسها: فضل السماحة وأداء الأمانة.

سابعها: إثبات كرامات الأولياء، ونماذج من ذلك.

أولاً: هذا الحديث يرويه عبدالله بن عمر، وقد ذكره المصنف بكنيته، والكُنية: تشريف، وتعريف، وسمة من هدي السلف الصالح، فالتكنية والكُنى إكرام للرجل.

ولذلك يقول الشاعر اليمني:

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا أُلقبه والسوأة اللقبُ
كذاك أُدبت حتى صار من خُلقي أني وجدت ملاك الشيمة الأدبُ

والرسول ﷺ كان يُكني أصحابه ولو لم يكن لهم أولاد، وكان لأصحابه رضي الله عنهم كُنى، فكنية الصدِّيق رضي الله عنه: «**أبو بكر**» وعلي رضي الله عنه: «**أبو الحسن**» وعمر رضي الله عنه: «**أبو حفص**» وعثمان رضي الله عنه: «**أبو عمرو وأبو محمد**»، وغيرها من الكُنى.

والشاهد من ذلك: أن الكُنية جارية، وربما كنى الرسول ﷺ من لم يكنْ له أولاد من أصحابه، فكان يقول لأخي أنس، وهو طفل صغير يلعب بالنُّغر معه: «**يا أبا عمير، ما فعل النغير**»[١] هذا الطفل ليس له ولد كما تعلمون، والرسول ﷺ كنَّاه فقال: «**يا أبا عُمير، ما فعل النغير**».

عبدالله بن عمر من أكبر علماء الصحابة، بل هو من الرواة السبعة، وهو أحد المكثرين من رواة الحديث النبوي عن

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٩، ٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

المصطفى ﷺ: عبدالله بن عمر، عاش في كنف النبوة، وترعرع في رياض السُّنة، ورتع في مروج العلم النافع، الذي ورثه من محمد ﷺ، عاش زاهداً، عابداً، مُخبتاً، داعياً إلى الله، حنيفاً، مسلماً، ولم يك من المشركين، أسلم مع أبيه، وهاجر الهجرة، وما تزوج إلا بعد أن وصل إلى المدينة.

كان أعزب في أول لياليه، فكان ينام في المسجد، فيقول عن نفسه: كنت أعزب أنام في المسجد، وأرى الناس يسألون الرسول ﷺ عن الرؤيا، فتمنيت أن أرى رؤيا في المنام؛ لأقصها على الرسول ﷺ، وذلك لأن الرسول ﷺ كان إذا صلّى الفجر التفت إلى أصحابه وقال: «**هل رأى منكم أحد رؤية البارحة؟**»(١) لأن الرؤيا فيها ما يُصدّق، وفيها ما يُكذّب وهي ثلاثة أقسام:

رؤيا من الرحمٰن، ورؤيا من الشيطان، ورؤيا أضغاث أحلام.

١ ـ **فأما التي من الرحمٰن**: فهي التي تأتي من الرجل الصالح في عمل صالح بإذن الله، وهي من المبشرات.

٢ ـ **وأما رؤيا الشيطان**: فهي ما يأتي به الشيطان في المنام من زلازل، وفتن، ومحن، وفقر، وبؤس، ومصائب، وكوارث، فهذه من الشيطان، فلا تخف منها، ولها علاج، وهو: أن لا يحدث بها أحداً، وأن يتفل عن يساره ثلاثاً، وأن يستعيذ من الشيطان الرجيم، فإنها لا تضره بإذن الله.

٣ ـ **وأما أضغاث الأحلام**: فهي مُجريات الحياة التي تحدث عليك في النهار، كأن ترى السكة، وفيها سيارات تذهب وتجيء، وتقف عند الإشارة، وأن ترى الناس يخرجون من المدارس، وأن ترى

---

(١) كما ورد في كثير من الأحاديث منها عند البخاري (١٣٨٦، ٣٣٦٤، ٧٠٤٧)، ومسلم (٢٢٧٥)، وأحمد (٣٢٤٠، ٨١١٤) وغيرها من الأحاديث.

أطفالاً أمامك، وأن ترى بقالات مفتوحة، وهذه مجريات الحياة، ليس فيها أمر زائد ولا ناقص، ولا يتطلب منك الأمر أن تُسافر إلى الرياض، إلى أصحاب السماحة العلماء، وتقول: رأيت البارحة كأن سيارة تمشي في الخط، وتقف عند الإشارة، فما هو تعبيرها! أفتوني مأجورين مشكورين فهذه أمور مجريات في الحياة.

الشاهد: أن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: فتمنيت أن أرى رؤيا، قال: فرأيت في المنام كأني في حديقة خضراء، وكأن عندي قطعة من إستبرق ومن حرير، لا أشير إلى مكان، إلا أخذتني هذه القطعة، حتى نقلتني إلى ذاك المكان، قال: وإذا برجلان اثنان أخذا بيدي، أحدهما باليمنى، والآخر باليسرى، فذهبا بي إلى بئر مطوية، بئر مبنية لها قرنان، يعني: ما يوضع عليها العجلة، قال: فنظرت إليها فقالا لي: لا تُرَع لا تُرَع، وفي لفظ: لم تُرَع لم تُرَع، يعني: لا تخف، قال: فأتيت إلى أختي حفصة - يعني زوج رسول الله ﷺ - وكان لا يستطيع من جلالة الرسول ﷺ ومن مهابته ومن عظمته ومنزلته أن يقص عليه لأنه رجل شاب والشاب دائماً عُرضة للخجل والحياء، والرسول ﷺ ما أخذ هيبته وما أخذ جلالته بالجبروت، بل كان ﷺ من أوضع الناس وأسهل الناس وأيسر الناس، والشاب من عادته ما يتجرأ على السؤال وعلى الحديث.

في الحديث: يقول ابن عمر: كنت جالساً مع قوم من أصحاب الرسول ﷺ فقال ﷺ وقد أُتي بجُمَّار - يعني أُتي للرسول ﷺ بجُمَّار وهو قلب النخلة الأبيض - أُهدي إليه هدية ووضعها بين يديه، فمكث ﷺ بُرهة ثم التفت إلى أصحابه فقال: «**شجرة لا يسقط ورقها مثلها مثل المسلم حدثوني ما هي؟**».

قال ابن عمر: فوقع في قلبي أنها النخلة، فاستحييت أن أذكرها للرسول ﷺ، وفي القوم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، هؤلاء الأجلّة

أهل بدر، وأهل أُحد، وأهل السيوف، وأهل القيام، وعلماء الأمة وحفّاظ التاريخ بين يدي الرسول ﷺ، يعني: استحيا أن يقوم، ويقول: هي النخلة ـ.

قال: فوقع الناس في شجر البوادي، فلما انتهوا قال ﷺ: «**هي النخلة**»، قال: فذهبت إلى البيت مع أبي ـ يعني عمر ـ فقلت: يا أبتاه لقد علمت بالشجرة التي حدّثنا بها ﷺ أنها النخلة. فقال عمر: والذي نفسي بيده لوددت أنك أخبرتَ الرسول ﷺ، وأن لي بها كذا وكذا، عدَّ أموراً وأموالاً من الدنيا(١).

قال: فقصصت على حفصة، فقصَّتها على الرسول ﷺ، فقال: «**نِعْم عبدالله لو كان يصلي من الليل**»(٢).

قال نافع ـ يعني مولى ابن عمر، تلميذه الكبير ـ: فكان ابن عمر لا ينام من الليل إلا قليلاً، حتى إذا سافر كان يُصلي، ويصلي، ويصلي، ويقول: يا نافع، انظر هل طلع الفجر في الصحراء، فينظر، فيقول: ما طلع، فيعود، فيصلي، فيقول: انظر هل طلع؟ فيقول: لا، فيصلي، فإذا قال: طلع، أوتر بركعة، ثم صلّى الفجر.

توفي على أحسن حال، رضي الله عنه وأرضاه، وترك لنا علماً جمّاً، وترك للأمة ولداً، صالحاً، بارّاً، عالماً، هو: سالم بن عبدالله، كانَ ما يفارقه.

هذا الحديث السابق يتكلم عن بني إسرائيل، والرسول ﷺ إذا قال في الغالب: «**كان فيمن كان من قبلكم**» يعني: من بني إسرائيل. حتى يقول الصحابة: لما قال الرسول ﷺ: «**لتتبعن سَنَنَ مَن كان قبلكم**

---

(١) أخرجه البخاري (٦١، ٦٢، ٧٢، ١٣١)، ومسلم (٢٨١١).

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٢، ١١٥٨، ٣٧٣٩)، ومسلم (٢٤٧٩).

حذو القُذَّة بالقُذَّة» قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمَن؟**»[١]، وفي رواية صحيحة: «**من الناس إلا أولائك**»[٢]، فكان الغالب في حديثه ﷺ إذا قال: «**كان فيمن كان من قبلكم**» يعني: من بني إسرائيل.

وبنو إسرائيل أخذوا قطاعاً كبيراً من القرآن، ومن السُنة، حتى وأنت تسمع في سورة البقرة تعيش مع بني إسرائيل. لماذا؟ لثلاثة أسباب:

أولها: لكثرة أمة بني إسرائيل، فإنهم الأمة الثانية في العدد، وفي الترتيب بعد أمة محمد ﷺ.

الثاني: لأن موسى عليه السلام نبي الدعوة والرسالة، وعاش صراعاً عالمياً رهيباً مع فرعون.

والمسألة الثالثة: أنهم أهل مخالفة، وأهل لعنة، وأهل إعراض وبُعد.

فما موقفنا من الإسرائيليات نحن المسلمين؟

الجواب هو: أن الإسرائيليات عندنا تُقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما كان في كتابنا، وفي سُنة نبينا ﷺ، فهذا موجود، وهو تحصيل حاصل، كالأمر بتقوى الله، وكتحريم الحرام، وتحليل الحلال، وهذا ليس فيه زيادة، وفيه: إثبات أن هذه الأوامر هي مطلوب الله عزَّ وجلَّ من الأمم كلها.

الأمر الثاني: ما يخالف كتابنا، وسنّة نبينا ﷺ، فنضرب به عرض الحائط، ونرده رداً تاماً، ولا نقبل منه ولو ذرَّة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦، ٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣١٩).

القسم الثالث: ما لا يوافق ولا يخالف، وإنما هو أعاجيب، وأخبار، وقصص، فهذا نُحدث عن بني إسرائيل، ونذكرها للعبرة بين يدي الناس لقوله ﷺ: «**حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج**»(١).

وقوله ﷺ: «**إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم**»(٢)، معنى ذلك: ما لم يوافق كتابنا أو يخالفه، فإن وافق قبلناه، وإن خالف رددناه، وإن لم يكن فيه موافقة، ولا مخالفة، روينا وسكتنا: كأن نحدث أن فيهم قوماً ذهبوا في الدهر، وأنهم هلكوا وليسوا في القرآن، وأن فيهم رجلاً صالحاً تعبَّد في جزيرة من الجزر، وأن فيهم قوماً استقاموا على منهج الله، وأن قوماً فجروا فأهلكهم الله، هذه قصص وعِبَر نحدِّث بها ولا حرج.

هذا موقفنا من الإسرائيليات، إذا سمعتموها، بارك الله فيكم.

قال ﷺ وهو يقص علينا: «**انطلق ثلاثة نفر**»، (النفر): يُطلق على المجموعة، وعلى الأفراد.

«**ممن كان قبلكم**» يعني: من بني إسرائيل، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، وفي بعض روايات الحديث: «**فأمطرت السماء فالتجؤوا إلى الغار فانحدرت من الجبل صخرة، فسدَّت عليهم الغار**». أصبحوا الآن في ضائعة، واشتدت عليهم الأزمات، وإلى مَن يلتجىء العبد في الأزمة؟ صحيح أن في السعة قد يُشرك الإنسان، وقد يكفر، وقد يتجه برغبته ورهبته إلى غير الله، ولكن إذا ضاقت عليه الضوائق لا يلتجىء إلا إلى الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١٦٧٧٤)، وأبو داود (٣٦٤٤)، والطبراني في الكبير (٨٧٦/٢٢)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٧١)، وابن حبان (٦٢٥٧)، وانظر: البيان والتعريف (١٨٩/٢).

يقول حصين بن عبيد لما أتى إلى الرسول ﷺ وقد سأله ﷺ: «**كم تعبد؟**».

قال: سبعة.

قال: «**أين هم؟**».

قال: ستة في الأرض وواحد في السماء.

قال: «**مَن لرغبك ولرهبك؟**» - يعني لشدة الشدائد والضوائق -.

قال: الذي في السماء.

قال: «**فاترك التي في الأرض واعبد الذي في السماء**»(١).

وهكذا حال من يركبون السفينة، فتشتد عليهم الأمواج، ويأتيهم الموت من كل مكان، وتزدحم عليهم الأهوال، وتضيق بهم الدنيا، ويتذكرون الأطفال، والأزواج، والأموال، فيلتجئون إلى الله تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وهذا حال العبد، ولذلك أمرنا الله تعالى أن نلجأ إليه في وقت الضوائق؛ لأنه الذي يُنجي سبحانه وتعالى.

وقد حثّ المولى، سبحانه، على ذكره وقت احتدام المعركة، وتلاقي السيوف والرماح، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

قال ابن القيم: سُئل ابن تيمية عن هذا كيف يُذكرنا الله سبحانه وتعالى بذكره وقت الأزمة والقلوب مشغولة بالحرب والقتل؟

قال ابن تيمية: إن العرب تعوَّدوا على أن المحبوبين لا يذكرون مُحبيهم إلا في الأزمات، فأراد الله أن يُذكرهم بمحبوبهم هذا.

ولذلك يقول عنترة لمحبوبته، وهو في المعركة، والسيف على رأسه، والرمح يلعب في جسمه:

(١) صحيح، سبق تخريجه ص١٥٠.

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فأراد الله تعالى أن يردهم إليه، سبحانه وتعالى، في هذه الأزمة.

قال: «**فدخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة فسدَّت عليهم الغار**»، الآن ضاقت بهم الضوائق، لا خبر، ولا اتصال، ولا من يُنجي.

فقالوا: الآن أتى الصدق، وذهب الكذب، «**فقالوا إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم**»، الإنسان إذا ضاقت به الضوائق يُراجع حسابه مع الله عز وجل.

فهؤلاء كانت لهم أعمال صالحة، ما قالوا لما دخلوا الغار، وانطبقت عليهم الصخرة، كلٌّ منكم يحدث ربه سبحانه وتعالى، بمواصفاته في الحياة، فيأتي الأول فيقول: إني فلان بن فلان، وزوجتي: فلانة بنت فلان: أهل الكرم والجود، وأهل الشجاعة، والمجد، والشيم، الذين شاركوا في المعارك، والذين تولوا المناصب.

ولم يأتِ الآخر ويقول: إني ابن الغني: صاحب رأس المال الفلاني، وصاحب السيارات، والعقارات، والقصور، والدور، كل هذا لم يكن، بل ذكروا أعمالهم الصالحة، سواء كانوا: أحراراً أو عبيداً، أو كانوا: كباراً أو صغاراً، لأنه المقياس يوم القيامة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرات: ١٣]، هذا ميزان الله عز وجل.

قال: «**إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم**»، ولم يقولوا بأعمالكم، لأن فيها خيراً وشراً، لكن ادعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

هذا صدق اللجوء إلى الله عز وجل، إذا ضاقت الضوائق،

فاصدق مع الله عز وجل، والشاهد من هذا: صدق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، والدعاء بحرارة، ولذلك وقف الرسول ﷺ يوم بدر.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما من أحد في ليلة بدر إلا نائم إلاّ الرسول ﷺ يصلي ويبكي ويدعو.

ويوم اصطف الجيشان، والتقى الفريقان، والتحمت المعركة، وقف ﷺ بصدق اللجوء إلى الله الحي القيوم، يدعو حتى سقطت بُردته من على منكبيه، فأخذها أبو بكر، وأعادها عليه، وقال: «يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وَعَدك»(١)، والرسول ﷺ أعلم بربه ويعلم أنه لا يأتِ بالنصر ولا النعمة ولا الكرامة ولا الفتح إلا بصدق اللجوء، فكان يقول: «**اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد**»(٢).

المسألة الثانية: التوسل بالأعمال.

قالوا: «**تعالوا ندعوا الله بصالح أعمالنا**»، هل لك أن تدعو بصالح عملك؟ وهل لك أن تتوسل بأمور أخرى هي من الصلاح؟ كأن تقول: اللهم إني أتوسل إليك بهذا المصحف فاغفر لي ذنوبي. أو تأتي إلى كتاب فتح الباري وتقول: اللهم إني أتوسل إليك بكتاب فتح الباري لابن حجر العسقلاني فاغفر لي! أو برياض الصالحين أو بهذا المسجد، أو تقول اللهم إني أتوسل إليك بمسجد أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي صلّى فيه المسلمون وذكر فيه الذاكرون فاغفر لي؟ أو تقول: أتوسل إليك بالرسول ﷺ فاغفر لي؟ أو بالمدينة أو بمكة أو بقبرص هل يجوز هذا أم لا؟

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩١٥، ٣٩٥٣، ٤٨٧٧).

وهل يجوز لك أن تقول: اللهمَّ إني أتوسل إليك أني أذكرك وأسبِّحك وأصوم لك وأتوسل إليك بطاعتي واتباعي سنة نبيك ﷺ؟ هذه فيها تفصيل.

أما التوسل بصالح العمل فعليه كبار الأئمة والمحدثين والمحققين على رأسهم العَلَم الكبير شيخ الإسلام ابن تيمية، فلك أن تتوسل بصالح العمل وهو الذي تؤجر عليه ويأجرك الله عليه سبحانه وتعالى، فلك أن تقول: اللهمَّ إنك تعلم أني فعلت يوم كذا، كذا وكذا لمرضاتك، اللهمَّ إنك تعلم أني صليت في الليلة الفلانية من ذاك التاريخ ركعتين في جنح الليل لا أريد إلا وجهك فاغفر لي ذنوبي، هذا بصالح العمل تتوسل.

فأما التوسل بالنبي ﷺ فهو على قسمين(١):

التوسل باتباعه ﷺ، ومحبته، ومحبة سنته ومنهاجه، صحيح، لك أن تقول: اللهم إنك تعلم أنني أعلم بسنة نبيك ﷺ فاغفر لي.

أما التوسل بذاته فلا يجوز، لا تأتي لقبره، وتقول: اللهمَّ إني أتوسل إليك بالرسول أن تغفر لي، أو أتوسل به إليك أن تغيثنا، أو تُمْطرنا هذا اليوم. فهذا لم يفعله الصحابة وهو أمر مبتدع، وشُعبة من الشرك، ولا يجوز.

فهذا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عندما قحط الناس في عهده، والرسول ﷺ مدفون عندهم في الروضة، فلو كان ﷺ يُتوسل به لأتى عمر إلى قبره ﷺ. لكن أتى إلى العباس عمه ﷺ وقال: «اللهمَّ إنا كنا إذا أجدبنا توسَّلنا إليك برسول الله ﷺ - يعني في حياته

---

(١) انظر «فتح المجيد» (١/١٦٣ - ١٦٥)، و«فضل الغني الحميد» (ص١٨)، و«مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين» (٢/٣٤٣ /رقم ٣٧٦).

كان يدعو هو فتغيثنا، وقد مات ـ اللهم إنا نتوسل إليك بعمّ نبينا العباس، فاسقنا يا رب»[١]، فدعا العباس، فسقاهم الله تعالى.

إذا عُلم هذا فهذا هو الصحيح: أن يتوسل به، أما أن يُتوسل بشيء لذات الشيء فلا يجوز هذا، وهو باب من أبواب الشرك، وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

وهذا هو منهج المشركين؛ لأنهم ما أتوا إلى الأصنام، وقالوا: ما نعبد الأصنام، قالوا: يقربوننا، ونتوسل بهم إلى الله؛ ليرفعوا حوائجنا إليه، وليكونوا واسطة بيننا وبين الله، وهذا الشرك بعينه.

فالتوسل بصالح الأعمال جائز، وأما بغير ذلك لا يجوز، أي: بالذوات، ولو بذات الرسول ﷺ، وبعض الناس يبلغ في ولاية الله عز وجل، وفي الاستقامة يبلغ فيها إلى أن يُقسم على الله عز وجل فيبرّ الله قسمه؛ يقول رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله مَن لو أقسم على الله لأبره**»[٢]، ويقول: «**رُبَّ ذي طمرين** ـ يعني ثوبين ممزقين ـ **لا يُؤبهُ له لو أقسم على الله لأبرَّه**»[٣].

(قال رجل منهم) هذا الأول تقدّم والصخرة مكانها «**اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران**»، الشيخان معروف عنهما أنهما: كبيران لكن من باب التأكيد، أو من باب المترادفات في الكلام، وإلا فكل شيخ كبير، والشيخ عندنا: مشهور أنه شيخ العلم، لكن المشهور في لغة العرب أنه الكبير في السن.

زعمتني شيخاً ولستُ بشيخ   إنما الشيخ من يدب دبيباً

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠، ٣٧١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٣، ٤٥٠٠، ٤٦١١)، ومسلم (١٩٠٣).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٨٥٤)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٤٨٢، ١٠٤٨٣)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٥/١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦ ـ ٧)، والحاكم (٥٢٧٤).

هو ينفي الكلمة عن نفسه، ويقول: إن زوجته تقول بأنه شيخ، وهو لا يريد أن يكون شيخاً، لا يريد أن يكون كبيراً في السن؛ لأن العرب يجدون في الشيخوخة عند النساء وصمة ولذلك يقول آخر:

عيَّرتني بالشيب وهو وقار ليتها عيَّرت بما هو عار

وهل في القرآن لفظ شيخ؟ نعم، قال تعالى: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، وكأنه، والله أعلم، أراد بكبير هنا فائدة: لأنه لو قال: شيخ، وسكت، ربما كان: شيخاً نسبياً، أي: أنه ليس كبيراً في السن، لكنه دخلت الشيخوخة عليه فهو كبير مع ذلك هرم.

قال: «**كان لي أبوان شيخان كبيران**»، يعني: يا رب أعلم، أنهما في الشيخوخة، وأنهما لم يكونا صغيرين، لأن بعض الأبناء يبر والده، ليس خوفاً من الله تعالى ولا لطلب الحسنات، لكن يخاف من أبيه.

فهما شيخان كبيران، لا يستطيعان أن يضرباني، أو يمسكاني، أو يقبضاني، ولكنهما شيخان كبيران.

«**وكنت لا أغبق**»، الغبوق هنا: هو شرب اللبن في آخر النهار، والصَّبوح: شربه بعد الفجر.

قال: «**اللهمَّ كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً**»، يقول: يا رب، تعلم أني آتي باللبن في آخر النهار، فما أقدم على أبويَّ أحداً من أهلي ولا مالي.

ما هو المقصود بالمال؟

إنما يقصد به هنا: الرقيق، قال: لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً. وقد تشرب بعض المواشي لبناً، وهذا تحقق.

قال: «**لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر**»،

يعني: كنت أرعى الغنم فتأخر رعي الغنم، وكنت أبحث عن الشجر للغنم حتى تأخرت في العودة في المساء يوماً.

«**فلم أرح**» يعني: من الرواح، والرّواح: في آخر النهار، والغدو: في أول النهار.

ويجوز أن تكون في أول النهار يقول ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له نُزلاً كلما غدا أو راح**»(١). فالغدو: معناه الذهاب إلى الشيء، والرجوع من الشيء يسمَّى: رواحاً، يقول سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝﴾.

لكن الرواح المقصود به هنا: آخر النهار. ولذا يرى بعض أهل العلم أن ساعات الجمعة تبدأ من بعد الزوال، الساعة الأولى التي يقرب فيها البدنة، والبقرة، والكبش تبدأ من بعد الزوال، لأنه ﷺ يقول: «**من غدا إلى المسجد أو راح**»، والرواح عنده: لا يكون إلا بعد الزوال، لكن أهل العلم قالوا: لا، قد يطلق الرواح على غير آخر النهار، على الذهاب والغدو إلى الشيء.

قال: «**فلم أرح عليهما حتى ناما**»، رجع بإبله فحلب فأتى بالإناء فوجد الشيخين الكبيرين الوالدين نائمين، وانظر إلى اللطافة، ما أيقظهما لأنه خاف أن يعكر عليهما النوم، هل بعد هذا البر من بر؟ هل بعد هذا الحسن من حسن؟! وهذا فعله كثير من الصحابة، وكثير من السلف، كان الواحد منهم يأخذ الماء لوالده فيقف حتى يستيقظ والده، وكان بعضهم يحمل الماء لوالده في شدة الشتاء، فإذا استيقظ الوالد قدّم له الإناء ليتوضأ، هذا هو البر.

قال: «**فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح في يدي**»، تصوَّر

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).

الصورة: القدح على يديه هكذا، وهو واقف ما جلس، انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر «**والصبية يتضاغون عند قدمه**» أطفاله وأولاده يتضاغون من الجوع عند قدمه، ويتألمون من الحسرة، ومن الظمأ، فما أشربهما، وما أيقظ والداه حتى برق الفجر «**فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك**»، هذا هو الشاهد: إن كان إخلاصاً، لا رياء، ولا سمعة.

بعض الناس يفعل بعض البر رياء وسمعة، يأتي، والمجلس مجتمع، والناس حضور، فيأتي يصب القهوة لأبيه، فيقول الناس: ما شاء الله ما أبره بأبيه، يدخل المجلس أمام الناس فيبدأ بأبيه يقبّل يديه ورأسه، ولكن إذا خرجوا ما فعل معشار ذلك، نعم، أما أمام الناس فبار، لكن في الخفاء من أجفى الجفاء.

قال: «**ابتغاء وجهك**»، لا لطلب السمعة والرياء.

«**ففرِّج عنا ما نحن فيه فانفرجت شيئاً**» يعني: الثلث؛ بقي ثلثان لأن هذا بقدره «**فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه**»، تصوروا المشهد لما دعا، وانتهى، كيف تحركت الصخرة قليلاً حتى زحفت، كيف مشاعرهم وقلوبهم يوم اتصلت بالحي الواحد، سبحانه وتعالى، وبدأ الإخلاص معهم، وهذه من كرامات الأولياء.

قال الآخر (الثاني): «**اللهم إنه كان لي ابنة عم**»، ذكر من جمالها وحسنها، وأنه راودها عن نفسها، فأبت، وتأبّت، وامتنعت بحفظ الله ورعاية الله، وهذه علامة الصلاح، لكن تغيرت بها الحال، وعضّها الفقر، الذي قد يؤدي ببعض العباد للفاحشة، والعياذ بالله.

ولذلك جاء التحذير من الغنى المطغي، والفقر المنسي، الغنى يطغي بعض العباد أو كثيراً من الناس ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦، ٧]، بعض الناس إذا استغنى طغىٰ، وبغىٰ، كأنه ليس بالإنسان الذي كان يجلس على التراب، وكان لا يجد كسرة

الخبز، لا ينظر إلى الناس، ولا يرد السلام، وإذا جلس يأتي بكلام الجبابرة، كأنه من نسل فرعون وقارون وهامان. لماذا؟ لأن عنده دُريهمات، وعنده شيء من العقار والسيارات، والأموال، فيطغىٰ.

وبعض الناس يصل به درجة الفقر إلى أن ينسى الله عز وجل، ولذلك تعوَّذ بالله من الغنى المطغي، ومن الفقر المُنسي، لأن بعض الناس يفهم أن معنى الاستقامة: أن تكون فقيراً، ثيابك ممزقة، ولا تجد كسرة خبز، وهذا قد يوصل بعض الناس إلى الإلحاد، وقد وصل ببعض الملاحدة مثل ابن الراوندي هذا الخبيث الكلب المُعثَّر من الفلاسفة المحسوبين على الإسلام، كان فقيراً ممحلاً ما يجد كسرة الخُبز، بحث عن كسرة خبز فأخذ يأكلها على نهر دجلة، فمرّ أحد الخدم معه من الأموال ما لا يعلمه إلا الله.

فرأى الخادم، ومعه الأموال، والإبل، والخيول، والبقر، والعبيد، فنظر إلى السماء، وقال: هذه قسمة ضيزى، ثم أخذ الكسرة وضرب بها نهر دجلة قال: أنا ابن الراوندي من أذكياء الدنيا، وهذا الخادم تعطيه، ولا تعطيني.

حتى يقول مَنْ ترجم له: الكلب المُعثّر، أي: هو، والله، الكلب المعثر يوم يعترض على رب العزة، سبحانه وتعالى، بسبب الفقر، ومرض الإلحاد الذي ينخُر في جسمه، ولذلك دخل الإلحاد في الأمم الفقيرة، ولذلك ماركس، ولينين، وهرتزل أهل الإلحاد ومؤسسي دولة العناد والفجور والطاغوت دولة روسيا «الاتحاد السوفييتي»، أولاً أتوا إلى الأمم الفقيرة، يعني: دخلوا للفقراء بالغنى مع الإلحاد، وكان مركبهم مركب الاقتصاد.

أفريقيا، الآن، يدخلونها بهذا الأسلوب، النصارى ما يُنَصِّرون إلا بالمال، والأمم الكافرة الشيوعية تدخل بهذا، وقد دخلوا في أمم، وشعوب، فكفروها بسبب الفقر، ولذلك دعايتهم هل تريد إيصال الغاز

إلى بيتك؟ هل تريد أنابيب الماء؟ هل تريد الراحة المريحة؟ إدخال الثلاجة، والسخان، والسيارة؟.. لافتاتهم هكذا، ولما أدخلوها إلى الشعوب امتصوا خيراتها، وأوقفوا الناس، والله، بالمئات في الطابور حتى يأخذ الواحد منهم قطعة لحم، وشيئاً من سكر، وشيئاً من أرز، فهل هذه العدالة التي أتى بها محمد ﷺ واليُمن والرخاء؟

الشاهد: أن الكفر ركب مركب الفقر، ودخلوا إلى هذا، فلما انتهوا من مدخل الاقتصاد، دخلوا، الآن، من مدخل الحداثة، الحداثيون أدخلوا الإلحاد على مركب الحداثة، يأتي الواحد منهم بطلاسم وأمور، ويقول: نلغي كل قديم، ومعناه: إلغاء الإسلام، والكتاب، والسنة.

قال: «**فلما عضّتها السَّنَة**» - يعني الفقر - **أتى بمائة وعشرين ديناراً فوضعها بين يديها فأمكنته من نفسها**»، فلما تمكن ذكر الله، وموعود الله، ولقاء الله، والعرض بين يدي الله، وهذا موقف يوسف عليه السلام، كيف رفع الله قدره.

قال بعض أهل العلم: تأملت كيف رفع الله عزَّ وجلَّ يوسف عليه السلام، فنظرت فإذا الله تعالى رفعه بأمور:

أولها: كان شاباً، والشاب صاحب جموح، وطموح في الشهوة.

والأمر الثاني: أنه غريب، والغريب لا يخشى من العار كثيراً، ما هو صاحب بلد، سافر إلى مصر ومَن يعرفه في مصر، مَن يدري أنه ابن يعقوب، وأنه زنا وأنه فعل؟

والأمر الثالث: أنه في بيت ملكة، والملكة تستطيع لو حُكم عليه بشيء، تقول: لا، هذا المرسوم خطأ مرفوض، لا يمكن أن يجري عليه، هذا رجل طاهر، مطهَّر، أطهر من حمام الحرم، ومن ماء الغمام.

والأمر الرابع: أنها جميلة، يعني: ما عرضت نفسها؛ لأنها مبتذلة، وأن وجهها قبيح.

الأمر الخامس: أنها هي التي طلبت وتزيَّنت، وهي التي دعت وهو ما دعا.

وذكر آخرون: أن الله تعالى رفع يوسف عليه السلام بهذه الأمور الكثيرة، فلما وقع في هذا المأزق ذكر عظمة الله تعالى، ويقول عز وجل: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: **٢٤**]، بعض المفسرين يقول: همَّ أن يتركها، ولكن هذا خلاف السياق، وخلاف الكلام، ما كان يذكر الله تعالى هذا الهم، لكنه أراد، وخاطرته النية، فذكر موعود الله تعالى لولا أن رأى برهان ربه.

ما هو برهان ربه؟ قالوا: رأى يعقوب، عليه السلام، عاضاً بإصبعه.

وقالوا: رأى جبريل بستمائة جناح.

وقالوا: رأى الجنة، ورأى النار، ورأى، ورأى، ولكن الصحيح أنه رأى برهان ربه.

قالوا: واعظ الله في قلب كل مؤمن، بقية إشعاع الإيمان، وقوة الإيمان، وحرارة الإيمان، تحركت في قلبه، وهو برهان ربه، فانتهى، فرفع الله سامته، ومقامه، وأغدق عليه من الثناء، سبحانه وتعالى، وملَّكه، وسكّنه في الدنيا.

ذكر بعض أهل العلم في ترجمة مسلم بن يسار: أنه خرج إلى مكة حاجّاً، أو معتمراً، مسلم بن يسار كان من أجمل الناس، كان من أولياء الله تعالى، ومن العبَّاد، والصوَّام، والأخيار، فعرضت له فتاة في طريق مكة إلى المدينة، من أجمل النساء، ودعته إلى نفسها، ففرّ منها

إلى وادي آخر، فلحقه رفيقه، وصاحبه قال: ما لك؟ وأتى وإذا هو يبكي قال: ما لك؟ قال: أصبت معصية.

فسأله بالله أن يُخبره فقال له: دعتني امرأة اليوم إلى نفسها، فأبيت قال: آجرك الله، قدوتك يوسف عليه السلام، وهنيئاً لك أنك امتنعت.

فلما حجّ، وأخذ يطوف، طاف وانتهى من الطواف، صلّى عند المقام ركعتين، وأخذت به عينه فنام، فرأى يوسف، عليه السلام، يطوف فقال: مَن أنت؟ قال: أنا يوسف الذي هممت، وأنت مسلم بن يسار الذي لم تهم، هذه من القصص التي وردت عن الصالحين، وعن الأخيار، وإلا فمقام يوسف، عليه السلام، أعلى وأعظم وأشرف وأجل، إلى غير ذلك، فمَن يحفظ الله تعالى في الخلوة، ويستحضر عظمة الله تعالى في نفسه، يحفظه سبحانه في الخفاء، فإن الله تعالى يحفظه ويدفع عنه البلايا.

قال أبو نواس فيما ينسب إليه وهي من أحسن قصائده:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل   خلوت ولكن قل عليَّ رقيبُ
ولا تحسبن أن الله يغفل طرفة   ولا أن ما يخفى عليك يغيبُ

والأندلسي يوصي ابنه يقول:

وإذا هممت بريبة في ظلمة   والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها   إن الذي خلق الظلام يراني

فلما همَّ أن يباشر الفاحشة ذكر الله تعالى، ذكر موعود الله تعالى فكفّ.

قال: «**اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة**»، يعني: لكن ما استطاعوا أن يخرجوا.

وقال الثالث: «**اللهم إني استأجرت أُجراء**»، كان عنده خدم وعبيد، يشتغلون عنده، حاسبهم، وأعطاهم حسابهم، إلا واحداً ما أخذ أجره. فأخذ أجرته فثمّرها، واشترى بها إبلاً، وغنماً، ورقيقاً، وأصبحت أموالاً عظيمة، وبعد فترة، عاد هذا الخادم «**وقال: أعطني أجرتي، قال: خذ هذه الإبل وهذه البقر، وهذا الرقيق، قال: تستهزىء بي**» يعني: أجرة أيام بسيطة تُصبح هذا، «**قال: والله لا أستهزىء بك**»، فساقها الأخير جميعاً، وما ترك له شيئاً، وذهب. «**قال: اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون**».

بر الوالدين من أحسن الأعمال التي يُتوسل بها لله عز وجل، وقد ذكر الله في الكتاب حقه، وحق الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: **٢٣**]، طاف رجل بالكعبة بأمه وقد أصابه من الجهد ومن التعب ما الله به عليم، فرآه ابن عمر فقال: يا ابن عمر أترى أني وفيتها حقها؟

قال ابن عمر: لا والله ولا بزفرة من زفراتها.

وذكر صاحب «الكشاف»: الزمخشري، وينسبه إلى الطبراني: أن رجلاً أتى الرسول ﷺ يبكي.

قال: «**ما لك؟**».

قال: ظلمني ابني يا رسول الله، ربيته وحننت عليه وأشفقت عليه فلما كبر تغمَّط حقي وظلمني وبسر في وجهي.

فقال ﷺ: «**هل قلتَ في ذلك شعراً؟**».

قال: نعم.

قال: «**ماذا قلت؟**».

قال: قلت:

غذوتك مولوداً وعِلتك يافعاً تَعُل بما أجري عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا شاكياً أتململ
كأني أنا الملدوغ دونك بالذي لُدغت به دوني فعيناي تَهمِل
فلما بلغت السن والغاية التي إليها بدا ما فيك كنت أؤمل
جعلت جزائي غِلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل

فبكى ﷺ وأتى بالابن وحاكمه وقال له: «**أنت ومالك لأبيك**»[(١)]، أو كما قال ﷺ.

فليُعلم أن من أحسن ما يُتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى بر الوالدين، حتى يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: **٢٣**]، بعض السُذَّج يقول: ما ذكر الله الضرب، أما الأف ما تقول أف.

لكن هل يجوز أن تضرب أباك؛ لأن الله تعالى لم يذكر الضرب في القرآن؟

وهذا يردون به على أهل الظاهر، يقولون: لأن هذا ينفي القياس، فما دام أنه لا ينفي القياس فمعناه لا يقيس على الأف، الأف: لا يجوز، لكن أكبر من الأف يجوز، وهذا خطأ.

والمسألة الخامسة: فضل العفة ومخالفة الهوى، وهذه هي

---

(١) سند الحديث حسن، والقصة لا تثبت، الحديث أخرجه أحمد (**٦٨٦٣، ٦٩٦٢**)، وأبو داود (**٣٥٣٠**)، وابن ماجه (**٢٢٩٢**) وغيرهم، وقصة الوالد مع ولده أخرجها الطبراني في الأوسط (**٦٥٧٠**)، وانظر: كشف الخفاء (**٦٢٨**).

الاستقامة وتطبيق الدين: أن تُخالف هواك، إذا كان هواك يدفعك إلى مخالفة أمر الله تعالى.

سُئل الإمام أحمد: ما هي المروءة[1]؟ قال: ترك ما ترجو لما تخشى، وما بلَّغ الله الصادقين منازلهم إلا بمخالفة الهوى.

موسى، عليه السلام، لما سقى للجاريتين البنتين، بنتَي الرجل الصالح استولى عليه الحياء، ما هو الدليل على حيائه؟ ما هو الدليل في القرآن أنه استحيا من الجاريتين فغضّ بصره عليه السلام؟

الدليل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، القوة: رأته رفع الصخرة، يقولون ما يرفع الصخرة إلا عشرة، كان موسى، عليه السلام، من أقوى الناس، والأمين: ما نظر إليها أبداً، فبَلَّغه الله، سبحانه وتعالى، تلك المنزلة العظيمة بهذه الأعمال الصالحة، وقد علم الله تعالى ونظر أي قلوب العباد في عصر موسى خير فوجد قلب موسى من أحسن القلوب فاختاره للرسالة.

يذكر بعض أهل التراجم عن رجل صالح أنه قال: حججت مرة من المرات، فلما طُفت، وسعيت، وقضيت حجِّي، وانتهيت، فلم أجد مالي: لا درهماً، ولا ديناراً، وذهبت إلى من يقرضني، أو يُسلفني مالاً فما وجدت أحداً، قال: فذهبت على وجهي في جوع لا يعلمه إلا الله، قال: فذهبت في سكك مكة، أنزل سكة، وأصعد سكة أخرى، وأنزل مكاناً، وأصعد مكاناً آخر.

قال: فلما لففت في ناحية الطريق، وإذا أنا بعقد من مرجان ـ يعني: الدرة الواحدة تعادل الآلاف من الدنانير ـ قال: عقد كامل من المرجان، قال: فأخذته معي، فلما وضعته في كُمي، وأنا فرح به سمعت، وأنا داخل الحرم مَن يقول: مَن وجد العقد وله كذا وكذا؟

(١) المروءة وخوارمها (١٩ ـ ٤٣).

قال: فأتيت الرجل قلت: ما وصف عقدك؟ فوصف لي العقد، والخيط الذي فيه، وعدد الدُرر التي فيه، قال: فأخذته، ودفعته إليه، قال: فوالله ما ناولني درهماً ولا ديناراً، فقلت: اللهمَّ إني دفعتها ابتغاء وجهك، فاجعلها لمرضاتك، يا رب العالمين.

قال: فأخذها، وركب، وذهب، ولا أدري أين ذهب، فتلبثت بعد الحج أياماً بسيطة، ثم سافرت، فركبت البحر، قال: فلما ركبت البحر، انكسر بنا القارب الذي نحن فيه، وغرق أصحابي جميعاً، وماتوا، إلا أنا، فأخذتني خشبة، فركبت الخشبة ثلاثة أيام بلياليها، بين الحياة، وبين الموت، ثلاثة أيام بلياليها، وهذه الخشبة تذهب به يَمنة ويَسرة، قال: وأنا أُسبح الله، وأدعوه أن ينجيني، فدفعتني الريح إلى جزيرة، فنزلت في الجزيرة، فدخلت مسجداً، فوجدت فيه مصحفاً، فنظرت فيه أقرأ، فدخل عليَّ أهل المسجد، فقالوا: تقرأ القرآن؟ قلت: نعم.

قالوا: تُقرئنا بالأجرة.

قال: أُقرئكم.

قال: فدفعوا لي أجراً فأقرأتهم.

قال: ورأيت صحيفة، فخططت فيها.

قالوا: وتخط أيضاً؟

قال: وأخط ـ هذه الجزيرة كأنها ما رأت خطاطاً ولا قارئاً ـ.

قالوا: بالأجرة.

قال: بالأجرة.

قال: فكنت أعلم صبيانهم، فأتاني أحدهم من خيارهم، فقال: إن هنا بنتاً يتيمة، وأبوها رجل صالح من أصلح الناس، وإنه كان

يدعو الله عز وجل أن يرزقها الله رجلاً صالحاً أتتزوجها؟ فتزوجها.

قال: فلما التقيت بها رأيت العقد الذي وجدته في مكة في عُنقها. قال: فسألتها عنه، فأخبرته الخبر.

قالت: حججت أنا ووالدي حجة من الحجج، وهذا العقد معي؟ لأن أبي باع ما لنا من أملاك، ودُور، وعقار، وجعله في هذا العقد. قالت: فضاع منا فوجدنا رجلاً صالحاً، فردَّ لنا هذا العقد، فكأن أبي تأسّف بعدما رجع إلى قريتنا، يقول: يا ليتني زوَّجتك صاحب ذاك العقد، فكان يدعو الله عز وجل أن يلاقي بينه وبين صاحب ذاك العقد، فنظر إلى العقد، قال أنا صاحب ذاك العقد.

هذا حفظ الله عز وجل لمن يحفظ حدوده عز وجل، بعض الناس يأخذ الحرام ولو كان درهماً.

الشاهد من هذه القصص: أن من ترك شيئاً للّه عوَّضه الله خيراً منه.

علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين، أبو الحسن، دخل المسجد في الكوفة، أراد أن يصلي، ومعه بغلة، فرأى أحد الناس شاباً، فقال: احبس هذه البغلة أصلي، فأخذها بخطامها ودخل علي، رضي الله عنه، يُصلي، فلما دخل المسجد، أخذ هذا الشاب فرصة غياب علي، رضي الله عنه، فأخذ الخطام، وذهب به إلى السوق، فباعه بدرهم، فخرج علي، رضي الله عنه، فسأل الناس: أين الشاب؟ قالوا: أخذ الخطام، وذهب به، فأرسل علي وراءه، فوجده يبيع الخطام، فقال له: (الرجل الذي أرسله علي رضي الله عنه) قال: بكم تبيعه؟ قال: بدرهم، قال: خذ درهماً، فاشترى منه الخطام بدرهم، ثم أتى به إلى علي، رضي الله عنه، قال علي، رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، لقد هممت أن أعطيك درهماً حلالاً، وقد أخذته اليوم حراماً!

أبى بعض الناس أن يسترزق إلا من حرام، فتجد بعض الناس يفعل ذلك، وهو متين، وسمين، ذو عضلات، وتجده يسرق إما حذاء، إما شيئاً بسيطاً، إما قلماً، إما يختلس، ولو عمل في الحلال لرزقه الله عزَّ وجل من حيث لا يحتسب، ولذلك تُقطع أيدي بعض الناس على أقلام، أو أحذية، أو لباس، أو على خمسين ريال، وتجده يرتكب هذا الإجرام، بسبب أنه ما سلك الحلال، والله تعالى قد بيَّن طريق الخير، وطريق الشر، وجعل الإنسان على نفسه بصيراً.

وفي هذا الحديث: فضل السماحة، وأداء الأمانة.

السماحة في المعاملة، هذا الرجل لما ذهب الخادم ربى ماله ونمّاه، ولما عاد سلّمه جميع الأموال غير ناقصة، ولذلك مطلوب من المؤمن أن يكون سمحاً إذا باع وإذا اشترى، وإذا قضى وإذا اقتضى.

وإنظار المعسر تعرفون ما ورد فيه، وبعض الناس يُشدّد على الناس فيُشدد الله عليه، «**مَن يسَّر على مُعسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومَن نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة**»[١]، يعني: الجزاء من جنس العمل.

وفي الحديث: إثبات كرامات الأولياء، فهم دعوا بصالح أعمالهم، وتوسلوا إلى الله تعالى بذلك ففرج الله عز وجل عنهم الصخرة.

في صحيح البخاري في كتاب الوكالة: (أن رجلاً من بني إسرائيل كان صالحاً ذهب إلى رجل غني وراء البحر من بني إسرائيل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

أيضاً وقال: أريد منك ألف دينار، قال: هل لك وكيل - يعني ضامن - لأنني ما أعرفك.

قال: وكيلي الله عزَّ وجل.

قال: كفى بالله وكيلاً، انظر ما أحسن ذاك وما أحسن هذا، رضي هذا بالله فرضى الله به ذاك.

قال: هل عندك شاهد؟

قال: كفى بالله شهيداً.

فركب هذا البحر بألف دينار، وذهب إلى أهله، ولما أتى السداد فما وجد سفينة، ولا قارباً أبداً، تحرّى اليوم الثاني، الثالث، حتى يئس، ثم أخذ خشبة، فنقرها من وسطها، ثم جعل فيها ألف دينار، وكتب عليها، اسم الرجل، ثم رمى بها في البحر، هذا لأنه رضي بالله كفيلاً، ورضي به شهيداً، فسوف يبلغ الله هذه الأمانة.

فلما وضعها في اليم، ساقها الله عزَّ وجل بالريح، وذاك الرجل يعلم أن الأجل موعده هذا اليوم، فخرج من البيت يتحرَّى الرجل في السفينة.

فوقف على الشاطىء، فانتظر، وفي الأخير يئس من مجيء ذاك، فرأى هذه الخشبة، فقال: آخذها حطباً لأهلي، فأخذها، وحملها على كتفه، ولما وصل بيته أخذ هذه الخشبة، فكسرها، فإذا فيها الألف دينار وفيها ورقة من ذاك المُرسِل إلى المرسَل إليه[١]؛ وهذه من كرامات الأولياء. ومَن رضي بالله كفيلاً وشهيداً بلغه الله ما تمنى.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٩١).

كرامات الأولياء عندنا منها ما لا يحصى ولا يُعد، وأكثر ما صحّ من كرامات الأولياء وما ذُكر منها عن صحابة محمد ﷺ، غالبهم صاحب كرامة وهم لا يريدون الكرامة بذاتها، لكن يريدون الاستقامة فآتاهم الله الكرامة في الدنيا وفي الآخرة، وهي أمر خارق للعادة يثبته أهل السنة والجماعة[1].

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلَّم.

❀ ❀ ❀

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٣/١٥٥ ـ ١٥٦).

بدعة المولد

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام للسنة فانقادت لاتباعها، وارتاضت لسماعها، وأمات نفوس أهل الباطل في البدعة بعد أن تمادت في اتباعها، وتغالت في نزاعها، والصلاة والسلام على حبيب الله، قدوة الناس أجمعين، أفضل من خلق الله، وأشرف من سوّى الله.

أيها الناس!

يا أمة الإيمان والحب والطموح، يا أمة الخير والعدل والسلام، يا أمة اليقظة والعطاء والبذل.

يا أمة سفك الزمان بها جموح المستحيل
وتوقف التاريخ في طلعاتها قبل الرحيل
وسقت شفاه الوالهين سُلافة من سلسبيل

مرّت أيام المولد.. وظنّ الخرافيون أنهم يحيون من سيرته موالد.. وقد عطّلوا سيرته في العقائد والعبادات والمعاملات، وتركوا سنته في البيت والمجتمع، وتركوا سنته في التربية والتدريس والتعليم، وتركوا عطاءه وبذله وحبه وإيمانه.

تركوا همته، وتاريخه المُشْرِق، وتعلقوا بخرافات، ما أنزل الله

بها من سلطان، فجعلوا ليوم ميلاده تاريخاً، ملؤوه بطقوسهم، ورقصهم، ونشيدهم وتصفيقهم، مكاءً وتصدية، بلا خشية، ولا إنابة.

والرسول ﷺ يقول: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١).

وذكرى المولد ليست في الإسلام بشيء.

والاحتفال بالمولد ليس من دين الله تعالى.

وتحديد يوم للمولد النبوي خرافة من الخرافات، أنتجتها الأفكار العفنة المتخلفة، التي لا تفهم، ولا تفقه.

عاش الصحابة في قرونهم الثلاثة الأولى ما عرفوا مولداً وما احتفلوا بمولد، إنما أُتي هذا من قِبَل الخرافيين الذين يعيشون على الخزعبلات من أهل البدع والخرافات فيما يقارب القرن الخامس.

وهو بدعة، وخطأ، وغلط بيّن، فالرسول ﷺ لا تُحيا شريعته بالموالد، ولا تُحيا رسالته بالدف والطبل والتصفيق، ولا يُحيا تاريخه بالتصفيق والصفير.

لا والله.. إن ميلاده كل حين، وكل ساعة، وكل ثانية.

إن ميلاده ﷺ أن تعلو شريعته وسنته.

ولقد رأينا هؤلاء، أو بعضهم من الذين يحيون مولده ﷺ من أبعد الناس عن السنن، فهم لا يحضرون الجماعات في المساجد ولا يتلون الآيات في المصاحف، ولا يخشعون، ولا يخشون، ولا تظهر على سيماهم السنن، وتعاليمها، وإشراقاتها، وروعتها، وإبداعها.

---

(١) صحيح سبق تخريجه ص٤٠.

لكن هم جادُّون بهذا السير الخرافي، والحزب الابتداعي، الذي سنُّوه من قبل أنفسهم.

وأريد أن أقول بخلاصة وتلخيص: أن من أراد أن يُحيي سنته ﷺ فليحيها في اتباع شريعته، أما المولد فلا مولد ولا ذكرى.

سبحان الله! أيوم من الأيام يجتمع الناس، فيصفقون، ويزمجرون، ويضربون صدورهم، كما يفعل أهل الرفض في أيام عاشوراء، في الحسينيات، وكما يفعل الفرنسيون بنابليون، والألمان بهتلر، وهؤلاء المرتزقة زنادقة الشعوب.

لا.. إن محمداً ﷺ شخص لا كالأشخاص، ورجل لا كالرجال، وقائد لا كالقادة، ومصلح لا كالمصلحين، حياته معك في كل أربع وعشرين ساعة.

تشرب وسنته معك، تأكل وسنته معك، تنام وسنته معك.

تقوم وتخرج من بيتك، تذهب إلى عملك، وتجلس على كرسيك، وتتناول كتابك، كل هذا وسنته معك.

إنه هو الشخص الذي طرق العالم، ثم لم يتكرر طرقه للعالم.

صحيح: أن في حياته أحداثاً كبرى.

صحيح: أن شخصيته مدهشة ومذهلة.

لكن هل قال لنا: أحيوا مولدي؟

وهل سنّه الخلفاء الراشدون؟

هل فعله القرن الأول والثاني والثالث؟

لا والله.

أتت به أمه، ورأت رؤيا قبل أن تأتي به ﷺ، رأت أن نوراً خرج منها، وبعد ولادته نقل إلى البادية.. فرضع ثدياً طاهراً من ألبان البادية الصافي صفاء الصحراء، المشرق إشراق الصحراء، ليكون فصيحاً من أفصح الناس.

وعاد من البادية، وقد بكاه أهل البادية؛ لأنه أتى إليهم، والأرض مجدبة لا نبت ولا شجر، فالنوق والإبل تموت كل يوم، والغنم أصيبت بجدب وقحط، لا يعلمه إلا الله، واللبن قد جفَّ من الضرع، والمياه من الغدران في بادية بني سعد تجاه الطائف.

فمن نعمة الله، ومن فضل الله، أنه لما وصل نزل الغيث، بفضل الله ونعمته، فامتلأت الحدائق عشباً، وزهراً، ووروداً، وتبسَّمت الفيافي أناقة وروعة وحباً.

وأتى الضرع يدر باللبن حليباً سائغاً للشاربين، وأتى الماء يتفجر في الغدران والجداول والأنهار.

فلما انتقل بكته أمه، وأبوه من الرضاعة، وكل الحي.

فهو مبارك أينما كان، مبارك في البيت، ومبارك على المنبر، ومبارك في المعركة، ومبارك في البادية، ومبارك في قبره، ومبارك يوم يبعث الله الناس ليوم لا ريب فيه.

ولما عاد لمكة كان لجده فراش، لا يجلس عليه إلا عبدالمطلب فحسب.

هذا الفراش للعظمة، والسيادة، وجدّه: سيد قريش.

فمن عظمة هذا الطفل المترعرع، الذي همته تمر مرَّ السحاب أنه كان يأتي ﷺ، وهو في الرابعة من عمره، ويجلس على الفراش، فيؤخرونه، فيزحف، ويجلس عليه، فيتبسم عبدالمطلب ويقول:

والـحـجـب والـبـيـت ذي الـنـصـب
والـشـمـس ذات الـلـهـب
إن لـهـذا الأمـيـن سـبـبـاً مـن الـسـبـب

وأي سبب؟ إنه سوف يكون رجل التاريخ، وإنسان عين الدنيا، وقائد البشرية يوم تهتدي إلى ساحل النجاة.

وترعرع في مكة، فما كذب كذبة واحدة، وما غدر غدرة واحدة، وما غشّ، وما سرق، وما زنى، وما شرب الخمر؛ لأن الله يربِّيه لرسالة كبرى.

سمَّوه: الأمين الصادق الناصح المخلص.

واختلفوا على وضع الحجر؛ لأن الكعبة، يوم هُدمت، سقط الحجر فقالوا: أول داخل يدخل نحكِّمه، فأتى بإشراقه، ورونقه، وروعته، وجهه كالقمر ليلة أربع عشرة، ريحه كالمسك.

فقالوا: أنت تضع الحجر هنا؛ لأننا اختصمنا، وكاد القتل يقع بيننا.

فمن حكمته، وذكائه، وفطنته أن كانت القبائل أربع.

فوضع رداءه، ووضع الحجر فيه؛ لتأخذ كل قبيلة طرف الرداء، فلما أخذوا الحجر، وضعه بيده الشريفة مكانه.

وفي الحديث أن الحجر كان يسلّم عليه ﷺ قبل البعثة[١].

وصل الأربعين من عمره، فرأى الجهل، والخرافة، والتخلف، والزنا، والفجور، وشهادة الزور، والقتل، والحقد، والحسد، فخرج بطهره، وعفافه إلى غار حراء، يأخذ إهابه، وطعامه، وشرابه، فيجلس

(١) أخرج معناه مسلم (٢٢٧٧).

في الغار، ويتفكّر في السماء مَن بناها؟ وفي الأرض مَن سوَّاها؟ وفي الحدائق مَن أنبتها؟ وفي الماء مَن أجراه؟ وفي النسيم مَن سيَّره؟ وفي النجوم مَن أجملها؟

سبحان الله! لا بد لهذا الكون من خالق.

واستمر على العبادة، وعلى التفكر، وهو ينكر هذا المجتمع الضال.

وبعد أيام نزل عليه جبريل عليه السلام بالقرآن والوحي.

نزل عليه جبريل عليه السلام في صورة إنسان، فسلَّم عليه، وضمَّه ثلاث ضمات.

قال له في المرة الأولى لمّا ضمَّه: اقرأ.

قال: **«ما أنا بقارىء»**.

وصدق ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢]، فضمَّه الثانية فقال: اقرأ.

قال: **«ما أنا بقارىء»**.

فضمَّه الثالثة قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ١ ـ ٣].

فقرأها خلف جبريل عليه السلام.

قال أهل العلم: اقرأ في الكون وآياته.

وكتاب الفضاء أقرأ فيه سُوَراً ما قرأتها في كتابي

ولكن كثيراً من أهل الشهادات اليوم لا يقرؤون كما كان يقرأ محمد ﷺ.

إنهم أميُّون، لكنه هو من أعلم العلماء، بل هو أعلم العلماء في الدنيا.

وهم يحملون الشهادات، إلا من رحم الله، لكن أميُّون لا يقرؤون في الشمس مَن جمَّلها؟ ولا في النجوم مَن سوَّاها؟

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
فيا عجباً كيف يُعصى الإلٰه أم كيف يجحده الجاحد

ومشى ليعود إلى بيته خائفاً يقول لأهله: «**زمّلوني زمّلوني لقد خشيت على نفسي**».

فتقول امرأته الرشيدة العاقلة خديجة، رضي الله عنها: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتكرم الضيف، وتعطي المعروف، وتحمل الكلّ، وتعين على نوائب الدهر، فوالله لا يخزيك الله أبداً(١).

من سنن الله الكونية والشرعية ألا يخزي من أحسن سبيلاً أو من اتجه إليه، أو من اتقاه.

إنما يخزي الفجَرَة والظلمة.

قال تعالى له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ١، ٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١، ٢]، فقام لينذر الجزيرة، فالجزيرة العربية، لا بد أن تكون كعبة الوعي، والطموح، والإيمان.

الجزيرة العربية، لا بد أن تكون: أم البذل، والعطاء، والسلام.

الجزيرة العربية، لا بد أن تكون: مركز الإسلام، ومحور اليقين، والإيمان.

---

(١) كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤، ٤٩٥٤، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠).

الجزيرة العربية، قدرها: الإسلام، لا تعيش إلا مع الإسلام.

لا بد لمن يعيش على تراب هذه الجزيرة أن يكون مسلماً مؤمناً.

لا نقول هذا تعصباً والله.

فإن أرض كابول قطعة من أرضنا، وإن الأندلس المفقود شيءٌ من بلادنا، وإن بقاع الهند، ونهر اللوار، والجنج كلها ينبغي أن تكون من تراثنا وترابنا، لأننا أمة واحدة.

يا أمة في عمرها لم تحيَ إلا بالجهاد
كفرت بمجلس أمن من نصب المنايا للعباد
القاتلي الإنسان خابوا ما لهم إلا الدمار
جثث البرايا منهم في كل رابية وواد

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

❁ ❁ ❁

أعظم فتنة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسَلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد حذّر ﷺ أمته من فتنة المسيح الدجال في أحاديث كثيرة، وأخبر بأنها من أعظم الفتن التي تمر بالمسلم.

وفي هذه الرسالة سنطوّف قليلاً حول هذه الفتنة، وما ورد فيها من نصوص، لعل الله أن يبصرنا بفتنته فلا نزِلَّ أو نقع فيها.

المسيح يُنطق: (المسيح) و(المسيخ)، بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة.

فالمسيح معناه: الممسوح العين.

والمسيخ: الذي مسخه الله سبحانه وتعالى، أو مسخ عينه.

وقيل: المسيح الذي يمسح الأرض، وسُمّي عيسى بن مريم بالمسيح؛ لأنه سوف يمسح الأرض قبل يوم القيامة، وهو الذي يقتل المسيح الدجال، فالمسيح عيسى بن مريم؛ رسول من الله عز وجل، وحبيبنا ومن أنبياء الله عز وجل، والمسيح الدجال: عدونا، وبغيضنا، كفانا الله فتنته.

والدجال هو: الكذاب الكبير، ولا يُنطق الدجال إلا على من كثر كذبه واشتهر.

وجمعه: (دجاجلة) يقول أحد العلماء: ما كنت أعرف أن دجال، يُجمع على دجاجلة حتى جلست عند الإمام مالك فسألته عن رواة في الحرَّة من رواة الحديث، قلت للإمام: كيف هو في الرواية؟

قال: دجال من الدجاجلة.

وتصغيره دُجيجيل، ولذلك يقول الذهبي رداً على أبي العلاء المعري: زادك الله ذلاً يا دجيجيل.

وقد أخبر ﷺ وأنذر بالدجال وقال: «**إني أنذركموه، وما من نبي إلا قد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نوح لقومه: تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور**»[(١)]. وفي الحديث أنه كان ﷺ يتعوَّذ من أربع فيدعو ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**»[(١)]. وهي: خمس عند بعض أهل العلم، ومن أعظمها: فتنة المسيح الدجال، وكما مر في الحديث بأن نوحاً، عليه السلام، أنذر قومه المسيح الدجال.

والسؤال: كيف ينذر نوح قومه، وهو يعلم أنه لا يخرج إلا آخر الزمان؟

والجواب: قيل: إن نوحاً لم يعلم بذلك، عليه السلام، وقيل: إن الله عز وجل افترض على الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، أن ينذروا قومهم المسيح الدجال، فأنذرنا ﷺ فتنته، وأخبرنا أن فتن غيره تسهل وتقل.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٧، ٣٣٣٧)، ومسلم (١٦٩).

وسوف أعرض عليكم حديثاً لعلَّ الله أن ينفع به، رواه مسلم والإمام أحمد وغيرهما من الأئمة.

خرج ﷺ (وهذه رواية أحمد) في القيلولة فجمع الناس وقال: «**الصلاة جامعة**»، فاجتمع الناس فصعد المنبر وقال: «**مَن منكم لقي تميم الداري**»؟ أحد الصحابة.

قال بعضهم: لقيناه.

قال: «**حدَّثكم بحديث الدجال؟**».

قالوا: نعم.

فأخذ ﷺ يحدّث البقية الباقية من حديث تميم.

يقول تميم الداري رضي الله عنه وأرضاه (وهو من داريَّة قريباً من الشام): «ركبنا في سفينة فوقعت بنا إلى جزيرة من الجُزر (قيل قريباً من قبرص) فنزلوا هناك رضوان الله عليهم جماعة من الصحابة معهم تميم الداري، وإذا بدابة وجهها كوجه الإنسان لا ندري أذكر أم أنثى كثيرة الشعر فتكلمت بإذن الله وقالت: مَن أنتم؟ فوجسوا وخافوا».

قلنا: عجباً دابة تتكلم.

قالت: أعجب مني الرجل المقيد في الدير، فاسألوه فإن عنده خبر.

فتقدّموا فوجدوا هذا المجرم وهو المسيح الدجال مقيداً في قعر البئر ليس بها ماء وهو مصفد بالحديد وهو أعور العين اليمنى.

قال: فقلنا: مَن أنت؟

قال: مَن أنتم؟ (بدأهم بالسؤال).

قلنا: من العرب.

قال: ما فعل نبي العرب؟

قلنا: بُعث.

قال: كيف العرب؟

قلنا: انقسموا عليه قسمين، قسم أطاعه، وقسم حاربه.

قال: إنهم إن أطاعوه كان خيراً لهم.

قال: ما فعلت نخل بَيْسان؟ (بلد في الشام فيها نخل).

قلنا: تثمر (يعني لا زالت تُطلع).

قال: يوشك أن لا تُطلع أبداً (يعني: لا تثمر).

قال: ما فعلت بحيرة طبرية؟

قلنا: لا زال فيها ماء.

قال: يوشك أن لا يكون فيها ماء.

ثم أخبرهم أنه سوف يخرج ويطأ البلاد إلا مكة والمدينة[١]. فأخبروا الرسول ﷺ فتهلّل وجهه وفرح بأمرين:

الأول: لما أعلم الصحابة به، فأراد أن يُخبر الناس تأكيداً لهذا حتى يتقوا فتنته.

الأمر الثاني: أنه لا يدخل مكة والمدينة.

❁ مسائل حول الحديث:

المسألة الأولى: أصل المسيح الدجال:

المسيح الدجال أصله عند أهل العلم: من اليهود، عليهم

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

لعنة الله، واليهود هم: شر خليقة على وجه الأرض، ولا يأتي الفساد والإجرام إلا منهم.

المسألة الثانية: هل هو موجود في عهده ﷺ؟

الجواب: نعم.. موجود، وهو الآن موجود، وهو من عهد الرسول ﷺ مخلوق، ولا زال إلى الآن حتى يخرج متى أذن الله عز وجل.

المسألة الثالثة: هل ذكره الله في القرآن؟

الصحيح عند أهل العلم أن الله عز وجل لم يذكره باسمه، بل ذكر الله عز وجل الدابة، وذكر يأجوج ومأجوج، ولكن ما ذكر المسيح الدجال.

قال أهل العلم: لماذا لم يذكره سبحانه وتعالى؟

قال أحد العلماء: الله يذكر الآيات المتقدمة، ولا يذكر الآيات المستقبلية القادمة، وهذا خطأ، فإن الله ذكر الدابة، وهي مستقبلية، وقادمة، وذكر يأجوج ومأجوج، وهي مستقبلية، وقادمة.

وقال عالم آخر: بل أشار إليه في القرآن في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قالوا: هو المسيح الدجال.

في الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**ثلاث إذا خرجن** ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]: **طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض**»(١).

وقال عالم آخر من الشوافع: بل أشار الله عز وجل إلى خلق المسيح الدجال في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٨).

أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، قال: الناس هنا؛ هو: المسيح الدجال، وهذا ليس بيقين.

إذاً لم يشر إليه سبحانه وتعالى، ولكن الرسول ﷺ أخبرنا به، وحذّرنا من فتنته.

المسألة الرابعة: متى يخرج، عليه لعنة الله، ووقانا الله شره؟ وسبب خروجه؟

وفي الحديث أنه يخرج عند فتح المسلمين للقسطنطينية، والقسطنطينية فُتحت (وهي: إسطانبول) وسوف يخرج بعدها، وأيام الله عز وجل تعادل من أيامنا الألوف، ولو فُتحت القسطنطينية قديماً، فهو قريبٌ أن يخرج، أعاذنا الله من شره.

والقسطنطينية حاول يزيد بن معاوية فتحها وغزاها، ولكن الذي فتحها هو: محمد الفاتح، الخليفة التركي، غزا الصليبيين، فافتتحها فتحاً عظيماً، وهي من حسناته التي تُكتب له رحمه الله، وهو من خيرة خلفاء الدولة العثمانية.

أما سبب خروج الدجال: فإنه يغضب غضباً، ثم يخرج على الناس، فيمشي في البلاد أربعين ليلة، وميقاته في البلاد: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيام الدنيا، فيطوف البقاع، ولا يترك بقعة إلا مكة والمدينة، لا يدخلها أبداً، يقترب من مكة والمدينة، فيخرج له الفسَقَة، والمنافقين، يقول ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»(١)، وفي رواية: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج كل كافر ومنافق**»(٢). فترجف رجفة فيخرج له المنافقون والفَجَرة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٠، ٥٧٣١، ٧١٣٣)، ومسلم (١٣٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨١، ٧١٢٤)، ومسلم (٢٩٤٣).

وأما ما ورد أنه ﷺ قال: «**رأيت البارحة** ـ يعني في المنام ـ **عيسى بن مريم عليه السلام يطوف بين رجلين في البيت كأنه خرج من ديماس** ـ يعني يقطر رأسه دهناً ـ **وسطٌ رِبعاً** ـ أحمر ـ **ثم رأيت رجلاً بعده أشبه الناس بابن قَطن** ـ رجل مات في الجاهلية ـ، **أعور العين اليمنى جعد الشعر** ـ يعني: ملفوف الشعر ـ **قلت: مَن هذا؟ قالوا: المسيح الدجال**»(١).

والسؤال عند أهل العلم: كيف رآه ﷺ عند البيت وفي الحديث أنه لا يدخل مكة؟

والجواب: أن هذه رؤيا منام وليست في اليقظة، وما كل رؤيا في المنام تحققت في اليقظة، بل رآه في المنام.

والأمر الثاني: أنه محرَّم عليه، أن يدخل مكة، يوم يخرج على الناس في الفتنة، أما قبلها، فقد يدخل، أما إذا خرج وقت الفتنة، فهذا هو المُحرم عليه، أن يدخل مكة، وهذا جواب سديد.

المسألة الخامسة: من أين يخرج، وما هي دعوته؟

الصحيح عند العلماء: أنه يخرج من خُراسان، وهي في بلاد إيران، وقيل: بل يخرج من أصفهان، وأظنها قريبة من خُرَاسان، ويخرج معه سبعون ألفاً من اليهود، وهم جيشه، عليهم الطيالسة(٢) أخزاهم الله، والطيالسة هي: الثياب بالطاقية، كثياب أهل المغرب يخرجون معه يناصرونه، ويذبُّون عنه.

أما ما هي دعوته: فيدَّعي أولاً، الإيمان والصلاح، ثم يدَّعي النبوة، ثم يدَّعي الألوهية بالناس، ويفتنهم فتنة عظيمة، لأن الله عز وجل أجرى على يديه مخاريق، وليست بكرامات من كرامات

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٠، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦)، ومسلم (١٦٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٤).

المؤمنين، ولا بمعجزات من معجزات الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

منها: أنه يأتي إلى الخَرِبة، فيأمرها أن تُخرج كنوزها، فيتبعه الذهب والفضة كيعاسيب النحل.

ومنها: أنه يأتي بجنة ونار، يعرضها للناس، فجنته نار، وناره جنة.

ومنها: أنه يأتي إلى الشاة الحائل، فيقول لصاحبها: أتريد أن أحلبها؟ قال: نعم، قال: أتؤمن بي؟ قال: إن فعلت آمنت بك، فيحلبها فيؤمن به، ويأتي إلى الرجل فيقول: أُحيي أباك؟ قال: نعم، فيحييه بإذن الله، فهو فتنة عظيمة ما بعدها فتنة، لكن المؤمنين لا يفتتنون به، فهم على بصيرة من الله تعالى.

وسوف أذكر، بإذن الله، الأمور التي تحجب فتنة هذا المجرم، أعاذنا الله من فتنته، وآخر من يواجهه: رجل من المؤمنين أقرب الناس درجة برسولنا ﷺ في الجنة، وهو من خيرة المؤمنين الموحدين، يخرج للمسيح الدجال، فيقول المسيح الدجال: أتؤمن بي؟ قال: لا، فيقطعه بالسيف قطعتين، ثم يحييه، بإذن الله، فإذا هو أمامه.

قال: أتؤمن بي؟

قال: أكفر بك، فيريد أن يقتله، فلا يستطيع أن يتسلَّط عليه(١).

أما الذي يقتل المسيح الدجال، فهو: عيسى عليه السلام، وعيسى ينزل عند المنارة الشرقية في دمشق، يُنزله، سبحانه وتعالىٰ، في آخر وقت من الزمن، فيأتي، وإذا المهدي، عليه السلام، من ذرية

---

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٨٨٢، ٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨)، وغيرهما.

الرسول ﷺ، نزل في الأرض، وملأها عدلاً، وسلاماً، بعدما مُلئت ظلماً وجوراً، فيصلي عيسى، عليه السلام، وراء المهدي، ويحكم بشريعة الرسول ﷺ، ثم يطارد هذا المجرم، ويقتله عند باب اللد في فلسطين، وينهي الله فتنته، ثم تقوم الساعة.

فالدجَّال هو من الآيات الكبرى، وكان الرسول ﷺ في كل صلاة يستعيذ بالله من فتنته، وهو سيد الخلق المعصوم، فكيف بنا ضعاف الإيمان المتعرضين للفتن صباحاً ومساءً؟

والسؤال عند أهل العلم: لماذا يعطيه الله سبحانه وتعالى الآيات؟

والجواب: أن هذه إنما هي مخاريق، ولا حقيقة لها، وأما آيات الأنبياء فتختلف بأمرين:

أولاً: آيات الأنبياء يتوصل بها إلى إقامة الحق.

الثاني: أنها لا مُعارض لها، ويصدقها الناس، وتستمر، ولا معارض لها.

أما هذه فهي دَجلٌ، وتمويه ظاهر، وكذب، ونفاق، وخديعة، فهذا الفارق بين الاثنين.

المسألة السادسة: كيف يكون مطموس العين اليمنى مع العلم أنه أتى في بعض الروايات (العين اليسرى)، وقد قال ﷺ: «**عينه اليسرى كالعنبة الطافية**»(١).

قال بعض أهل العلم: الجمع بين ذلك: أن يقال: أن عينه اليمنى، هي: العوراء، وأما عينه اليسرى فتبقى لها بريق وصفها ﷺ كالنخامة في الجدار، ووصفها كالكوكب الدري تلمع. ويظهر أنه ولد صحيحاً، ثم دخلته العاهة، وهي دليل على أنه لو كان إلهاً، لكان أزال

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٠، ٣٤٤١)، ومسلم (١٦٩).

العاهة عن جسمه، وأزال الخلل عن خِلقته، ولكن أبى الله أن يكون الكمال إلا له وحده، حتى يقول له ـ أي الرجل ـ الذي يخاصمه: لو كنتَ إلهاً لأزلت العيب الذي فيك.

والعور هذا فيه مصالح ومقاصد:

أولها: ليتميز به بين الناس.

الثاني: لينفصل عن الألوهية فيُكذَّب.

الثالث: أن يدخله العيب، ولا يستطيع إزالة العيب عن جسمه، بل مكتوب في الصحيح على جبينه أنه كفر، وفي رواية يتهجَّاها الراوي فيقول: كاف وفاء وراء، يعني كفر، يقرأها القارىء وغير القارىء[١] من المؤمنين، وأما المنافق والفاجر، فلا يستطيع قراءتها، ولو كان يحمل الدكتوراه.

المسألة السابعة: صفاته الخلقية:

قيل: هو أفجج قصير القامة أعور العين. وأفجج: أي: يمشي متباعد الرجلين، كبير البطن من كثرة ما يأكل من الحرام، وقصير الشكل وجعد الشعر ـ يعني: ملفوف الشعر ـ وأعور العين اليسرى، وأما اليمنى فهي بادية ظاهرة، كأنها عنبة طافية.

ويقول أهل العلم: لا يولد له، فليس له ذرية.

المسألة الثامنة: هل الدجال هو ابن صياد الذي ورد في الأحاديث؟

كان بعض السلف كابن عمر وغيره يرون أنه ابن صياد، وابن صياد رجل من اليهود في المدينة لقيه ﷺ وهو وراء شجرة، فأراد أن يقبض عليه فنبهته أمه ففرّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

فقال ﷺ: «**خبأت لك خبيئة**».

قال: الدخ.

قال ﷺ: «**كذبت**».

أي أنه ﷺ خبأ له كلمة (الدخان) فلم يعرفها كلها.

قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقه.

قال: «**إن يكن هو لا تُسلط عليه**»[١] يقول: إن كان هو الدجال فلن تُسلط عليه، أي: لا يقتل الدجال إلا عيسى عليه السلام.

فابن صياد هذا حيَّر كثيراً من الصحابة؛ لأنه فجأة وهو شاب خرجت له عين طافية، وأصبح أعور العين اليمنى، فاحتاروا فيه، والأمر الثاني أنه يهودي.

يقول أبو سعيد الخدري: خرجت معه إلى مكة للعُمرة فيقول ابن صياد اليهودي: كم لقينا منكم يا أصحاب محمد ﷺ آذيتموني حتى قلتم أنا المسيح الدجال، أما يقول الرسول ﷺ: «**إن المسيح الدجال كافر وأنا مسلم؟**».

قال أبو سعيد: نعم.

قال: أما يقول: «**إنه لا يولد له**» وعندي أولاد؟

قال: نعم.

قال: أما يقول أنه «**لا يدخل مكة**» وأنا أدخل مكة الآن معكم؟

قال: نعم.

قال: والله، إني أدري أين مكان المسيح الدجال، وما هو وصفه وأين هو الآن.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٥، ٣٠٥٥، ٦١٧٣)، ومسلم (١٦٩).

قال: قبحاً لك هذا اليوم، أردت أن أطمئن إليك فأتيت بهذا.

قال: خذ الماء اشربه.

قال أبو سعيد: فخفت أن أتناول الماء من يده لما سمعت كلامه، فقلت: الجو حار[١].

والظاهر، والله أعلم، أنه غير المسيح الدجال، والرسول ﷺ قد أخبر بدجاجلة ثلاثين.

عن هشام بن عامر الأنصاري، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أكبر من فتنة الدجال**»[٢] ـ رواه مسلم بأطول من هذا ـ فهي الفتنة العظيمة التي تعوَّذ منها المتعوِّذون، أعاذنا الله وإياكم منها، وإذا خرج تكون الأيام كما في الحديث: قلت: «**يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع**» فسأل الصحابة الرسول ﷺ: كيف نصلي في اليوم الذي كسنة؟

قال: «**اقدروا له قدره**»[٣] يعني: اقدروا الأوقات كم يلزمها من صلوات.

أخذ من هذا بعض العلماء: أن أهل القطبين يقدرون قدر الصلوات، فيقدرون قدرها في الساعات كالأيام العادية في بلد متوسط معتدل.

وعن جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما كانت فتنة ولا تكون حتى تقوم الساعة أكبر من فتنة الدجال**»[٤]، قال

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٦).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٤) صحيح أخرجه أحمد (١٣٦٩٨)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٠٠٥)، وانظر: مجمع الزوائد (٣/٣٠٧)، والحاكم (٦٤).

الحافظ ابن كثير في النهاية: تفرَّد به أحمد وإسناده جيد وصحَّحه الحاكم.

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليكوننَّ قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر**»(١).

وعن أبي بكر، رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «**أن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خُرَاسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجانّ المطرّقة**»(٢) ـ يعني: وجوههم ملفوفة في آنافهم ـ يقول بعض العلماء: مثل أهل الصين وأهل كوريا!

فإذا خرج جيشه خرج من هذا الصنف حتى أن بعض المتأخرين من العلماء قال في يأجوج ومأجوج: أنهم أهل الصين، واعتُرض عليه باعتراضات كثيرة ـ والله أعلم ـ. ولكن يوجد الآن قبائل في الصين اسمها يأجوج ومأجوج حتى في لغة الصين، وهي موجودة أصلاً من عهد كونفوشيوس مؤسس مذهبهم الديني، والشاهد: أن أهل تلك الجهة ـ والله أعلم ـ يتبعونه.

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «**يأتي المسيح الدجال من قِبَل المشرق وهمته المدينة، حتى ينزل قريباً من جبل أُحد ثم تصرف الملائكة وجهه قِبَل الشام وهناك يهلك**»(٣).

والعجيب بل من المعجزات أنه يصعد على جبل أُحد ويقول: هذا قصر محمد الأبيض ـ يعني المسجد ـ وكان في عهده ﷺ من طين لكنه ـ أي المسجد ـ الآن يُبنى ويُبيَّض!!

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٥٦٦١، ٥٧٧٤)، وانظر: مجمع الزوائد (٧/٣٣٣).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١٣، ٣٤)، والترمذي (٢٢٣٧)، وابن ماجه (٤٠٧٢)، وأبو يعلى (٣٤)، والحاكم (٨٦٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٨٠).

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال ومعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان عليهم التيجان**»[١].

وعن عمران بن حصين، رضي الله عنهما، قال: قال الرسول ﷺ: «**مَن سمع الدجال فلينأى عنه، فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فلا يزال به لما معه من الشُبه حتى يتبعه**»[٢]. فأسلم شيء أن تبتعد عنه.

وعن جابر، رضي الله عنه، قال: أشرف الرسول ﷺ على فِلق من أفلاق الحَرَّة - الحجارة السوداء في المدينة - ونحن معه فقال: «**نِعْمت الأرض المدينة، إذا خرج الدجال على كل نقب من أنقابها ملَك لا يدخلها، فإذا كان كذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات لا يبقى منافق ومنافقة إلا خرج إليه**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**ما كانت فتنة ولا تكون حتى تقوم الساعة أكبر من فتنة الدجال، وما من نبي إلاَّ وقد حذَّر أمته.. ولأخبرنكم بشيء ما أخبر به نبي أمته قبلي**» ثم وضع يده على عينه ثم قال: «**أشهد أن الله عز وجل ليس بأعور**»[٣] هذا الحديث صحيح في مجموعه، وأورده الطبراني في الأوسط وغيره من أهل العلم، وصحّحه الحاكم.

والمقصود قوله ﷺ: «**أشهد أن الله ليس بأعور**» ومعناه أن هذا يدّعي أنه إله، والله عز وجل لا يكون أعوراً تبارك وتعالى، بل له الكمال المطلق تقدَّس الله عن المثيل وعن الشبيه وعن الند.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٤).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١٩٤٦٦)، وأبو داود (٤٣١٩).

(٣) سبق تخريجه ص: ٢٦٤.

وعن سفينة، مولى رسول الله ﷺ، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**ألا إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد حذّر الدجال أمته، هو أعور العين اليسرى، بعينه اليسرى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر** - وفي رواية عن أنس أن النبي ﷺ: «**تهجاها ك ف ر**»[1] - **يخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار، فناره جنة وجنته نار، ومعه ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء لو شئت سميتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما، واحد منهما عن يمينه والآخر عن شماله وذلك فتنة.**

فيقول الدجال: ألست بربكم؟ ألست أحيي وأميت؟

فيقول له أحد الملَكين: كذبت، ما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه فيقول له: صدقت، فيسمعه الناس فيظنون أنه إنما يصدِّق الدجال، فهذا الملَك يصدّق الملَك الذي كذّب الدجال فيظنون أنه صدّق الدجال وهذه فتنة.

ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذلك الرجل، ثم يسير حتى يأتي إلى الشام فيهلكه الله عز وجل»[2].

وقال الرسول ﷺ من حديث عمران بن حصين: «**لقد أكل الطعام ومشى في الأسواق**»[3] - يعني الدجال - والذي يظهر من هذا الحديث أنه وُجد في عهد الرسول ﷺ، وكان يمشي في الأسواق، ثم قيّده الله عز وجل لفتنته في البئر التي ذكرت في الجزيرة في البحر وسوف يخرج منها، نعوذ بالله من فتنته.

وكثير من الأمم يعترفون به كاليهود والنصارى، ولكنهم ما يقفون

---

(١) سبق تخريجه ص: ٢٧٢.

(٢) حسن، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٤٧٩)، وأحمد (٢١٤٢٢)، والطيالسي (١١٠٦)، والطبراني في الكبير (٦٤٤٥)، وانظر: مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٠).

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (١٩٤٩١)، والحميدي في «مسنده» (٨٣٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨ /رقم ٣٣٩)، والبزار (٣٥٧٤)، وانظر: مجمع الزوائد (٨/ ٢).

منه موقفاً حاسماً؛ لأنه يهودي، فاليهود يتعصَّبون له، ويرون أنه من الفاتحين لهم، وأنه يعيد شيئاً من دولتهم، ولكنه سوف يُدحَر هو وإياهم بإذن الله.

❁ العواصم من فتنة الدجال:

الأول: لا عاصم من فتنة الدجال إلا باتباع رسول الهدى ﷺ، فسنّته سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلّف عنها هلك ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

الثاني: كثرة الدعاء: يا مقلِّب القلوب ثبتنا على طاعتك، يا مصرِّف القلوب والأبصار صرِّف قلوبنا إلى طاعتك.

وسؤال الله ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

الثالث: كثرة النوافل والعبادة، والالتجاء إلى الله، والصدق مع الله تعالى.

الرابع: طلب العلم النافع الموروث من النبي ﷺ.

الخامس: الدعوة إلى سبيل الله، فإن الداعي محصَّن، فأول تحصين لك أن تكون داعياً لا مدعواً.

فالدعوة إلى سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مما يُتقى به فتنة المسيح الدجال.

السادس: مما يعصم من فتنته حفظ العشر الآيات الأولى من سورة الكهف، ففي الحديث من حديث أبي الدرداء: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من فتنة الدجال**»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٩).

أسأل الله أن يعصمني وإياكم من فتنته، وأن يجنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والله أعلم، وصلَّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

❊ ❊ ❊